المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية
فرع الأدب



الشعر العربي في غربي أفريقيا منذ الاستعمار
السنغال ونيجريا

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب

اعداد

الطالب / عبد الصمد عبد الله محمد

اشراف

الدكتور / عبد البصير عبد الله حسين



الإهداء

إلى والديّ العزيزين اللذين وقفا في على دراسة العلوم الإسلامية لأسهم بدوري في رفع راية التوحيد في ربوع غربي افريقيا .

وإلى كل من تهمه رفعة الإسلام والمسلمين ،

أهدي هذا العمل ،،

عبد الصمد عبد الله محمد

شكر وتقدير

شكر و تقدير

الحمد والشكر لله سبحانه و تعالى المنعم المتفضل ، والصلاة والسلام على الهادى البشير نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجهم الى يوم الدين . وبعد :

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من لا يشكر الناس لا يشكر الله " ، وعليه فاني أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لأستاذى الجليل الدكتور عبدالبصير عبدالله حسين ، الذى تعلمت منه حرية الرأى والاستقلال في التفكير قبل أن آخذ من علمه الغزير وملاحظاته الدقيقة وتوجيهاته الصائبة الكثير الكثير ، وقد استفدت من علمه أيما استفادة فاليه أقدم خالص شكرى ووافر امتناني ، والى الله أضرع أن ينسأ في عمره و يكسيه حلل الصحة والعافية .

وأتقدم بجزيل الشكر والعرفان بالجميل الى معالى مدير جامعة أم القرى ، تلك الجامعة الفتية التي هيأت لطلابها سبل التحصيل العلمي ، كما أتقدم بالشكر والتقدير الى ادارة كلية اللغة العربية متمثلة في عميدها السابق الدكتور عليان بن محمد الحازمي وخلفه الدكتور محمد بن مريسي الحارثي ووكيل الكلية الدكتور صالح جمال بدوى و رئيس قسم الدراسات العليا العربية الدكتور حسن بن محمد باجودة ، الذين لا يألون جهدا في توفير كل التسهيلات الممكنة لطلبة الكلية .

كما أشكر المشرفين على معهد البحوث العلمية واحياء التراث الاسلامي بالجامعة ومنسوبي المكتبة المركزية .

كما لا أنسى ذوى الفضل عليّ في كل من السنغال و نيجيريا الذين سهلوا لي سبل الحصول على المخطوطات النادرة التي سهلت لي متابعة بحثي و اخراجه الى حيز الوجود .

فالى هؤلاء جميعا والى كل من قدم اليّ يد العون أو المشورة أقدم شكرى و تقديرى وأسأل الله العليّ القدير أن يجزيهم عني خير الجزاء والحمد لله رب العالمين ،،،


المقدمة

ثم آن للغراس أن يثمر .. ففاضت قرائحهم في شتى مناحي الثقافة العربية الاسلامية ،وكان الحصاد وافرا غزيرا ،منه ما يتصل بحقل العقيدة والفقه ،ومنه ما يتصل بحقل علوم العربية من نحو وصرف وبلاغة وعروض، ومنه ما يتصل بحقل المعارف الانسانية من تاريخ وتراجم وسير ،ومنه ما يتصل بحقل فنون الأدب من شعر ونثر .. وظل الخالفون منهم يضيفون الى تراث السالفين .. في مختلف المناحي الروحية والعقلية والفنية لا يفترون .. ولكن بعد ديارهم عن المصدر الثقافي الأم في الشرق ،ضرب حصار العزلة على حصاد معارفهم ،حتى ما يعرف عنها في بقاع الاسلام في الشرق بخاصة الا أقل القليل .. ثم ساعد على ذلك مؤامرات المستعمرين من أهل الغرب الذين يحرصون أشد الحرص على قطع ما أمر الله به أن يوصل بين أهل الاسلام .. وامعانا منهم في الكيد نقلوا أمهات المخطوطات التي تمثل النشاط العقلي والأدبي الى مكتباتهم في أوربا .. ثم قاموا بترجمة ما يهمهم منه الى لغاتهم ،ليكونوا على معرفة تامة بمزاج القوم ونفسياتهم ،حتى يسهل عليهم تسييسهم واحكام تغييبهم تحت ستار مسدل في ظلمات الاستعمار .

وهكذا تم حجب الثقافة العربية الاسلامية في منطقة غربي أفريقيا تحت ثقل عاملين شديدي الوطأة : أحدهما بعد الشقة عن الثقافة الأم في المشرق العربي الاسلامي ، والثاني مؤامرات المستعمرين الخبيثة التي ترتبط مصالحهم بحجب هذه الثقافة ..

ولما كنت متشرفا بانتسابي الى جامعة أم القرى بمكة المكرمة التي هي السويداء من قلب العالم العربي الاسلامي .. ومن ثم التحقت بكلية اللغة العربية من هذه الجامعة الفتية ، ثم تخصصت

بقسم الأدب من هذه الكلية ، منطلقا منه الى قسم الدراسات العربية العليا بتوفيق من الله ، ثم آن لي أن أختار موضوعا أبحثه لنيل درجة الماجستير ،فكانت كل الظروف الموضوعية تحتم علي أن يكون بحثي في حقل الثقافة العربية الأفريقية في هذه المنطقة النائية التي ضرب حصار العزلة حوله تراثها ..

من أجل ذلك كله كان موضوع دراستى : " الشعر العربي في غربى أفريقيا منذ الاستعمار " ، وقد وقفته على السنغال ونيجيريافحسب، حتى تأخذ الدراسة حقها من الشمول والعمق بعون من الله وتوفيقه تاركا بقية المنطقة لفرصة تالية اذا أذن الله تبارك وتعالى ..

ولا بد من الاشارة الى أن هنالك ثلاثة باحثين قد كان لهم فضل السبق الى العناية بهذا الموضوع ،أولهم الدكتور على أبوبكر بأطروحة لنيل درجة الدكتوراه بعنوان " الثقافة العربية في نيجيريا".

وقد لاحظت أن رسالته جنحت الى الاجمال فيما يخص الثقافة العربية بصفة عامة والشعر العربي بصفة خاصة.

ثم تلاه الدكتور أحمد سعيد غلادنت بأطروحة أخرى بعنوان : " حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا " .

وقد لاحظت أنه قد طغى الحس التاريخي على الجانب الفني في رسالته ، مهملا الرجوع الى كنوز من المخطوطات التي تضمنت نماذج فنية من الشعر البالغ الأهمية .

ثم تلاهما الباحث سركى ابراهيم فدرس" فن الرثاء عند شعراء ولاية كانوفي القرن العشرين ".. في أطروحة لنيل درجة الماجستير ..

وكانت دراسته أكثر تخصصا من سابقيه وأبعد تعمقا ، وقد ساعده على ذلك اقتصار الدراسة على فن واحد من فنون الشعر وفي بيئة واحدة من بيئات نيجيريا المتباينة .. هذا فيما يخص نيجيريا .

أما في السنغال ، فقد كان للدكتور عامر صحب فضل سبق في جمع بعض التراث الشعرى العربي للسنغال بعنوان " الأدب السنغالي العربي " .

غير أن جمعه للنصوص كان مبتورا شديد النقص ،فقد غابت عنه كثرة كاثرة من النصوص التي حجبتها عنه المخطوطات التي لم تصل اليه يده فضلا من أنه لم يعن بتحقيق النصوص ودراستها فنيا ،ويكفيه فضل السبق .. ويعلم الله وحده كم بذلت من جهد في سبيل الحصول على المخطوطات التي قصرت دون الحصول عليها الأخوة الفضلاء من الباحثين السابقين .

هذا .. وقد واجهت صعوبات وعقبات في سبيل انجاز هذا البحث .. منها أن مادة الدراسة لهذا الموضوع لا يزال أغلبها مخطوطات متناثرة بين مكتبات أوربا وجامعات غربي أفريقيا وعلمائها المتناثرين في مدنها وقراها كما سبق أن أشرت .. فكان لزاما علي أن أجمع المواد من مظانها ، فكابدت في سبيل ذلك ثلوج أوربا في فصل الشتاء مثلة في بريطانيا وفرنسا ، كما عانيت نصب السفر بين قرى نيجيريا والسنغال من أقصى الجنوب الى أقصى الشمال .. وكان حتما علي تحقيق النصوص أولا ثم دراستها ثانيا ،فكنت في هذه الدراسة محققا ودارسا في آن واحد . وقد استعنت بالله رغم وعورة الطريق فكان لي في ذلك جهد المقل مع بذل المستطاع .

وقد اقتضت طبيعة البحث الذى تسير فيه الدراسة في اتجاهين أحدهما تاريخي والآخر فني تحليلي للشعر ، أن أقسم الرسالة الى تمهيد وبابين رئيسيين وخاتمة .

أما التمهيد : فيتناول الجانب التاريخي عن " فجر الاسلام في غربي أفريقيا " ، ويرصد البحث فيه القضايا الآتية :

أ - الاشراقة الأولى للدين الحنيف على هذه المنطقة.

ب - مدى انتشار اللغة العربية في هذه البلاد في ظل الاسلام.

جـ - تشرف المسلمين من أهل المنطقة بدعوة الممالك الوثنية المجاورة الى الاسلام .

د - جهاد المعاندين منهم.

هـ - كفاح المستعمرين .

وأما الباب الأول : فيتناول " حياة الشعر العربي في غربي أفريقيا .

وانقسم هذا الباب الى ثلاثة فصول :

يتناول الفصل الأول منه " نشأة الشعر العربي في غربي أفريقيا" معالجا القضايا الآتية :

أ - المناخ الثقافي الذى نشأ فيه الشعر العربي في غربي أفريقيا .

ب - حالة اللغة العربية في تلك الفترة .

جـ - أهم المؤلفات العربية التي كانت تدرس في المساجد والزوايا والخلوات .

د - أقدم النصوص الشعرية التي كانت متداولة بين طلاب العلم.

هـ - مراكز الاشعاع للثقافة العربية الاسلامية في المنطقة.

ويتناول الفصل الثاني منه " الجذور الفنية للشعر العربي في غربي أفريقيا معالجا القضايا الآتية :





أ - أثر الجاهليين في هذا الشعر .

ب - أثر شعراء الخضرمة والاسلام.

جـ - أثر شعراء بني أمية .

د - أثر المحدثين .

هـ - أثر شعراء الدول المتتابعة.

و - أثر شعراء العصر الحديث .

ويتناول الفصل الثالث منه " فنون الشعر العربي في غربي أفريقيا" معالجا القضايا الآتية :

أ - الشعر الغنائي بأغراضه التقليدية من مدح ورثاء ووصف وفخر وهجاء وغزل بالاضافة الى الشعر الاسلامي متمثلا في جهاد الوثنيين والشعر الوطني ممثلا في كفاح المستعمرين.

ب - الشعر التعليمي بما يشمل من زهد ووعظ وارشاد ومنظومات علمية.

أما الباب الثاني : فموضوعه " شعراء غربي أفريقيا "

ويقع هذا الباب في ثلاثة فصول كذلك :

يتناول الفصل الأول منه " شعراء السنغال " مترجما لأبرز شعرائهم مع ذكر مختارات من أشعارهم.

ويتناول الفصل الثاني منه " شعراء نيجيريا " مترجما لأبرز شعرائهم مع ذكر مختارات من أشعارهم .

ويتناول الفصل الثالث منه " الملامح المميزة للشعر العربي في غربي أفريقيا معالجا القضايا الآتيـة :

أ - أثر الروح الدينية على أشعارهم.

ب - الآفاق التي يستوحون منها صورهم وأخيلتهم.

جـ - أثر التكوين الثقافي في نسيج أشعارهم.

د - حظ أفكارهم من العمق الذهني والتأمل الفلسفي .

هـ - موسيقى أوزان الشعر الأثيرة في أشعارهم.

و - ملامح البيئة الأفريقية في هذا الشعر.

ز - كثرة استعمالهم للألفاظ الغريبة .

ثم ينتهي البحث بخاتمة أسجل فيها أهم النتائج التي توصلت إليها .

والحمد لله في الأولى والآخـــــــرة ،،،



((فجر الاسلام في غربي أفريقيا))

أطلقت كلمة أفريقيا " AFRICA " قديما على الاقليم الذى يقابل الشمال الشرقي من الجمهورية التونسية حاليا . وكان معروفا باسم " ولاية أفريكا القنصلية لروما " وهو الذى عرب فيما بعد الى " أفريقية " ، أطلقه العرب في بداية الأمر على كل ما يلي اقليم طرابلس غربا ، فتحدد مدلول هذا اللفظ " أفريقية " مقتصرا على ما يلي طرابلس غربا حتى بجاية .

ثم أصبح يعني اقليم تونس (١) . وكان اللاتينيون في النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد قد أطلقوا اسم " أفريكا " على القسم الذى خضع لنفوذ الفنيقيين من تونس الشمالية . وهو الجزء الذى كانت تقطنه قبائل " أفرى " ، والمقصود به الجزء الذى جعلته روما ولاية لها بعد تدمير قرطاجنة سنة ١٤٦ ق٠م (٢) . ويرجع بعض الباحثين كلمة " أفريكا " الى أصل يوناني وأن " أفريكوس " مشتقة من اللفظ اليوناني " أفريكا " وهي جملة مكونة من حرف " آ " ويفيد النفي وكلمة " فريكا " وتعنى " البرد " أى البلاد التي لا برد فيها أوالبلاد الحارة ، (٣) ثم أصبحت التسمية تشمل بقية القارة المعروفة الآن بالقارة الافريقية .

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الانشا للقلقشندى جـ٥ ص ٩٩-١٠٩ ، الموءسسة المصرية العامة ، وكذا Encyclopedia International p. 114

(٢) Encylopedia Britanica p.128 and Every man's encyclopedia p.118

(٣) Short Etymological dictionary & modern English origin p.8 , and : A latin dictionary p.69.

أما غربي أفريقيا الذى هو هدفنا في هذه الدراسة ،فهو جزء مما كان يعرف قديما عند المؤرخين المسلمين ببلاد السودان ، اذ أطلقوه على بلاد جنوبي الصحراء الكبرى ،كما أطلقوا على منطقة شمالي أفريقية والصحراء " بلاد البيضان " وكانوا يقصدون ببلاد السودان المنطقة العريضة جنوبي الصحراء الممتدة من المحيط الأطلسي في الغرب الى هضبة الحبشة في الشرق ، ومن الصحراء في الشمال الى الغابات الاستوائية في الجنوب .

والعرب أول من أطلق على هذه البلاد " بلاد السودان " مستوحية في ذلك لون بشرة السكان.

وقد قسم بعض الباحثين هذه البلاد الى ثلاثة أقسام رئيسية :

الأول : السودان الغربي ويشمل حوض السنغال وجمبيا وبركينافاسو (١) والنيجر الأوسط .

الثاني : السودان الأوسط ويشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد أى أنه يمتد شرقي نهر نيجر حتى الحدود الغربية للسودان الشرقي .

الثالث : السودان الشرقي ،وهو المعروف الآن بسودان وادى النيل ، ويشمل مناطق النيل وروافده جنوبي بلاد النوبة .. وكان يعرف هذا القسم عند العرب بين القرن التاسع والثاني عشر الميلاديين باسم " بلاد الزنج " وهي التسمية الغالبة عليه في تلك الفترة الا أن كلمة السودان كانت تشمله أيضا.(٢)

---

(١) فولتا العليا سابقا .

(٢) مملكة سنغاى في عهد الأسقيين ص ١٥ ،عبد القادر زبادية ، طبعة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر .

أما غربي أفريقيا ،فيشمل السودان الغربي والأوسط ،أي المنطقة الواقعة بين بحيرة تشاد شرقا والمحيط الأطلسي غربا ،وتحدها من الجنوب المناطق الاستوائية ، ومن الشمال المناطق الجنوبية للصحراء وتقع بين خطي عرض ٩ ، ١٧ درجة شمال خط الاستواء .

وقد كانت تربط بين شمالي أفريقية وغربيها علاقات قديمة تشهد لها أحداث التاريخ .. فقد وجدت عدة طرق للقوافل التجارية بين شمالي أفريقية الى غربيها عبر الصحراء الكبرى ، كانت بعض هذه الطرق من مراكش وتلمسان وتونس وطرابلس ومصر متجهة الى الجنوب فتجتاز الصحراء الكبرى وتصل الى المراكز التجارية الرئيسة في غربي أفريقيا مثل " غانة " القديمة وتمبكتو وولايات الهوسا وكانم وبرنو وغيرها .. وقد تتصل بالصحراء ثم تتفرع وتتجه الى جهات مختلفة.

فالقافلة التي تبدأ من القاهرة تتجه أولا صوب النغرب الى أوجلة ومرزوق وهناك تتصل بقافلة أخرى من طرابلس فيتجه بعضها نحو الجنوب الى كانم " بواسطة بلما ، في حين أن بعض القوافل تستمر الى ولايات الهوسا عن طريق أهير .(١)

وهناك ثلاثة طرق رئيسة تسرب منها الاسلام الى غربي أفريقيا:

الأول : يبدأ من طرابلس مارا بفزان وكوار وينتهي في برنو داخل نيجيريا .

الثاني : يبدأ من تونس وينتهي في كانو .

الثالث : يبدأ من تافللت في المغرب ويتفرع فرعين أحدهما يمر

---

(١) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجريا ص ٢ د/أحمد شيخو غلادنثي ،رسالة دكتوراه .

بسجلماسة وتغازة ،والآخر بتوات وأودغست . فيجتمعان في تمبكتو ومنها شرقا الى " كانو ".

وهذه الطرق تدل على العلاقات التجارية القديمة التي كانت تربط بين شمالي أفريقية وغربيها ،تلك العلاقات التي وصفها الرحالة "بارت" بأنها أقدم مما يتصور (١) . ويذكر بوفيل أربعة طرق أخرى رئيسة كانت تربط بين الشمال والجنوب :

الأول : من سجلماسة الى وَلَاتَ ثم الى بلاد السنغال وأعالي نهر النيجر حيث الذهب .

الثاني : من غدامس الى بلاد الهوسا الغنية عن طريق غاط وأهير.

الثالث : من طرابلس الى برنو ونهر تشاد مارة بفزان وكوار .

الرابع : من قوريته (Cyrenica) الى وداى عن طريق كفره . (٢)

وقد تحدث مرفين هسكيت عن هذه العلاقات التجارية القديمة بين الشمال والجنوب مرجعا تاريخها التقريبي الى سنة ١٠٠٠ ق.م اذ وجدت منذ تلك الفترة عدة طرق تجارية كانت تصل المغرب والصحراء الغربي .

أما الطريق الأول فيمتد من المغرب الى الصحراء الغربي عبر موريطانيا الحالية الى نهر السنغال ، والفرع الشرقي لهذا الطريق

---

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٢ ،د/ على أبوبكر ،طبعة مؤسسة عبد الحفيظ البساط - بيروت .

(٢) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا ص ٣ .

يؤدى الى " كومبي صالح " عاصمة امبراطورية " غانه القديمة "
ويرجح أن يكون هو الطريق الذى استعمل في الغزوات العربية " الفتوحات الاسلامية " التي بدأت من جنوبي المغرب في القرن الثاني الهجرى الثامن الميلادى متوغلة في الصحراء وراجعة بكمية كبيرة من الذهب ، وأن هذا الطريق قل استعماله ذات يوم ثم أعيد الى الحركة التامة في القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى عندما أنشأ البرتغاليون محطتهم التجارية في ودان .. وظل هذا الطريق مستعملا حتى نهاية القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى ، وعندما فتح المسلمون شمالي أفريقية وربما في العهد الروماني بها كان الطريق الثاني من طرابلس الى " فزان " ، قد امتد من جنوبي غربي فزان الى " تدماكت " ، ويمكن أن يكون قد امتد حتى منحنى النيجر .. وكانت وسائل التنقلات المعتمدة في ذلك الوقت الثور والخيل قبل دخول الجمل بلاد الصحراء في القرن الثاني الميلادى . هذا ما يؤكده معظم المؤرخين في شأن امتداد هذا الطريق حتى داخل الصحراء .

أما الطريق الثالث للصحراء المار " بغاو " وجنوب غربي أهير الى واحات خرجه ، فقد كان مستعملا قبل دخول الاسلام في شمالي أفريقية ، وان كانت معرفة المدى الطويل له قبل الاسلام غير مؤكدة .. وكان مهجورا خلال القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى لخطورته .

ومهما يكن من أمر ، فان اتصالات شمالي أفريقية وغربيها قد أعيدت من القرن الثامن الهجرى " الرابع عشر الميلادى " .. ويبدو أن الذهاب الى الشمال " فزان " أصبح ضروريا قبل اللحاق

بالطريق المؤدى الى مصر .. وفي القرن الحادى عشر الهجرى " السابع عشر الميلادى " فتح الطريق المسمى بـ " الطريق السوداني " من وادى النيل الأعلى عبر فنج ودافور ووداى وامتد حتى برنو ،كما وجد طريق قديم آخر في الشرق من طرابلس الى كانم عبر فزان وواحات كوار .. ويؤكد " مرتين " أن هذا الطريق كان مستعملا خلال العهد القرطاجني في القرن الثالث قبل الميلادى ،وقد يكون قد امتد الى بحيرة تشاد في وقت ما قبل القرن السابع الميلادى " الأول الهجرى"، ويمكن أيضا أن يكون مغلقا لفترة مؤقتة خلال الغزو العربي لشمال أفريقية (الفتح الاسلامي) في القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى) غير أنه سرعان ما فتح من جديد واستمر في الاستعمال مع توقفات آنية حتى القرن الرابع عشر الهجرى (العشرين الميلادى).(١)

ومن مجموع ما سبق ، يتجلى مدى قدم العلاقات التجارية بين شمالي أفريقية وغربيها ،ومنها نتعرف على الخطوات الأولى لدخول الاسلام في غربي أفريقيا الذى هو هدفنا في هذا التمهيد ..

لقد كان قيام حركة المرابطين ثم توغلهم في الصحراء تحت قيادة أبي بكر عمر اللمتوني (٢) ،حدثا شديد الأهمية جعل الاسلام تحت الأضواء في تاريخ غربي أفريقيا ، اذ لم يكن المرابطون أول من بشر بالاسلام في هذه البلاد ،فقد سبقهم الى ذلك عدة محاولات هيأت

---

(١) M. Hiskett. The Development of Islam in West Africa, p.322.

(٢) هو أبو بكر بن عمر اللمتوني أحد زعماء المرابطين توفي سنة ٤٨٠ هـ.

للاسلام أن يدلف بخطى بطيئة في غربي هذه القارة في مدة لا تقل عن مائتي عام.

أما متى تسرب الاسلام الى غربي أفريقيا فتلك قضية ظلت مجهولة حتى ألقى عليها بعض الضوء الفلكي العربي الفزارى (١) في القرن الثاني الهجرى (الثامن الميلادى) (٢)، فقد كان يعرف الدولة السودانية " غانه " كمصدر للذهب وما دام عاش فترة ما بين ١٣٢ - ١٨٢ هـ / ٧٥٠ - ٧٩٩ م، فان ذلك يشير الى أن التجار المسلمين كانوا ضمن أولئك الذين كانوا على اتصال مبكر بداخل السودان في بداية القرن الثاني الهجرى (الثامن الميلادى) أو بعيد ذلك .. ويعتبر الفزارى أول كاتب عربي مسلم أشار الى ذهب السودان كما ألقى الضوء على هذه الحقيقة الجغرافي العربي المسلم ابن الفقيه المتوفى سنة ٣٦٥ هـ/ ٩٧٦ م (٢)، حيث تحدث عن طرق القوافل التجارية عبر الصحراء من غانة الى مصر عن طريق " غاو " مدينة القوافل في منحنى النيجر .. وقد ظل هذا الطريق مهجورا من القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) ولكنه كان مستعملا لمدة طويلة قبل هذا الهجران،

---

(١) هو ابراهيم بن حبيب بن سمرة أبوعبدالله الفزارى وهو الذى يقول فيه جعفر بن يحيى : لم ير أبدع في فنه من الكسائي في النحو والأصمعي في الشعر والفزارى في النجوم " معجم الأدباء لياقوت جـ ١٧ ص ١١٩-١٢٠.

(٢) هو أحمد بن اسحاق بن ابراهيم الهمذاني ويعرف بابن الفقيه " أبوعبدالله " أديب عالم بتقويم البلدان ومن تصانيفه " كتاب البلدان " معجم المؤلفين جـ٢ ص ٨٠.

وربما قبل فتح المسلمين لمصر ، فمن الجائز اذن أن يكون ثمة تأثير اسلامي قادم من مصر الى السودان الغربي منذ القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى) ،والذى ينبغي أن نلاحظه هنا أنه ليس هنالك دليل قاطع على أن هذا التأثير في القرن الأول الهجرى كان ثابتا . ولكن هناك احتمالات لحصوله في هذا الوقت المبكر. فمعلومات الجغرافي المسلم المهلبي [(١)] المتوفى سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩٠م ، التي تشير الى أنه كان لمدينة " غاو " ملك مسلم وكان فيها مسجد في عهده توءكد هذا الاحتمال اذ لا يعقل أن هذا كله قد تم في ليلة واحدة ، وكذلك ما ذكره البكرى [(٢)] من وجود حي اسلامي في " غاو " وأن ملك هذه المدينة كان مسلما [(٣)] .. وتلك حقيقة أكدها المؤرخ الأفريقي السوداني أحمد بابا التمبكتي ، فقد ذكر أنه كان يوجد اثنا عشر مسجدا في مدينة " غانة " " كومبي صالح " حوالي عام ٦٠ هـ - ٦٧٩ م ، وأن امبراطورية أودغست الاسلامية وهي التي كونها " السوننك " احدى فروع " الماندنجو " قامت بدور كبير في نشر الاسلام منذ القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) ، كما ذكر ابن حوقل [(٤)] أن ملك

---

(١) هو حسين بن أحمد المهلبي له كتاب " المسالك والممالك " المشهور بالعزيزى ألفه للعزيز بالله الفاطمي صاحب مصر ونسبه الى اسمه " معجم المؤلفين جـ٣ ص ٣١٣ .

(٢) هو أبو عبيدالله بن عبد العزيز البكرى ولد سنة ٤٣٢ هـ وتوفي سنة ٤٨٧ هـ ومن تصانيفه كتاب المسالك والممالك وكتاب المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب .

(٣) M.Hiskett. The Development of Islam in West Africa, p.19

(٤) هو محمد بن علي بن حوقل النصيبي البغدادى الموصلي " أبوالقاسم" رحالة جغرافي . توفي بعد سنة ٣٦٧هـ ومن آثاره " المسالك والممالك" معجم المؤلفين جـ١١ ص ٥ .

أودغست يتبوتان ، كان شديد الحماس في نشر الاسلام بين قومه وبين الزنوج المجاورين من ناحية الجنوب.(١)

وكان للفتح الاسلامي لبلاد المغرب أثره الكبير في دفع المسلمين شمالا حتى الأندلس وفرنسا. وجنوبا حتى بلاد السودان . ورووا أن حملة اسلامية وصلت في عام ١٠٢هـ - ٧٢٠ م الى السنغال وعادت بكميات كبيرة من الذهب ،وكانت أصلا موجهة لمطاردة البربر.(٢)

كما ينقل مرفين هسكيت عن ابن عبد الحكم المتوفى سنة ٢٥٧ هـ ٨٧١م ، أن حملة قد نفذت في القرن الأول الهجرى " السابع الميلادى " من جنوبي المغرب الى داخل السودان وقد قدر لها النصر المظفر ،وأخذت كمية كبيرة من الذهب ويبدو أنه خلال هذه الحملة أسر المغيرون جوارى من زناتة ،اللواتي رجعوا بهن الى بلادهم(٣) .

ويروى ابن خلدون حملة عقبة بن عامر بن عبدالقيس الى السودان قائلا : (فقد فتح عقبة بن عامر بن عبد القيس باسم عمرو بن العاص مدينة غدامس التي كانت بوابة النيجر الشرقية سنة ٦٣ هـ - ٦٦٣ م ،وفي السنة الموالية افتتح ودان وكوار في السودان وأثخن في تلك النواحي ،وكان له جهاد وفتوح ".(٤)

---

(١) دولة مالى الاسلامية ص ٤٧ ،د/ ابراهيم على طرخان ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٢) المصدر نفسه ص ٤٨.

(٣) M.Hiskett. The Development of Islam in West Africa, p.19

(٤) بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ص ٣٢ ، محمد المغربي ،طبعة مؤسسة الغليج للطباعة والنشر بالكويت .

ويذكر ابن عذارى المراكشي(١) أن عقبة انحدر في حملته الثانية الى السودان من بلاد المغرب ووصل الى غانة عن طريق ودان وبنى مساجد فيها .(٢)

واعتمادا على مقارنة بين المصادر يتبين أن عقبة قام بحملتين الى السودان احداهما من تونس ، والثانية من المغرب ، ولا نعثر في أى مصدر على أخبار قتال أوحصار في الحملتين معا مما يدل على استجابة الأفارقة لدعوة الدين الجديد عن طواعية واقتناع ، وهو ما علل له بعض الباحثين بقوله : ونحن نرجح أن وجود قبائل بربرية وفيرة ومتنفذة في الصحراء والسودان بالاضافة الى خصائص الدين الجديد وروحه التحريرية ، خلقا جوا مناسبا لوصول الفاتح العربي الى أهدافه الروحية . والثابت أن حملة عقبة هدت أغلب قبائل البربر وبعض قبائل غانة الى الدين الجديد بالقدر الذى فتحت أعين حكام شمال أفريقيا على امكانيات السودان(٣) ، كما يذكر في معرض حديثه عن المدن ذات الأهمية التجارية في امبراطورية غانة مدينة " هنيشين " التي ضمت جالية عربية هي بقايا الجنود الذين سبق لخلفاء بني أمية في الأندلس أن وجهوهم للسودان فتخلفوا وتزوجوا سودانيات(٤) . غير أنه لا يذكر مصدره القديم في هذه الرواية وهي لا تتفق ورواية البكرى التي يقول فيها :

---

(١)

(٢) البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، جـ١ ص ٢٧ تحقيق كولا وبروفينصال .

(٣) بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ص ٣٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٥ .

" وببلاد غانة قوم يسمون بالهنيهين من ذرية الجيش الذى كان بنو أمية أنفذوه الى غانة في صدر الاسلام وهم على دين أهل غانة الا أنهم لا ينكحون في السودان ولا ينكحونهم فهم بيض حسان الوجوه (١) ".
ويتضح لنا اختلاف الروايتين القديمة والحديثة ففي حين تنفي الرواية القديمة المصاهرة والمناسبة بينهم وبين السودانيين وان تحولوا الى دينهم يثبت الباحث الحديث المصاهرة ويتوقف عن أحوالهم الدينية، ونحن لا نستطيع أن نرجح رأى الدارس الحديث وان كانت قريبة من العقل لأنه لم يزودنا بمصدر قديم نعتمد عليه. وعلى أى حال ،فان كثيرا من المراجع الغربية تتحدث أيضا عن توغل جيش عقبة بن نافع أفريقية الغربية واحتلاله بلاد التكرور وغانة وان أبدى بعضهم تحفظه وعدم ارتياحه ازاء الروايات الناطقة بذلك. (٢)

ويصف لنا البكرى غانة قائلا :

" ومدينة غانة مدينتان سهليتان ، احداهما المدينة الاسلامية ، التي يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا احداها يجمعون فيه ولها الأئمة والمؤذنون وفيها فقهاء وحملة علم ، وحواليها آبار عذبة وعليها يعتملون الخضروات (٣) .. كما ذكر القلقشندى اسلام أهل غانة بقوله " وكان أهلها قد أسلموا في أول الفتح ". (٤)

----

(١) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص ١٧٩ للبكرى - دى سلان - الجزائر.

(٢) مثل الرحالة الانجليزى بارت في كتابه Travels in Central Africa Vol. IV p. 580

(٣) المغرب للبكرى ص ١٧٤ - ١٧٥.

(٤) صبح الأعشى جـ٥ ص ٢٨٤ وهو أحمد بن عمر.

ومجمل القول أن الأدلة على دخول الاسلام وانتشاره في السودان الغربي خلال هذه الفترة المبكرة أى من سنة ٢٦ هـ - ٦٤٧ م وحتى سنة ٤٦٩ هـ - ١٠٧٦ م التي كانت نقطة تحول اسلامي وأصبحت واضحة للعيان .. كانت هذه الأدلة تعتمد أولا على الروايات الشفوية المتواترة عن التجار المسلمين والرحل الذين كانوا يجوبون تلك المناطق للتجارة أو الاطلاع ، الأمر الذى لا يترك مجالا للشك أمام الباحث للاعتقاد بأن التأثير الاسلامي في السودان الغربي قد بدأ بعيد انتصار المسلمين واستيلائهم على مصر.. وان كان لا يمكن تقدير مدى هذا التأثير .

وفي وصف البكرى لمدينة غانة والمساجد الموجودة فيها وكذا تأكيد مؤرخ بلاط صنغاى أحمدبابا التبكتي ما يرشح هذه الحقيقة من أن الاسلام دخل هذه المنطقة منذ فجر تاريخه اذ لا يعقل أن تكون تلك المدينة الاسلامية التي تضم اثنى عشر مسجدا في تلك الفترة المبكرة قد ظهرت الى الوجود وقامت على ذلك الشكل المتطور وازدهرت بتلك المساجد الاثني عشر بين عشية وضحاها ، أضف الى ذلك أنها كانت ابان تلك الفترة المبكرة موطنا لعدد كبير من فقهاء المسلمين وعلمائهم . كما كانت في الوقت نفسه كعبة علم يقصدها طلبة العلم وينسلون اليها من كل حدب وصوب .. على أن الفضل في ازدياد انتشار الاسلام في السودان الغربي يرجع الى الجهود المضنية التي بذلتها الدول والممالك الاسلامية التي قامت في تلك المنطقة ،ولعل أول مملكة اسلامية يسجل التاريخ مساهمتها في هذا المضمار هي مملكة صنهاجة الجنوب أو اللثام.. فقد اتحدت هذه القبيلة مع قبائل لمتونة وجدالة

في القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) للعمل على تنظيم تجارة القوافل عبر الصحراء فيما بين أقصى الشمال حيث تنزل قبيلة ولاته ، وأقصى الجنوب حيث تقع مملكة غانة .. الا أن هذا التحالف لم يدم طويلا اذ وهنت أواصره فتفرقت كلمة القبائل البربرية في حين كانت الفرصة مهيأة أمام مملكة غانة القديمة للازدهار والسيطرة على بعض أجزاء الصحراء التي تؤمها قوافل العرب والبربر .. فلما دخلت صنهاجة في نعمة الاسلام في القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) تسرب الدين الحنيف عبر الصحراء وعم المراكز التجارية الموجودة هناك واتسمت مدينة " أودغست " التي كانت المركز الأمامي لتجارة غانة على حافتها الشمالية -بالطابع الاسلامي - وتحت لواء هذا الدين الذى يدعو الى الاعتصام بحبل الله استطاعت قبائل صنهاجة أن تكوّن تحالفا جديدا تزعمته لمتونة بفضل الجهود التي بذلها الزعيم اللمتوني " تيولتان بن تكلان " الذى شرح الله صدره للاسلام .. وكان الهدف من هذا التحالف هذه المرة هو الجهاد في سبيل الله ونشر الاسلام في السودان الغربي (١) .. ولأهمية مملكة غانة السياسية والاقتصادية والعسكرية رأى الحلف أن يوجه سهامه اليها وخاصة أنها كانت أقرب مملكة وثنية اليهم ، أضف الى ذلك أن الضعف بدأ يدب في عظام هذه المملكة السودانية الفتية بعد بلوغها أوج عزها وقوتها الاقتصادية والعسكرية ، وبالقضاء على هذه المملكة العظيمة - التي وصفها ابن خلدون بقوله :" كانوا أعظم أمة ولهم أضخم ملك "(٢) -

---

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ١٩ .

(٢) العبر جـ٦ ص ٤١٢ ، ابن خلدون طبعة دار الكتاب اللبناني .

يصبح الطريق ممهدا لفتح الممالك السودانية الأخرى ليسرى الاسلام بين قبائلها الوثنيين .. فجهزت صنهاجة جيشا جرارا لغزو المملكة فتوجه الجيش صوب مدينة "أودغست" عاصمة غانة ، وما أن سمع ملك غانة خبر الجيش الصنهاجي حتى جهز جيشا مماثلا لقتاله دفاعا عن مدينته الحيوية تجاريا والتي تمثل مصدرا اقتصاديا هاما لا يمكن للمملكة الاستغناء عنه .. فتقابل الجيشان في معركة أسفرت عن انتصار الجيش الصنهاجي .. ولم يكن لينتصر على غانة مستوليا على مدينة أودغست لولا ما وقع لغانه من سوء حظ ، اذ أغار عليه شعب "صومو" الذى تقع دياره الى الجنوب من ديار "غانة ، فطعنها من الخلف طعنة غير متوقعة فكان على المملكة أن تحارب عدوين شرسين في آن واحد .. فقد أغار عليها صوصو من الجنوب في الوقت الذى أغار عليها الملثمون من الشمال (١) ، فسقطت مدينة أودغست أمام الملثمين بفضل ما قام به شعب "صوصو" من دعم لهم اما ميلا الى الاسلام أوكراهية لغانة لسيطرتها على الممالك السودانية الأخرى أوعلى مدينة أودغست التي تمثل مركزا تجاريا هاما تمر به صادرات أفريقيا الغربية ووارداتها عبر الصحراء الكبرى .. واتخذت صنهاجة مدينة أودغست عاصمة لمملكتهم ، ومنها أخذوا ينشرون الاسلام في المنطقة الواقعة شمالي نهر النيجر .. ووصف ابن خلدون هذه المملكة بأنها كانت مسيرة شهرين في مثلها . كما وصف ملكها "تيولتان" بأنه كان يركب في مائة ألف نجيب . (٢)

---

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٢٠ .

(٢) العبر جـ٦ ص ٣٧٢ .

وبعد وفاة الزعيم اللمتوني استمر الملك في اعقابه حتى عام ٣٠٦هـ حين تبدد شمل الحلف وتفرقت قبائل البربر (١) وانتهزت غانه فرصة هذا التفرق لبسط نفوذها من جديد على أودغست ،الا أنها لم تقدر على استرداد جميع أملاكها السابقة ،بعد أن استقر قبائل الملثمين فيها فاكتفت بالسيطرة على المدينة التجارية الهامة ،ولا شك أن ذلك يكفل لها التحكم في طريق التجارة بين المغرب والسودان وهو ما يدر عليها أرباحا طائلة وذلك هو المبتغى .

ولم يدم عامل الفرقة بين الملثمين طويلا ،فقد استطاعت لمتونة بفضل جهود الأمير بروتان وبسنو" أن تلم شعث الملثمين مرة أخرى للهجوم على أودغست لتقصى عنها سلطة غانة وتحولها الى عاصمة لها مرة أخرى ،وتم لها ذلك عام ٣٥٠هـ .

غير أن لهيب الصراع ظل يتطاير شرره بين غانة وبين الملثمين فما كانت غانة لتهدأ ثائرتها ما لم تسترد مدينة أودغست التي تعتبر قضيتها قضية حياة أو موت ،وما لبثت أن استردت المدينة مرة أخرى و تفرقت قبائل الملثمين ..

وهكذا ظلت مدينة أودغست تحت سيطرة غانة حتى استولى عليها المرابطون في القرن الخامس الهجرى " الحادى عشر الميلادى " فردوها الى الملثمين ..

فقد قدر ليحيى بن ابراهيم شيخ قبيلة جدالة أن يؤدى فريضة الحج مع بعض الصنهاجيين عام ٤٥٦ هـ / ١٠٣٥م اثر رحلته تلك التي أراد من ورائها أن يستنير ويستزيد من تحصيل العلم بعد أن ضاق

---

(١) العبر جـ٦ ص ٣٧٢ .

ذرعا بما تعثر فيه قومه من الجهالة وسوء الفهم لمبادىء الاسلام ،فعهد بأمور القبيلة الى ابنه وأخذ يتجول في بلاد المغرب طلبا للمعرفة حيث وقف على أصول الاسلام القويمة فعقد العزم على أن يذيعها بين الملثمين . وبعد عودته من رحلة الحج أدرك أنه لا يستطيع مباشرة هذه المهمة الشاقة بمفرده لانشغاله بأمور القبيلة .

ومن هنا رأى ضرورة البحث عن فقيه يعلم قومه الاسلام ليخلصهم من الاعتقادات الخاطئة ، فتوجه صوب القيروان المركز الاسلامي العام. حيث أحس بالبون الشاسع بين البيئتين بيئة المغرب الأقصى الزاخرة بالحياة العقلية الرفيعة وبيئة الصحراء التي ترتضخ في الجهل فاتصل بشيخ المالكية في القيروان أبو عمران الفاسي ملتمسا منه انتداب تلميذ له يرجعون اليه في نوازلهم وقضاياهم الدينية .. وحرصا من الشيخ على ايصال الخير اليهم وجههم الى تلميذه " وجاج بن زلو اللمطي " وانتدب لهم هذا الأخير تلميذه الفقيه الورع المجاهد المقدام " عبدالله بن ياسين بن مكو الجزولي " فاستجاب لهذه الدعوة وكرس جهده لهداية هوءلاء الناس يعلمهم القرآن ويقيم لهم الدين..(١) الا أن طابع التشديد الذى انطبع به منهج عبدالله بن ياسين قد نفر القوم عنه فقرر أن يهجرهم الى جزيرة على ضفاف نهر السنغال بقصد الانقطاع لله والسياحة مستصحبا يحيى بن ابراهيم وسبعة من رجال جدالة .(٢) .. غير أن البربر الذين أعرضوا عنه لعنفه قد

----

(١) العبر ج ٦ ص ٣٧٤ .

(٢) تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ص ٢٢٧- ٢٢٨ ،للوزير الغرناطي ،لسان الدين بن الخطيب ،طبعة دار الكتاب .

شعروا بوخزة الضمير فجاءوا اليه يلتمسون منه العفو مبدين استعدادهم التام لتلقي تعاليمه الدينية وتنفيذ أوامره ومن ثم اجتمع حول عبدالله ابن ياسين في رباطه الذى اتخذه في تلك الجزيرة زهاء ألف شخص سماهم المرابطين.(١) وبعد أن اكتمل له هذا العدد الضخم من الرجال الأقوياء بايمانهم قال لهم عبدالله بن ياسين : " ان ألفا لن تغلب عن قلة وقد تعين علينا القيام بالحق والدعاء اليه وحمل الكافة عليه فاخرجوا بنا لذلك فخرجوا وقتلوا من استعصى عليهم من قبائل لمتونة وكدالة ومسوفة حتى أنابوا الى الحق .. وأذن لهم في أخذ الصدقات من أموال المسلمين وسماهم المرابطين.(٢)

ولعل أهم ما قام به المرابطون خدمة للاسلام في السودان الغربي هو هجومهم على مدينة أودغست التي كانت "غانة" قد استردتها من الملثمين . فقد استطاع المرابطون أن ينتصروا على " غانة " بعد معركة استبسل فيها الفريقان واستشهد فيها قائد المرابطين " يحيى بن عمر" وانتهت باستيلاء المرابطين على " أودغست " وكان ذلك سنة ٤٤٧هـ - ١٠٢٦م ،وقد علل بعض المؤرخين هزيمة غانة بأن ملك التكرور الذى شرح الله صدره للاسلام قد حالف المرابطين وخاض غمار الحرب الى جانبهم.(٣)

أما " غانة " فمن المعروف أنها كانت أكبر امبراطورية أفريقية قامت بغربي أفريقيا ،وكان أول سلطانها هو " تمغ " و ان سلطة غانة قامت قبل البعثة المحمدية بزمن طويل ، تملك في أثنائه اثنان وعشرون ملكا ثم تملك بعدها اثنان وعشرون آخرون.(٤)

---

(١) تاريخ الدول الاسلامية السودانية بأفريقيا الغربية ، ص ٣٢ ،د/ عبد الرحمن زكي ،المؤسسة العربية الحديثة .

(٢) العبر ج٦ ،ص ٢١٨.

(٣) راجع الثقافة العربية في نيجيريا ص ٢٥.

(٤) راجع تاريخ الفتاش ص ٤١ تحقيق هوداس ودونوا - باريس ١٩٦٤م.

وكان حكامها الأوائل بيضانا في الأصل [1] ، وان كانت الأصول التي يرجعون اليها لا زالت لغزا أعيا الباحثين حله ولا يزالون مختلفين .

واشتهرت هذه الامبراطورية بعظمة قوتها العسكرية والاقتصادية وبرفاهة ملوكها وثرائهم وبذخهم .

على أن دولة ملوكها البيض سقطت في نهاية القرن الثاني الهجرى (الثامن الميلادى) حيث قامت أسرة " السوننك " بثورة ضدها وتأسست دولتهم على أنقاضها .

وفي زوال دولة الحكام البيض يقول أحد المؤرخين " :

" ثم أفنى الله ملكهم وسلط أراذلهم على كبرائهم .. وقتلوا جميع أولاد ملوكهم حتى يبقروا بطون نسائهم ويخرجوا الأجنة ويقتلونهم" [2] .

وبعد أن تبدد شمل الحكام البيض اتجه بعض فلولهم مع أنصارهم الى بلاد " التكرور " فاختلطوا هناك بالتكاررة فلم يعودوا بيضا كما كانوا بل أصبحوا أشبه بالزنوج منهم بالبيض .

ويروى أنهم نجحوا في التحكم السياسي في منطقة " تكرور " فظلوا هناك أصحاب النفوذ حتى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) عندما ثارت ثائرة " التكاررة " فسحبوا بساط الحكم من تحتهم وطردوا هؤلاء المغتصبين الدخلاء .

---

(١) تاريخ السودان للسعدى ص ٩ نشر هوداس - باريس ١٨٩٨م .
(٢) تاريخ الفتاش ص ٤٢ .

ويذكر أن هؤلاء البيض هم الذين اشتهروا فيما بعد باسم " الفلانيين " . وقد حكم خلفهم من الأسرة السوننكية امبراطورية " غانة " حتى مطلع القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) باستثناء الفترة التي استولى خلالها المرابطون على عاصمة " غانة " من عام ٤٩٧ - ٤٩٩ هـ / ١٠٧٦ - ١٠٧٨ م . وفي عهد هذه الأسرة بلغت الامبراطورية أوج قمتها وذروة مجدها وازدهرت اقتصاديا وعسكريا .(١)

وقد اشتملت هذه الامبراطورية على منطقة واسعة من الحدود المتاخمة لجنوبي الصحراء الكبرى شمالا وامتدت جنوبا الى مناجم الذهب في" بمبوك " ومن نهر النيجر في الشرق الى المحيط الأطلنطي غربا .

هذه المنطقة تشكل حاليا جزءا من جمهورية موريتانيا ، وكلا من جمهوريتي السنغال ومالي .(٢)

وقد دان لهذه الأمبراطورية بالولاء عدد كبير من ملوك السودان الغربي ابان عزها وقوة سلطانها ، ولا نبلغ حد الشطط اذا قلنا ان غالبية ملوك هذه المنطقة كانوا يدينون لها بالولاء التام ، ويؤيد ذلك قول ابن خلدون : " كانوا أعظم أمة وأضخم ملك ".(٣)

---

(١) امبراطورية غانا الاسلامية ص٢٧.

(٢) P.B. Clarke, West Africa and Islam p.37.

(٣) العبر جـ٦ ص ١٤٩.

ورغم المعارك العديدة التي خاضتها " غانة " مع دولة صنهاجة اللثام ودولة المرابطين الا أن هاتين الدولتين لم تستطيعا أن تحملا ملوك " غانة " على الاسلام عنوة . والسبب في ذلك يرجع الى أنه لم تقدر أية واحدة منهما على سحق قوة " غانة " العسكرية والاستيلاء على جميع أراضيها ، وقد رأينا فيما سلف عن الدولتين الصنهاجية والمرابطية كيف أن كل واحدة منهما لم تزد على الاستيلاء على مدينة " أودغست " عاصمة " غانة " وكيف أن " غانة " لا تلبث أن تستردها وان كانت الدلائل تشير الى أن " غانة " لم تستطع أن تسترد عاصمتها الحيوية بعد استيلاء المرابطين عليها عام ٤٨٨ هـ / ١٠٦٧م.

وهاهو ذا البكرى يصف غانة وملوكها في العصر الذهبي ، فيقول :

" ان اسم ملك " غانة " في سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٣٩م " تنكامينين" الذى ولي سنة ٤٥٥ هـ / ١٠٣٤م ،وكان اسم الملك قبله " بسي " الذى ولي وهو ابن خمس وثمانين سنة ،وكان محمود السيرة محبا للعدل مرشدا للمسلمين ".(١)

أما عن عاصمتها ،وهي مدينة " أوكار" التي تحول اليهـا الملك بعد سقوط " أودغست " فيقول فيها " ومدينة " غانة " مدينتان احداهما المدينة التي يسكنها المسلمون ،وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا ،أحدها يجمعون فيه . ولها الأئمة والمؤذنون والراتبون ، وفيها فقهاء وحملة علم .. ومدينة الملك على ستة أميال من هذه وتسمى بالغابة والمساكن بينها متصلة ومبانيهم بالحجارة وخشب السنط"(٢)

---

(١) المغرب ص ١٧٥.

(٢) المصدر نفسه .

ورغم وثنية الملك الا أنه كان يحترم المسلمين ويكرمهم و يتخـذ منهم بعض خاصته ،وآية ذلك ابتناؤه مسجدا في مدينته يصلي فيـه من يفد عليه من المسلمين ، يقول البكرى :

" وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يفد عليه من المسلمين على مقربة من مجلس الحكم ".

وفي تصوير البكرى للحياة الاجتماعية ما لا يبقى مجالا للشك في أن الاسلام قد انتشر في ربوع الامبراطورية رغم تمسك الملك نفسه بالوثنية . وليس أدل على ذلك من كون " تراجمة الملك من المسلمين وكذا صاحب بيت ماله وأكثر وزرائه ".

ويصور البكرى الميزة التي كان يتمتع بها المسلمون تحت مملكته دون غيرهم . وتلك الميزة في التقاليد المرعية في السلام على الملك فيقول : " فاذا دنا أهل دينه جثوا على ركبهم ونثروا التراب على روؤسهم فتلك تحيتهم له ،وأما المسلمون فانما سلامهم عليه تصفيق باليدين ".(١)

وهنا يجدربنا الرد على المؤرخ الغربي في زعمه الكاذب بأن ملوك " غانة " قد حملوا على الاسلام عنوة عند استيلاء المرابطين على " أودغست ".(٢)

وهو زعم يفتقر الى دليل و يستند على أساس واه .. اذ أنه لو كان

---

(١) يراجع كتاب المغرب ص ١٦.

(٢) Hoben : The Mohammadan Emirates p.29.

خروج " أودغست " من أيديهم بحطهم على اعتناق الاسلام لاعتنقوه من القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى ، حين استولى الزعيم اللمتوني " تبولتان بن تيكلان " على المدينة للمرة الأولى ، ولكنهم لم يسلموا بل حولوا عاصمتهم الى " أوكار " التي تقع على مسافة خمسة عشر يوما في الجنوب ،فاذا كان المرابطون لم يزيدوا على الاستيلاء على " أودغست " فليس هنالك ما يحمل ملوك " غانة " على اعتناق الاسلام لأنهم لم يفقدوا الا جزءا صغيرا من مملكتهم .. وان كان حيويا جدا من الناحية الاقتصادية للدولة (١) . ومن الصعوبة بمكان تحديد الوقت الذى اسلم فيه ملوك " غانة " وذلك لعدم تحديده في المراجع التي بأيدينا .

فالزهرى الذى كان كتابه بعد كتاب البكرى يذكر أن ملوك " غانة " كانوا مسلمين في القرن الخامس الهجرى/الحادى عشر الميلادى. (٢)

والادريسي الذى كتب بعد أن أسلموا تحدث عن كونهم مسلمين فقط ولم يشر الى الوقت الذى أسلموا فيه. (٣)

وقد بدأ الضعف يسرى في أواصر مملكة " غانة " منذ هزيمتها على أيدى المرابطين ومنذ انفلت من يدها زمام مدينة " أودغست " ذات الحيوية الاقتصادية، والتي تمر بها صادرات وواردات السودان الغربي من ذهب وقطن وجلود وصمغ وعاج وعسل وذرة الى أقطار شمالي أفريقية .

---

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٣٠ .

(٢) نقلا عن كتاب: P.B. Clark West Africa and Islam p.18.

(٣) الشريف الادريسي : المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ص ٦ (ليدن ١٨٩٤) .

وبفقد هذه المدينة فقدت " غانة " أكبر مورد من مواردها .. وبتضاؤل اقتصاديات الدولة أخذ الضعف يدب في عظامها شيئا فشيئا حتى أنهى بها الحال الى سقوطها عام ٦٦١ هـ/ ١٢٤٠م على يد ملك صوصو الذى أغار عليها عدة مرات وأخيرا تم له الاستيلاء على العاصمة " أوكار ".

ومع أن هذا الملك لم يستطع أن ينشيء مملكة كبيرة بتحطيم مملكة " غانة " فانه مهد الطريق لقيام دولة " مالي " التي قامت بدور بارز في نشر الاسلام في السودان.(١)

وهنا يتحتم علينا أن نؤكد حقيقة ثابتة لا تقبل الجدل ، وهي أن أهمية هذه المملكة تتركز في أمرين اثنين ساعدا على انتشار الاسلام في كثير من بلاد أفريقيا الغربية وهما :

أولا : عدم صد هذه المملكة رعاياها عن اعتناق الاسلام وترك الحرية الكاملة لهم لممارسة شعائرهم الدينية ومنح المسلمين بعض الامتيازات التي لا يتمتع بها الوثنيون الذين هم على دين الملك.

ثانيا : ما يذهب اليه عدد كبير من المؤرخين من أن حكام هذه المملكة هم الأصل للشعب الفولاني الذى قام بدور كبير في نشر الاسلام والثقافة العربية في كثير من بلاد أفريقيا الغربية.(٢)

---

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٣٢.

(٢) المصدر نفسه.

أما " مالي " أو " ملّ " كما تسمى أحيانا ، فهو الاسم الذى أطلق على المملكة التي أسسها قبائل " السوننك " أو " المالنك " في منحنى النيجر .

وكانت قديما تحت حكم أسرة " كيتا ".

ويحيط الغموض تاريخ نشأتها لخلو المصادر المعتمدة في تاريخ السودان الغربي منه.

وكانت ذات يوم جزءا من امبراطورية " غانة " ، وان كانت تتمتع باستقلال ذاتي.(١)

وكان من بين ملوكها ، ملك أسلـم على يد شيخ طيب اثر محنة كادت تفنى البلاد والعباد .. ولكنها انجلت بفضل دعاء هذا الشيخ المسلم .. ولنترك المجال للبكرى كي يحدثنا عن هذا الحدث الجليل :

" عرف ملك " مالي " بالمسلماني لأنّ بلاده أجدبت عاما بعد عام ، فاستسقوا بقرابينهم من البقر كادوا يفنونها ، وكان عندهم ضيف من المسلمين يقرئ القرآن ويعلم السنة . فشكا اليه الملك ما دهمهم من ذلك ، فقال لهم :

أيها الملك ، لو آمنت بالله تعالى وأقررت بوحدانيته وبمحمد عليه الصلاة والسلام وأقررت برسالته واعتقدت شرائع الاسلام كلها ، لرجوت لك الفرج مما أنت فيه وحل بك. وأن تعم الرحمـة أهل بلدك وأن يحسدك على ذلك من عاداك وناوأك .

M.Hiskett. The Development of Islam in West Africa (١)
p.28.

فلم يزل به حتى أسلم وأخلص نيته ،وأقرأه من كتاب الله ما تيسر عليه. وعلمه من الفرائض والسنن ما لا يسع جهله ثم أمهله الى ليلـــة جمعة ، فأمره فتطهر فيها طهرا سابغا وألبسه ثوب قطن عنده ، وبرزا الى ربوة من الأرض ،فقام يصلى والملك عن يمينه يأتم به . فصليـــا من الليل ما شاء الله ع و" الشيخ " يدعو والملك يؤمن ،فما انفجـــر الصباح الا والله قد أعمهم بالسقي . فأمر الملك بكسر الدكاكير "أى الأصنام " وأخرج السحرة من بلاده . وصح اسلامه واسلام عقبـــه وخاصته، وأهل مملكته مشركون فوسموا ملكهم منذ ذلك الوقت بالمسلماني". (١)

تلك هي قصة اسلام أول من أسلم من ملوك " مالي ".

ومع أن البكرى لم يذكر لنا اسم هذا الملك ولا اسم العالم المسلم الذى كان له الفضل بعد اللّـه في اسلام الملك ،الا أن وجود داعية مسلم ينهض بأعباء الدعوة الى الله ببلاد هذا الملك يؤكد لنا أن الاسلام لم يكن غريبا في " مالي " أثناء هذا الحدث .

ولكن القلقشندى يذكر اسم أول من أسلم من ملوك " مالي " ، فيقول :

" وكان ملوك " مالي " قد دخلوا في الاسلام منذ زمن قديـــم وأول من أسلم منهم ملك اسمه " برمندانه " وحج بعد اسلامه فاقتفـــى به في الحج من جاء بعده من الملوك ". (٢)

---

(١) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص ١٧٨.
(٢) صبح الأعشى جه ص ١٩٣.

أما المقريزى فيقول : " ويقال ان أول من أسلم منهم ملك اسمه " سرمندانه " ويقال " برمندانه ".(١)

وتميز ابن خلدون بالدقة القصوى عندما تحدث عن اسلام أهل " مالي " وملوكها فقال : " .. ودخلوا في دين الاسلام منذ حين من السنين و حج جماعة من ملوكهم وأول من حج منهم " برمندار" وسمعت في ضبطه " برمندانه ".(٢)

اذ لا يعني بالضرورة أن يكون أول من حج من ملوكها أول من أسلم منهم . و خاصة أن هناك رواية شفوية مؤداها أن مؤسس أسرة الترووييين في حكم " مالي " واسمه " منسا نوفن تراورا " قد اعتنق الاسلام.. ولربما كان هذا الملك أو غيره ممن سبقه أوممن جاء بعده هو المعني في عبارة البكرى .(٣)

و مهما يكن من أمر ، فان الاسلام في هذه المملكة قديم قدم تاريخ دخوله في السودان الغربي . وتعد مملكة " مالي " أقوى وأغنى الممالك السودانية التي ظهرت في السودان الغربي ، و يميزها عن غيرها ذلك الدور الرائد الذى نهضت به من أجل توحيد القبائل الزنجية داخل ولايات ،وكذا الدور البارز الذى اضطلعت به من أجل نشر الاسلام والدعوة له في جميع بلاد المنطقة .(٤)

---

(١) الذهب المسبوك ص ١١٠ للمقريزى مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

(٢) العبر ج٦ ص ٤١٣.

(٣) راجع دولة " مالي " ص ٥٢.

(٤) دولة " مالي " ص ٢٥ و The Development of Islam in West Africa, p.29.

وقد مرت هذه المملكة بمراحل متعددة بين مد وجزر ولكن تاريخها الذهبي يبدأ بتاريخ مؤسسها الحقيقي " سندياتا " أو " ماري جاطه" سنة ٦٥١ - ٦٧٦هـ / ١٢٣٠ - ١٢٥٥م . ومن جاء بعد هذا الملك " منسا موسى " ويعتبر موسى أعظم ملوكها ، وفي عهده بلغت المملكة أوج مجدها وعزها وامتدت حدودها من بلاد " التكرور " غربا ، الى " دندى " شرقا ، ومن " ولاته " شمالا ، الى مرتفعات " فوتاجالون " جنوبا ، و" ولاته " أو " ايولاتن " هو الاسم الذى أصبح يطلق على ما كان يعرف " بغانه ".(١)

وكان أسلاف منسا موسى يحجون البيت الحرام كل عام ولكن زيارة منسا موسى للأراضي المقدسة سنة ٧٥٥ هـ / ١٣٢٤م كانت فريدة من نوعها من حيث الأبهة ..

وكتب التاريخ مليئة بذكر أحداث هذه الرحلة التي كانت من نتائجها أن انخفض سعر الذهب في أسواق القاهرة بسبب اغراقها بذهب السودان . ولسبب كثرة الذهب في أيدى الناس . ولم يرتفع سعر الذهب بعد ذلك لمدة سنوات طويلة .(٢)

ومن خلال هذه الرحلة اشترى السلطان موسى كتبا عديدة في الفقه على مذهب الامام مالك في مصر واستصحب معه كثيرا من العلماء والفقهاء الى بلاده ومن ضمنهم المهندس الأندلسي الشاعر أبواسحاق الساحلي .(٣)

وقد شيد له المذكور عمائر ومساجد أضفت على بلاده طابعا

----

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٣٥ .

(٢) دولة مالي ص ٨٤ .

(٣) العبر جـ٦ ص ٤١٥ .

اسلاميا متميزا في مجال فن العمارة .

ومن خلف هذا الملك " منسا سليمان " الذى ولى لمدة أربع وعشرين سنة ،وفي عهده زار ابن بطوطة مملكة " مالي ".

وقد بنى " منسا سليمان " المساجد والمدارس وجلب الى بلاده الفقهاء من مذهب الامام مالك.(١)

ولندع المجال لابن بطوطة كي يحدثنا عن " مالي " في تلك الحقبة وخاصة حياتها الدينية والاجتماعية فيقول :

" فمن أفعالهم الحسنة قلة الظلم فهم أبعد الناس عنه ، وسلطانهم لا يسامح أحدا في شيء منه ،ومنها شمول الأمن في بلادهم فلا يخاف المسافر اليها ولا المقيم فيها سارقا أو غاصبا ".(٢)

وعن محافظتهم على الصلوات وعنايتهم بتحفيظ القرآن يقول :

" ومنها مواظبتهم على الصلوات وملازمتهم لها في الجماعات ، وضربهم أولادهم عليها . وان كان يوم الجمعة ولم يبكر الانسان الى المسجد لم يجد أين يصلي لكثرة الزحام . ومن عادتهم أن يبعث كل انسان غلامه بسجادة ،فيبسطها له بموضع يستحقه حتى يذهب الى المسجد .. ومنها عنايتهم بحفظ القرآن العظيم وهم يجعلون لأولادهم القيود اذا ظهر في حقهم التقصير في حفظه ،فلا يفك عنهم حتى يحفظوه .(٣)

----

(١) تاريخ الدولة السودانية بأفريقية العربية ص ١١٣.

(٢) رحلة ابن بطوطة ص ٦٩٠ طبعة دار صادر ودار بيروت.

(٣) المصدر السابق جـ٢ ص ٢٠١.

والجدير بالذكر أن دولة " مالي " لم تكتف باعتناق الاسلام والحرص على مظاهره وعلومه فحسب ، وانما أخذت تدعو له بين الوثنيين حتى ان الدور الذى قامت به في نشر الاسلام يعد من أهم مراحله في افريقيا جنوبي الصحراء ،فقد اقترنت جميع فتوحاتها الحربية بالدعوة الاسلامية والى ذلك أشار العمرى بقوله :

وملك " مالي " في جهاد دائم وغزو ملازم لمن جاوره من كفار السودان. (١)

وتميزت الدعوة الاسلامية في " مالي " باتجاهين :

الأول : انتشار الدعوة في الامبراطورية نفسها ،ويتضح ذلك في الوجود الاسلامي المتمثل في الدعاة والعلماء والفقهاء والتجار المسلمين والحكام ،وان كانت الأغلبية على الوثنية . وكان هذا الوجود قديما كما أشار اليه القلقشندى وابن خلدون فيما سبق ..

كما كان لهذا الوجود طابعه المميز الراقي والذى يجذب اليه أنظار خاصة القوم فضلا عن عامتهم مما يدعو الى تقليده/ فضلا عن امتزاجه بالشعب بالمصاهرة والاختلاط وذوبانه في المجتمع بسلوك ممتاز كان له تأثيره المبكر وخاصة في الطبقة العليا. مما اقتضى اسلام أول من أسلم من الملوك فيها على يد داعية من هو؟ لا ؟ فيما رواه البكرى آنفا .

ومن مظاهر هذا الانتشار عناية الملوك بابتناء المساجد في أرجاء الأمبراطورية ومبالغتهم في عمارتها مما أعطى للأمبراطورية طابعا حضاريا وثقافيا .

وقد قيل ان السلطان " منسا موسى " كان يبنى مسجدا في كل مدينة تدركه صلاة الجمعة فيها. (٢)

---

(١) دولة مالي نقلا عن مسالك الأبصار.

(٢) تاريخ السودان ص٧.

ومن مظاهر الانتشار هذه كثرة المدارس في " مالي " ملحقة بالمساجد ومستقلة عنها ، وانتشرت بانتشارها لغة القرآن وعلومه وازداد الاقبال والاهتمام بحفظه ودراسته وقد مر بك وصف ابن بطوطة لهذه الظاهرة قبلا .

أما الاتجاه الثاني ، فقد تمثل في قيام " مالي " بنشر الدعوة الاسلامية فيما جاورها من الأمم الأفريقية السودانية بأسلوبين :

الأول : حركات جهاد في الوثنيين حولها ممثلة في انتشار حاميات " مالي " العسكرية بين ساحل المحيط الأطلسي غربا الى " كانوا " في أرض الهوسا شرقا والى قلب الأدغال في الجنوب . وأوغلت شمالا في الصحراء وأصبحت " مالي " أقوى دولة في السودان الغربي لها بأس شديد وسيادة ونظم ورسالة هي رسالة الاسلام تنشرها ، والى ذلك يشير العمرى بقوله :

" ملك " مالي " في جهاد دائم وغزو ملازم لمن جاوره من كفار السودان ".(١)

و تمثل الأسلوب الثاني في الحركة السلمية بايفاد العلماء والدعاة للدعوة الى الله . ومن تلك الوفود ، الوفد الذى وصل الى " كانوا " وكان يضم أربعين رجلا من " الماندنجو " بقصد الدعوة الى الله وذلك في فترة منتصف القرن الثامن الهجرى ونهايته.(٢)

---

(١) الدعوة الاسلامية في غربي أفريقيا وقيام دولة الفلاني ص ٤٠١ د / حسن عيسى عبد الظاهر طبعة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية.

(٢) لمزيد من التفصيل راجع الثقافة العربية في نيجيريا ص ٣٩.

وبدأت أمور الدولة تضطرب وانتهت " مالي " كأمبراطورية اسلامية -سنة الله في خلقه - وكان العامل القوى في التعجيل بتقويضها ووراثتها دولة " صنغاى " التي كانت تحت حكمها واستقلت عنها وحاربتها فملكتها ووسعت رقعتها .(١)

وعلى الرغم من سقوط مملكة" مالي" فان جهود أفراد شعبها في نشر الاسلام لم تتعثر ولم تتأثر بانهيار الدولة .

وفي عهد ملك " كانو" يعقوب الذى تولى الملك سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٥٢م الى سنة ٨٨٣ هـ/ ١٤٦٢م تقريبا ، وصل وفد آخر من " مالي " الى " كانو" ولكن هذا الوفد كان يختلف عن الأول ،حيث كان يتألف من " الفلانيين ".

وقد أحضروا معهم كتب التوحيد واللغة العربية ،وكانت الكتب الدينية المعروفة قبل ذلك غير القرآن هي كتب الفقه والحديث .

ولم يقم هذا الوفد في " كانو" كسابقه وانما واصل سفره شرقا الى " برنو" تاركا وراءه أفرادا منه في أرض الهوسا .(٢)

ثم قامت مملكة " صنغاى" على أنقاض " مالي " بعد أن كانت خاضعة لها . وكان أول من أسلم من ملوكها " زاكسى " وذلك في سنة(٤٠٠هـ) /القرن الحادى عشر الميلادى ،ويقال له " مسلم دم" ومعناه الذى أسلم طوعا .(٣)

-----

(١) الدعوة الاسلامية في غربي افريقيا وقيام دولة الفلاني ص ١١١.

(٢) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٣٩ و The Kano Chronicles in Palmer Sudanese Memoirs Vo. III p. 104-5

(٣) تاريخ السودان .

وقد مرت هذه المملكة بمراحل عديدة بين مد وجزر الى أن حكمها " الحاج أسكيا محمد " وكان عهده مفترق الطريق في تاريخ " صنغاى ".

فقد اتجه بها وجهة أخرى أقامت لها وجهها الاسلامي ، وكان يدين بعقائد المذهب السني.

و تقلد حكم البلاد واستخدم طائفة من الموظفين الأكفاء و نظم الجيش واستغل ثروة سلفه في النهوض بالشئون الاسلامية ، واستردت " تمبكتو " في عهده مكانتها كمركز للدراسات الاسلامية.(١)

وكان هذا السلطان قد انتزع الملك من آل " سن على " بعد أن كان قائدا من قواد هذه الأسرة المالكة .

غير أنه لم يكن في ذلك بالخارج الباغي أو الطامع للسلطان ، وانما تحسس طريقه الى ذلك على ضوء كلمة الاسلام وحالة المجتمع في عصره وما كان عليه " سن على " من البغي والطغيان .

وشهادة ذلك تلك الأسئلة التي وجهها الى الامام " المغيلي التلمساني " يطلب فيها حكم الاسلام في كثير من القضايا و من بينها قضية انحراف المجتمع وحكامه .(٢)

وكان له جهاد كبير في نشر الاسلام بين الوثنيين من جيرانه " الماندنجو " و " الفلاني " في الغرب ، والطوارق البربر في الشمال ، والهوسا في الجنوب ، وكذا بلاد " الموشى " الوثنية.(٣)

---

(١) الاسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى ص ٦٧ - ٧٠ .

(٢) الدعوة الاسلامية في غربي افريقيا وقيام دولة الفلاني ص ١١٢-١١٣ .

(٣) المصدر السابق .

ثم قام برحلة الى الحج سنة ٩١٦ هـ / ١٤٩٥م فاقت ما عرف عن " منسا موسى " في الأبهة والكرم ، التقى خلالها بالخليفة العباسي فطلب منه أن يجعله نائبا عنه في "صنغاى "، فأجابه الخليفة الى ذلك وجعل على رأسه قلنسوة وعمامة .

كما التقى في رحلته تلك بكثير من العلماء الصالحين ، منهم الامام جلال الدين السيوطي . ومما يسجل له ، أنه كان أول من عين القضاة للفصل بين الناس وفق الشريعة الاسلامية .

وجاء " الأساكى " بعده يشجعون العلم ، وكان لبعضهم مكتبات كبيرة يشترى لها دائما المخطوطات والكتب الجديدة التي تصل الى السودان من مصر والمغرب . وشاعت هناك كتب للامام السيوطي ، وكان لاتصاله برجال الدين البارزين في القاهرة كجلال الدين السيوطي وغيره وما قدموه له من نصائح وارشادات دور بارز في تطوير التعليم في السودان الغربي .(١)

ثم كانت نهاية هذه المملكة الاسلامية العظيمة على يد الجيش المغربي الغازى الذى أرسله الملك "أحمد المنصور الذهبي " أواخر القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى فقضى عليها ، وبذهابها لم يبق بعدها قوة ذات خطر في السودان الغربي .

واستقبلت المنطقة بقدوم الغزاة عهدا جديدا من حكم القواد الغزاة والباشوات ، ظل حوالي قرنين أصيب فيهما البلاد بالفتك والانحلال

---

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٤٥ .

والخمول ،فكثرت الحروب الأهلية وتحطمت الامارات الاسلامية الا ما كان من نشاط " الباجرمي " و" الوداى " في حوض تشاد في منتصف القرن الحادى عشر الهجرى السابع عشر الميلادى.

ووجدت الدعوة الاسلامية نفسها أمام حالات من الاختناق والتعويق ممثلة في انحرافات كثيرة من حملة الاسلام لبعدهم عن مفاهيمه الدقيقة وحقائقه الوضيئة ،وانفصام سلوكهم عن تعاليمه الناجعة ،ولم يجد من يقوم بتصحيح سيرته لدى الناس ومد رواقه على الحياة واشاعة نوره في المجتمع ..

وهكذا ترك المغاربة مرارة وحسرة في صدور أهل السودان الغربي مما كان له أسوأ الأثر خلال الأعوام التالية ..

وبذلك أسدل الستار على أقسى ما تعرض له السودان الغربي من الغزو الذى جاء من الشمال .

ثم استعد لغزو أجنبي آخر ، قدم هذه المرة من سواحل المحيط الأطلسي ومن الجنوب .. هو الغزو الأوربي الذى كانت فيه الضربة القاضية على تقاليد هذه الشعوب وقيمها وعلى ثقافتهم العربية الاسلامية . (١)

وبعد حين من الزمان ،قامت عدة حركات اصلاحية لنشر الاسلام وثقافته بين الوثنيين وتصحيح مفاهيمه لدى المسلمين المنحرفين ..
وقامت هذه الحركات بالجهاد في سبيل ذلك بالسيف واللسان والقلم .

---

(١) لمزيد من التفصيل يراجع " تاريخ انتشار الاسلام في غرب أفريقيا" ص ٦١ - ٧٣ د/ عبد الرحمن زكي ،دار الاتحاد العربي .

ومن أكبر هذه الحركات ،حركة الشيخ عثمان بن فودى في ممالك الهوسا الوثنية في نيجيريا .

وقد انتصر عليهم وأقام دولة اسلامية قوامها نشر العدل بين الناس واعادتهم الى العقيدة الصحيحة النابعة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وكان لهذه الحركة الجهادية أثر كبير في تقدم أحوال الاسلام والمسلمين ليس في نيجيريا فحسب ،ولكن في غربي أفريقيا كلها .

كما كانت الحركة اعلاء للثقافة العربية الاسلامية في تلك البلاد ، اذ لم تكن دعوة الى الدين منحصرة في التصوف وانما كانت مؤسسة على حركة علمية وعلى دراسة أصيلة ذات أهداف مرسومة غير مرتجلة .

وآية ذلك ما صدر من المؤلفات العلمية القيمة في تلك الفترة المبكرة من حركته، وأولها مؤلفات الزعيم المجدد " عثمان بن فودى " نفسه ، فقد ألف ما يربو على ثلاثين كتابا وبحثا في الفقه والسياسة والجهاد .

وكان شقيقه " عبدالله بن فودى " فقيها مؤرخا ولغويا نحويا وشاعرا أديبا ، له في كل هذه الميادين كل طريف رائع .. عرف من مؤلفاته أكثر من ثلاثة وعشرين كتابا بعضها لا يزال مخطوطا وبعضها ترجم ونشر في اللغات الأجنبية .. وكذا ابن الزعيم ، " محمد بلوبن عثمان "، فقد كان أديبا وشاعرا ومؤلفا بارعا ،له أكثر من ستة مؤلفات بين مخطوط ومطبوع.

والى جانب هؤلاء علماء آخرون حملوا رسالة الفكر وشعلة الحضارة الاسلامية. (١)

---

(١) يراجع " الثقافة العربية في نيجيريا " ص ٢٤٦- ٢٩٧.

وقد أدرك علماء الغرب من بريطانيين وفرنسيين منذ وطىء الاستعمار الأوربي غربي أفريقيا قيمة وأهمية المخطوطات العربية التي ألفها علماء السودان الغربي فنقلوا اكثرها الى مكتبات بلادهم . ودأبوا على بحثها ثم ترجمتها ونشرها بواسطة المعاهد العلمية عندهم .

ومع ذلك فلا تزال هناك الى اليوم مئات المخطوطات العربية في ميادين العلوم والمعارف المختلفة في مدن نيجيريا الشمالية ، وفي السنغال وبريطانيا وفرنسا لم تصل اليها يد التحقيق ، ومن هنا ندعو الباحثين المسلمين الى تكاتف الجهود - في العالم الاسلامي عامة والعالم العربي على وجه الخصوص على - تحقيق هذا التراث الاسلامي السوداني الهام ونشره لخدمة الدين والعلم ، وهو تراث يمثل عظمة الاسلام وتأثيره الايجابي الرائع فيمن اعتنقوه من الشعوب غير العربية ، كما يمثل اسهامات علماء السودان الغربي في اثراء مكتبة التراث العربي الاسلامي .. وهي جهود لا تقل عن مستوى جهود علماء المشرق والمغرب العربيين في تلك الحقبة من التاريخ الاسلامي ..

ولا شك أن الوقت قد حان للقيام بهذه الرسالة الجليلة ، والله مع العاملين .

الباب الأول

حياة الشعر العربي في غربي افريقيا

ويشتمل على الفصول التالية :

الفصل الأول : نشأة الشعر العربي في غربي افريقيا .

الفصل الثاني : الجذور الفنية للشعر العربي في غربي افريقيا .

الفصل الثالث : فنون الشعر العربي في غربي افريقيا .

الفصل الأول :

نشأة الشعر العربي في غربي افريقيا .

من مقتضيات الحديث عن نشأة الشعر العربي في غربي أفريقيا الحديث عن حركة اللغة العربية ، ومدى انتشارها في ربوع المنطقة قبل الاستعمار . فقد امتدت الثقافة العربية الاسلامية في المغرب الى السودان الغربي ...

وكانت لهذه الثقافة منافذ أطلت منها على ربوع المنطقة ..

ونحن على ذكر بما كتبه المؤرخون عن طرق القوافل التجارية التي كانت تصل السودان الغربي ومصر من جهة ، والتي تربط بينها وبين شمالي أفريقية " تونس " من جهة أخرى ، ثم التي تربط بينهما وبين الغرب الأقصى من جهة ثالثة . كانت هذه العلاقة تجارية في بدايتها ، وبظهور الاسلام ودخوله في السودان الغربي أصبحت علاقة دينية ثقافية في الدرجة الأولى .

وجاءت هذه العلاقة الدينية لتجعل هذه الشعوب أمة واحدة . تلتمس نظم حياتها وقيمها الأخلاقية من مصدر واحد هو الاسلام بجوانبه الشاملة للحياة .

وكان من الطبيعي اذن أن يهرع أهل السودان الغربي الى

تعلم هذا الدين الذى وجدوا فيه صلاح أمورهم ،وأن ينشطوا الى تعلم لغته ليتمكنوا من أداء شعائره على أتم وجه.

وبتعلم اللغة العربية أصبح مسلمو السودان الغربي يمثلون الطبقة المفكرة الراقية في تلك المنطقة حتى ان خبراء الادارة والتخطيط في الممالك الوثنية لم تجد بدا من الاستعانة بهم في أمور الدولة .

وقد مر فيما سبق كيف احتل المسلمون مناصب الترجمة والادارة في امبراطورية " غانه " الوثنية قبل أن تصبح امبراطورية مسلمة.

واستمر الحال على هذا الوضع حتى بعد اسلام الامبراطورية وسقوطها وقيام دولة " مالي " المسلمة على أنقاضها .. وقد مر بنا وصف البكرى لهذه الامبراطورية الاسلامية ومدى حرص أهلها حكومة وشعبا على تعليم أولادهم الدين واللغة العربية وتحفيظهم القرآن الكريم ..

ونحن على ذكر بالزيارة التي قام بها "أسكيا محمد" الى القاهرة في طريقه للحج ،فقد كان من نتائج النصائح والارشادات التي أسداها اليه رجال الدين البارزون في القاهرة ،مثل جلال الدين السيوطي وغيره - أثر كبير على تطوير التعليم في المنطقة ،.. فقد تطور التعليم في جامع "سنكورى" وأصبحت قبلة للطلبة في السودان الغربي ، وكانت العلوم التي تدرس فيها هي :

الفقه المالكي واللغة والنحو والبلاغة والصرف والمنطق والتاريخ والجغرافيا والفلك والحساب ، وليس من قبيل المبالغة أو الشطط القول بأن المراكز الاسلامية في السودان الغربي أصبحت صورة مصغرة للثقافة الاسلامية في مصر والمغرب بفضل هذه الزيارة المثمرة التي قام بها

"أسكيا محمد " الى القاهرة.[١]

وكان على رأس حركة "أسكيا محمد" الاسلامية النشطة العالم الجليل " الامام المغيلي " الذى كان له دور بارز في نشر الاسلام وتدعيم مفاهيمه والدعوة اليها وتوجيه الحكام للعمل بها في طبع المجتمع بطابع اسلامي.[٢]

أما مراكز الاشعاع الثقافي الاسلامي في السودان الغربي فتتمثل في التالي :

أ - تمبكتو :

وهي مدينة اسلامية منذ نشأتها " وما دنستها عبادة الأوثان ولا سجد على أديمها لغير الرحمن ".[٣]

وكانت في بداية أمرها مركزا يقصدها الطوارق للانتجاع بمواشيهم في فصل الجفاف ... وقد حفروا فيها بئرا ثم توالت الابار فيما بعد وأصبحت ملتقى للتجار يقيمون حولها للراحة..

وبمرور الزمن أصبحت سوقا للتبادل التجارى بين تجار الشمال والجنوب ،فبنيت فيها المساجد وقصدها كثير من العلماء وتحلق حولها العديد من طلاب العلم فأصبحت " تمبكتو " مركزا ثقافيا الى جانب كونها مركزا تجاريا هاما.[٤] وكان لسان سكانها فيها لغة صنغاى..

---

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٤٦.

(٢) الدعوة الاسلامية في غربي افريقيا وقيام دولة الفلاني ص

(٣) تاريخ السودان ص ٢١٨.

(٤) مملكة سنغاى في عهد الاسقيين ص ١٠٠.

أما العربية فكانت لغة الثقافة والادارة معا ،كما تحدث بها الناس كلغة شائع استعمالها .(١)

واشتهرت " تمبكتو " بحركتها الثقافية على النمط الاسلامي في السودان الغربي كله طيلة أيام " مالي " و" صنغاى ".

وقد خلفت لنا كثيرا من العلماء النجباء النحارير ،وكان من أشهرهم أحمد بابا التمبكتي صاحب كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج .. والسعدى ،صاحب " تاريخ السودان " ،والقاضي " ألفع محمود كعت " صاحب " تاريخ الفتاش " .

ب - جنـــى :

وهي تأتي في الدرجة الثانية بعد " تمبكتو" وكان بها كثير من العلماء وطلاب العلم ، ولذا كانت أهميتها تجبر " الأساكي " على احترامها ،فكلما مر جيشهم بها فانهم يلاقون قاضيها ويقدمون له الهدايا أويساعدونه على بناء مأوى لطلاب العلم أوبناء مسجد من المساجد .. ونعرف من علمائها الشهيرين أيام " الأساكى " " مورى جانا " الذى كان يباشر التعليم بمساجدها في القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى ، ثم القاضي " سانو" وكذلك " العبـاس كبى " و" محمد بارهايورو".(٢)

---

(١) ليون الأفريقي ص١٠٩.
(٢) مملكة سنغاى ص١٠٨.

ومن هذه المراكز أيضا " غاو" و" ولاته" و" كانو" و" كاتسنا"..

وتلك هي مراكز الاشعاع الثقافي الاسلامي الكبرى في السودان الغربي في تلك الفترة المبكرة من تاريخ المنطقة الاسلامي، والى جانبها مصادر أخرى للاشعاع منها :

المساجد ، والمدارس ، والعرائش المبنية في ربوع المنطقة ، والمدارس الأخرى التي تأخذ مكانها تحت الأشجار، ودهاليز العلماء وغيرها كالأفنية التي تتخذ للكتاتيب والخلوات والزوايا ..

وهكذا أخذ التعليم العربي الاسلامي يخطو خطوات حثيثة نحو التقدم والازدهار الى أن وصل الى أوج قمته وازدهاره في مملكة " صنغاى " أيام " الأساكى ".

ولعل أكبر دليل على ما وصلت اليه اللغة العربية من النضج والازدهار في تلك الوقت الأسئلة السبعة التي كان قد بعث بهما الحاج "أسكيا محمد " الأول الى الامام المغيلي حوالي سنة ٩٢٣هـ / ١٥٠٢م ،فكل سؤال منها يحتوى على أكثر من سطرين . أما عباراتها فشديدة القوة والتماسك ،ولاشك أن كاتبها من نوع الكتاب البارعين.(١)

وقد أثنى الباحثون على أسلوب أحد كتاب هذه الفترة وهو ("أحمد بابا التمبكتي " ووصفه بأنه أسلوب امتاز بالجزالة والموضوعية

---

(١) دولة صنغاى في عهد الأسقين ص ١٥٦.

العلمية والتمكن من المفردات ،وكتابة الجمل متناسقة و قصيرة [١] شأن المتمكن من اللغة .

أما المتانة فنلمسها في أن الرجل ألفاظه على قدر معانيه ، أما عباراته فهي شديدة الدلالة على ما يقصد . .

نعم ان القبائل التي دخلت الاسلام قد اتخذت اللغة العربية لغة حياة كاملة ،ومن ثمّ فانها تذوقت قسما هاما من الثقافة العربية وانتجت فيه . .

أما نتاجها الفكرى فقد طغت عليه الصبغة الاسلامية ،وطبيعي أن يكون الأمر كذلك ،فالذين كانوا ينتجون في هذا الميدان انما كانت تمثلهم النخبة التي تمكنت من الدين الاسلامي بواسطة اللغة العربية .

واصطبغت حركة الفكر بصبغة جديدة هي التي كان يمثلها الانسجام الكلي مع الاسلام ، فنحن نجد في المدن الكبيرة التي كانت ترتكز حولها ميادين النشاط الانتاجي والتعامل التجارى مثل " تمبكتو" و" ولاته" و" كانو " و" كاتسينا " .. وغيرها علماء ومفكرين وقضاة ، قد تمكنوا من دراسة اللغة العربية والفكر الاسلامي ،حتى أصبحوا ينتجون في ميادينها مختلف مؤلفاتهم بالشروح والكتابات التاريخية والفقهية واللغوية على النمط الذى كان عند العرب في المشرق والمغرب على السواء [٢].

وهكذا ازدهرت اللغة العربية وتمكن منها السودانيون وأنتجوا فيها طرائف رائعة الى أن بدأ الجيش المغربي الغازى في اقتلاع

---

(١) دولة سنغاى ص ١٥٦ مع تصرف.

(٢) دولة سنغاى ص ١٥٦.

جذورها ، فبدأت تذبل شيئا فشيئا حتى وصف بعض المؤرخين نتاج تلك الفترة الراكدة بأنه يتسم بالركاكة لبعده عن المتانة والجزالة ، ولكثرة الحشو واستعمال تعابير غير فصيحة.(١)

و مهما يكن من أمر فان الكتابات التي وصلت الينا من ذلك الوقت هي كتابات قليلة وكلها باللغة العربية ، ومن الاطلاع على مجموعها يستطيع الدارس أن ينتهي الى القول بأن الكتابة العربية قد بلغت مستوى مقبولا لدى كتاب تلك الفترة من السودانيين .

وبعد فترة الركود هذه ، انتعشت الثقافة العربية الاسلامية مرة أخرى في دولة " الشيخ عثمان بن فودى " المصلح المجدد ، وذلك في كتاباته وكتابات أخيه الوزير عبدالله بن فودى وابنه " محمد بلو " ، وغيرهم من كتاب تلك الفترة . أضف الى ذلك أن الشيخ المجدد قد وضع لدولته نظاما اداريا دقيقا خاضعا للنظم الاسلامية وجعل اللغة العربية اللغة الرسمية والثقافية فيها ، وتشهد الرسائل التي تبودلت بين الشيخ المجدد والشيخ " الكاشجي" على ما وصلت اليه اللغة العربية من ازدهار وتطور في تلك الفترة .

على أنه يجدر بنا الاشارة هنا الى الكتب التي أثرت في الثقافة العربية الاسلامية لهذه المنطقة لنتمكن من الحكم على الشعراء الذين سندرسهم في الفصول القادمة على ضوء الظروف والامكانات الابداعية المتاحة لهم ..

---

(١) دولة سنغاى ص١٥٧.

ومن المستحسن أن نسرد هذه الكتب حسب فنونها وهي كالتالي :

الفقه وأصوله :

١ - المدونة الكبرى .
٢ - مختصر الخليل .
٣ - المنتقى للباجي .
٤ - تحفة الأحكام لابن عاصم .
٥ - جامع معيار الونشريسي .
٦ - جمع الجوامع للسبكي .
٧ - التوضيح .
٨ - رسالة ابن أبي زيد القيرواني .
٩ - الأخضرية .
١٠- العشماوية .
١١- العزية .
١٢- منظومة القرطبي .
١٣- ابن رشد .
١٤- ابن عاشر .
١٥- الورقات لامام الحرمين .
١٦- أصول السبكي .
١٧- القرافي .
١٨- الكوكب الساطع .

الحديث وعلومه :

١ - كتب الصحاح الستة.

٢ - الموطأ للامام مالك.

٣ - ألفية العراقي .

السيرة النبوية :

١ - ألفية العراقي في الشمائل النبوية.

٢ - الشفا للقاضي عياض .

٣ - سيرة ابن هشام .

القراءات :

١ - منظومة ابن البرى .

٢ - القصيدة الشاطبية.

التوحيد :

١ - السنوسية وشرحها .

التنجيم :

١ - الهاشمية في التنجيم.

المنطق :

١ - رجز المغيلي .

٢ - مقدمة التاجورى .

النحـــــو :

١ - الآجرومية .

٢ - ملحة الاعراب للحريري .

٣ - قطر الندى لابن هشام.

٤ - شذور الذهب .

٥ - بلوغ الأرب .

٦ - خلاصة ابن مالك.

٧ - البهجة المرضية للسيوطي .

٨ - المنهج السالك للأشموني .

٩ - شرح قطر الندى للماروديني .

١٠- الفريدة للسيوطي .

١١- التحفة الوردية وشرحها .

١٢- مختصر ابن الحاجب .

١٣- تسهيل ابن مالك.

١٤- فرعا ابن الحاجب .

اللغة والأدب :

١ - العشرينات .

٢ - الوتريات .

٣ - الشعراء الستة.

٤ - مقصورة ابن دريد .

٥ - المقامات للحريري .

٦ - الحكم العطائية .

العروض والقوافي :

١ - الرامـزة .

٢ - الدرر اللوامع .

٣ - الخزرجـية .

البلاغـــة :

١ - تلخيص المعاني .

٢ - ألفية المعاني .

٣ - الجوهر المكنون .

٤ - شرح النقاية للسيوطي .

٥ - تلخيص المفتاح .

٦ - مختصر السعدى .

٧ - صغرى السنوسي .

٨ - نظم ابن مقرعة .

٩ - شرح الجزائرية . (١)

تلك هي الكتب المتداولة في هذه المنطقة... وجدير بالذكر الاشارة الى أن كتاب الشعراء الستة الجاهليين من أقدم النصوص التي كانت متداولة في هذه المنطقة .. وعليه ، وعلى الاستشهادات الشعرية المبثوثة في كتب البلاغة والنحو والتاريخ وغيرها اعتمدوا في تكوين ملكاتهم الفنية بعامة والشعرية بخاصة .

---

(١) - ايداع النسوخ ص٦٠٣ .

في هذه التربة الثقافية ، نشأ الشعر العربي في غربي أفريقيا ..

ولكن متى حدث ذلك .. ؟

ليس من السهل على الباحث أن يهتدى الى تاريخ صحيح لنشأة الشعر العربي في هذه البلاد أو أوليته ..

ذلك أن الشعر السابق للقرن العاشر الهجرى/السادس عشر الميلادى يحيط به شيء من الغموض والضبابية مما يصعب معه الاهتداء الى أشعار تلك الحقبة .. على أن هناك حقائق تاريخية تشير الى وجود شعر عربي اللسان في المنطقة في تلك الفترة التاريخية .

فالمؤرخ الافريقي السعدى يشير في كتابه الى نبوغ شعراء سودانيين والاغراض التي تناولوها (١) ، غير أنه لا يسعفنا بذكر نماذج من تلك الاشعار .

ولعل آثار تلك العهود وأشعارها قد انطوت عليها حجب الزمان وأسدلت عليها أستار النسيان ، فلم يصل الينا منها شيء ، ولم نهتد فيها الا على خبر .

ونخلص من ذلك كله الى أن الشعر العربي بغربي أفريقيا قد تهذبت حواشيه في زمن لا نعرفه ولا يمكن أن نهتدى اليه .

ومن هنا فان الجزم بأولية الشعر أو تحديد الزمن الذى هذبت فيه حواشيه وأطيلت قصائده يصبح ضربا من المستحيل .

---

(١) تاريخ السودان ص ٢١٨ .

ولعل أقدم النصوص الشعرية التي وصلتنا حتى الآن لشعراء غربي أفريقيا السودانيين هي ما عثر لبعض الفقهاء السودانيين أمثال " أحمد بابا التمبكتي " والطالب بن محمد بن الطالب عمر الخطاط بن محمد نض ، والشيخ يحيى التادلسي ، وعبدالله بن محمد القاضي والفقيه أميننا مينخن بن الفقيه مالك.

وهي نماذج يؤرخ لأقدمها بالقرن العاشر أو الحادى عشر الهجرى ...

فمثلا نجد لأحمد بابا التمبكتي مقطوعة في الحنين الى بلده ، عندما كان في منفاه " بمراكش " ، يقول فيها :

أيا قاصدا " كاغوا " فعج نحو بلدتي
وزمزم لهم باسمي وبلغ أحبتي
سلاما عطيرا من غريب وشائق
الى وطن الأحباب رهطي وجيرتي
وعندى أقارب هناك أعزة
على السادة الألى دفنت بغربتي
أبى زيدهم شيخ الفضائل والهدى
وصنو أبي عمي وأقرب أسرتي
وسيفي فسيف البين سل لفقدهم
على وهل الموت ركني وعمدتي
ولا تنس عبدالله ذا المجد والندى
فقد مد حزني فقد قوتي وعشرتي
وشبان بيتي سارعوا عن أخيرهم
الى ملك الأملاك في وقت غربتي

فوا أسفا منهم وحزني عليهم
فيا رب فارحمهم بواسع رحمتي (١)

ويبدو في هذا الشعر لين وضعف في النظم مما لا يخفى على أحد درس أبسط القواعد العروضية ، فالبيت الثالث من المقطوعة منكسر وكذا الشطر الثاني من البيت الخامس ، والأبيات من الطويل ..

وللطالب بن محمد بن الطالب بن نـفّ المتوفى ١١٦٥هـ مقطوعة في زجر النفس ، يقول فيها :

مالي على اللهو واللذات واللعب
عكفت ويحى فما يكون منقلبي
ولى الشباب وأقبل المشيب ولم
أفق ولست بذى علم ولا أدب
قد ينقضي اليوم ثم اليوم يتبعه
شهر وعام بل أعوام ولم أتب
مرخي العنان بروضة الهوى ولقد
سودت في نيلها وقرا من الكتب
أظل خلف الأماني والهوى حكمي
وللمحال من الأيام في الطلب (٢)

----

(١) بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ص ٥٤٤ .
و مملكة سنغاى ص ١٥٨ .
(٢) فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ص ١٢٩ دار الغرب الاسلامي ، بيروت .

والأبيات من البسيط غير أنها تتسم برداءة النظم ، فالشطر الثاني من البيت الأول مكسور والبيت الثاني كله كذلك ،وكذا الشطر الأول من البيت الرابع .

وواضح أن هذه الأبيات تمثل المرحلة البدائية في النظم، وتلمح الى غيره من الشعر المفقود . .

أما الشيخ " التادلسي " فله رثاء جميل في أحد العلماء المدرسين في زمانه وهو محمد سميدع يقول فيه :

أطلاب علم الفقه تدرون ما الذى
يثير هموم القلب من كل وافد
يثير هموم القلب فقر سميدع
فقيه حليم حامل للفرائد
محسن تعليم مقرب فهمه
وفتاق تهذيب بحسن القواعد
محمد الأستاذ مؤدب ذى النهى
رباطا صبارا أمره في التزايد
فيا عجبا هل بعده من مبين
ويا عربا هل بعده من مجالد (١)

والأبيات السابقة سليمة من حيث نظمها وجيدة من حيث معانيها . .

وقد ذكر صاحب كتاب فتح الشكور مساجلة شعرية بين الفقيه " أميننامينخن"

---

(١) تاريخ السودان ص ٤٩ .

وبين عبدالله بن محمد القاضي العلوى ، يمازحه الأخير في برزونة له قائلا :

لسيدنا مينخن ، برذونة اذا
خطت أخطأت سير المراضي الأمالح
تباشر الأعراف منها ذوابة
على نافع ابن التونسى بن صالح

فأجابه مينخن :

لئن كان عبدالله قد عاب عرفها
وأخطأها سير المراضي الأمالح
فقد زانها تلبيفها واصطلاؤها
اذا ارتكبت يوما أمام الملا لح
عليها فتى لا ينثنى لكريهة
وليس بذى سيف وليس برامح (١)

وقد تمت هذه الساجلة في حدود سنة الأربعين بعد المائة والألف من الهجرة ...

والنماذج السابقة لا تعدو أن تكون محاولات من فقهاء وعلماء كبار لم يبرعوا في قصائدهم براعتهم في علومهم ، اذ يغلب على

---

(١) فتح الشكور ص ٦٣ .

أشعارهم شيء من الضعف والركة ، وتخلوا من الخيال والتصوير ، وتتجاوز في كثير من الأحيان أبسط قواعد العروض وعمود القصيد .. على أنها تمثل المرحلة التي تسبق الأشعار التي سنتناولها بالدراسة وهي المرحلة التي يؤرخ لها بما بين القرن الثالث عشر الهجرى الى القرن الخامس عشر .

الفصل الثاني .

الجذور الفنية للشعر العربي في غربي افريقيا .

لعل مما يثير الدهشة للوهلة الأولى قراءة هذا العنوان :

" الشعر العربي في غربي أفريقيا " ، وتزداد الدهشة عندما يظهر أن هذا الشعر قد جادت به قرائح أبناء هذه المنطقة وهم أبعد ما يكونون عن جزيرة العرب ،فكيف تأتى لهم قرض الشعر بلسان عربي مبين .. ؟

ولكن لا تلبث الدهشة أن تزول شيئا فشيئا عندما يظهر أن هؤلاء الشعراء الذين نطلق عليهم " شعراء العربية بغربي أفريقيا" كانوا من المسلمين .

وغني عن البيان أن الاسلام هو الذى أسلمهم الى هذا الاتصال الوطيد باللغة العربية .. كيف لا .. ؟ وقد كانت معجزته الخالدة هي القرآن المجيد الذى شرف الله لغة العرب أن يكون بلسانها .

وبهذا اللسان تتأتى للمسلم اقامة شعائر دينه في كل مكان.

ومن هنا كان التعريب غالبا ما يواكب الاسلام في خطواته جنبا الى جنب في كل شبر تطأ فيه أقدام المسلمين في أرجاء المعمورة .

وكان شعراء العربية في غربي أفريقيا ممن أقبلوا على العربية رغبة في معرفة شرائع الاسلام وآدابه أولا ،ومن ثم بثها في بني جلدتهم.

ومن خلال تحقيق هذه الرغبة الملحة تاقت نفوسهم الى معرفة وجوه اعجاز القرآن البيانية وتذوق جمال أساليبه .. فاقتضت هذه الرغبة الأكيدة منهم الانكباب على العربية شعرها ونثرها وعلى دراسة علومها، نحوا وصرفا وبلاغة وفقه لغة كما سبق أن أشرنا .

وهكذا استطاعوا أن يتذوقوا من خلال النصوص الأدبية الرائعة التي أدمنوا الانكباب عليها الجمال الفني والبيان الساحر لهذه اللغة الثرية الخالدة ،فألفوا أنفسهم مدفوعين الى الاحتذاء على هذا البيان الخلاب ،فراحوا ينسجون على منواله ويطبعون على غراره، فاتجهوا أول ما اتجهوا الى الأصول الفنية الأولى التي تمثل التقاليد العريقة (الكلاسيكية) للشعر العربي متمثلا في التراث الجاهلي بمطولاته ومعلقاته ومذهباته.

وقد تتلمذوا أول ما تتلمذوا على امرئ القيس والنابغة وزهير وطرفة والأعشى وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وعبيد ولبيد وأضرابهم ممن رسخوا التقاليد الفنية للشعر العربي القديم .. ثم تتلمذوا على المخضرمين والاسلاميين ممن ساروا على عمود الشعر العربي وأكدوا طرقه ومذاهبه ،ووسعوا مجالاته ومقاصده ،من أمثال كعب بن زهير والخنساء وحسان وأضرابهم ..

ثم استوعبوا الأنغام الجديدة التي تميز بها المحدثون من أمثال أبي نواس وأبي تمام والمتنبي وطبقتهم .. بل انهم ليستوعبون الأصداء الفنية لشعراء الدول المتتابعة من أمثال التهامي والبهاء زهير وأضرابهم.. ولا يجدون حرجا من ترديد بعض الأصداء الفنية في عصور الضعف .. شعورا منهم بأن عليهم أن يتمثلوا الشعر العربي كله بكل ألحانه وأنغامه

وقوالبه حتى يؤكدوا في فنهم الشعرى عملية الانتماء تأكيدا لا يلحقه ريب ..

وهكذا نجد ملامح الشعر الجاهلي تتراءى قسماته واضحة خلال أشعارهم كما نلحظها مثلا في هذه القصيدة التي يمدح بها الشاعر "محمد بللو" بعض شيوخه فيقول :

يا دار سلمى بقو أو بخيف منى
أقوت كأن لم تكن صارت لها وطنا
خطت بها شعبها عن جمع أقنتها (١)
يبغون دارا بذى قارلها أقنا
خلت كأن بها خيط النعام ضحى
كوم تروت وآتت في الضحى عطنا (٢)
وحين لم ألف الغا في معاهدها
سليت نفسي بصعب ان جرى أرنا (٣)
فحل سبحل أنيق عوهن ثقف
كأنه قارب أمواجه السفنا (٤)
كأن رحلي بذى ضال ودارتها
على أقب بجزع يبتغى أتنا

---

(١) الأقنة : الحفرة في الأرض - ومن بيوت العرب : أقنة من حجر والجمع " أقن ".
(٢) العطن : مأوى الابل ومراحها وقد غلب على مبركها حول الحوض . والكوم : الطعمة من الابل .
(٣) أرن : نشط .
(٤) السبحل : البعير الضخم.

مسجج فارع مستأنس وحـــد

مما تعاوره الكلاب في ضجنـــا (١)

فأفردوه فأضحى لا يوالفـــه

عين ولا مسحل البهمى لذا مزنـا (٢)

وواضح أن شاعرنا يستلهم النابغة في مطلع معلقته :

يا دار مية بالعلياء فالسنـدى

أقوت وطال عليها سالف الأمـد (٣)

ولكنه لم يقف في ذلك عند أبي أمامة فحسب ،بل انه يستلهم النهج الجاهلي عموما من حيث المعجم اللفظي والقالب الفني ، فهو يذكر الديار والأماكن التي ذكرها شعراء الجاهلية ووقفوا عليها مثل " قو " وحيف منى " وذى قار وذى ضال وأقب .. وما الى ذلك.

أما محبوبته التي يقف على ديارها "فسلمى" التي طالما تغنى بحبها الشاعر العربي القديم ويظهر المعجم اللفظي للشعر الجاهلي في مثل " أقوت" أقفرتها ، خيط النعام ،عطنا ،معاهدها ،بصعب ،أرنا وفحل سبحل عوهن تقف ،أتنا ،مسجج ، فارع ، ضجنا مسحل البهمي .. الى آخر هذه الكلمات الغريبة الجزلة.

---

(١) مسجج : معضض مكدم ،فارع : المستقلّ ،الضجن : جبل.

(٢) المسحل : الحمار الوحشي ،البهمي : نبت ،مزن : ذهب لوجهه.

(٣) ديوان النابغة الذبياني ص ٢١ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور طبعة الشركة التونسية للتوزيع .

وأخيرا يسلى نفسه عندما لم يجد أليفا في معاهد محبوبته بركوبه الفحل ،وتسلية النفس عن همومها بالمطية الذلول تقليد فني جاهلي ،فها هو ذا طرفة بن العبد يقول :

وإني لأمضى الهم عند احتضاره
بعوجاء مرقال تروح وتغتدى (١)

ثم ينظر شاعرنا الى قصيدة النابغة التي يرد فيها على بدر بن حذار والتي يقول فيها :

ألا من مبلغ عني حريما
وزبان الذى لم يرع صهرى
.. فلم يك نولكم أن تقذعوني
ودوني عازب وبلاد حجر.. (٢)

فيقول شاعرنا في انتصار جيش المسلمين على التوارك الوثنيين :

ألا أبلغ توارك أهل "أزين"
علانية فقد ذهب السرار
..فلم يك نولكم أن تشتمونا
وتفتخروا اذا جد الفخار

فاستلهامه لقصيدة أبى أمامة المذكورة شديد الوضوح تدل عليه هذه الألفاظ: " ألا أبلغ " "فلم يك نولكم أن تشتمونا " ، وهذا الشطر يكاد يكون

---

(١) ديوان طرفة بن العبد ص ١٢ شرح الأعلم الشنتمرى ،مطبوعات مجمع اللغة العربية " بدمشق .

(٢) ديوان النابغة الذبياني ص ٨٥ تحقيق الدكتور شكرى فيصل ، طبعة دار الفكر .

مأخوذا حرفيا من أبي أمامة في قوله " فلم يك نولكم أن تقذعوني " لولا أن الشاعر بدل كلمة " تشتمونا " بـ " تقذعوني " التي تحمل نفس المدلول .

ويضرب شاعرنا أيضا على أوتار النابغة في وصف المتجردة حيث يقول :

لا مرحبا بغد ولا أهلا بـه
ان كان تفريق الأحبة في غد
جاء الرحيل ولم تودع مهددا
والصبح والاسماء منها موعدى
في اثر غانية رمتك بسهمها
فأصاب قلبك غير أن لم تقصدى
.. القصيدة (١)

فينسحب شاعرنا على أذياله متحسرا على فراق العلماء النحارير الكرام الذين أرسوا قواعد الاسلام بربوع البلاد ،فهو يصفهم ويتألم على فراقهم فيستعير في ذلك من مطلع قصيدة النابغة المذكورة شطره الأول فيقول :

لا مرحبا بغد ولا أهلا بـه
ان كان بعد غد يكون بعاد
والبين موت للقلوب فيا له
موتا وان بقيت به الأجساد ..

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين جـ١ ص ٢٢٩ للأعلم الشنتمرى ، طبعة دار الفكر .

ويضرب عبدالله بن فودى الوزير على قيثارة أبي أمامة أيضـا مستلهما بائيته في مدح عمرو بن الحارث الأصغر . فيقول شاكيا حال أهل زمانه الذين انحرفوا عن الجادة ولم يستقيموا على الطريقة بل استبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير ، فعز على نفسه الأبية أن يرى بني جلدته في هذه الارتكاسة الأخلاقية ولا يملك لهم سوى التحسر والهجران ، وهو موقف جد حزين كان صداه هذه القصيدة ذات اللحن الدامع :

فلما مضى صحبي وضاعت مآربـي
وخلفت في الأخلاق أهل الأكاذب

يقولون ما لا يفعلون وتابعـوا
هواهم وطاعوا الشح في كل واجب

وليس لهم علم ولا يسألونـه
وأعجب كلا رأيه في المذاهـب

وقطع أرحاما وأزرى معارفـا
وآثر عن قرباه جمع الاشائـب

وما همهم أمر المساجد بـل ولا
مدارس علم بله أمر الكتائـب

وهمتهم ملك البلاد وأهلهـا
لتحصيل لذات ونيل المراتـب

بعادات كفار وأسماء ملكهـم
وتولية الجهال أعلى المناصـب

وأكل هدايا الجاه والغيء والرشـا
وعود ومزمار وضرب الدبـادب

وان قرين السوء يعدى قرينـــــه
بما فيه اعداء الصحـاح الأجـارب

وقد طار قلبي للمدينة ثاويــــــا
سنين بها شوقا وليس بآيـــــب

صرفت عناني عنهم متوجهـــــا
الى خير خلق الله معطى الرغائب

وكم ليلة بتنا بها نابغيـــــــة
ولا نار الا نارنا في السباســـب

وسمارنا جيراننا أقرباؤ نـــــــا
بعوض وحيات وجمع العقـــارب

أوانسـنا أقواســـنا وحمايلنـــا
رماح وأسـياف رقاق المضـــارب

.. القصيدة (١)

أما قصيدة أبي أمامة فهي التي يقول فيها :

كليني لهم يا أميمة ناصـــــب
وليل أقاسيه بطـيء الكواكـــب

تطاول حتى قلت ليس بمنقــــض
وليس الذى يرعى النجوم بآيــب

وصدر أراح الليل عازب همـــــه
تضاعف فيه الحزن من كل جانـب

---

(١) تزيين الأوراق ص ٤٦ مخطوط .

.. علي لعمرو نعمة بعد نعمة
لوالده ليست بذات عقارب
وللحارث الجلني سيد قومه
ليلتمسن بالجيش دار المحارب
وثقت له بالنصر اذ قيل قد غدت
كتائب من غسان غير أشائب
بنو عمه دنيا وعمرو بن عامر
أولئك قوم بأسهم غير كاذب
تراهن خلف القوم خزرا عيونها
جلوس الشيوخ في ثياب المرانب
فهم يتساقون المنية بينهم
بأيديهم بيض رقاق المضارب
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب
رقاق النعال طيب حجزاتهم
يحيون بالريحان يوم السباسب
.. المعلقة (١)

ولعل في وصفه ليلته بأنها نابغية اشارة الى ليلة النابغة الذبياني وليس الى مجرد وصفها بالطول ومرارة التسهيد ، وخاصة أننا نلاحظ في قصيدة عبدالله بن فودى تأثرا واضحا بالبائية النابغية ..

---

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ٤٠ - ٤٨ .

وتظهر ملامح هذا التأثر في وصفه الأسياف برقة المضرب وهو وصف مأخوذ من شطر بيت النابغة الذى يقول فيه : " بأيديهم بيض رقاق المضارب " .

كما نلاحظ أخذه كلمات من المعجم اللفظي لأبي أمامة ، ويظهر ذلك في الكلمات: " الأكاذب " ، " المذاهب "، " الأشائب "، " الكتائب "، " المراتب"، " المحارب " ، " يآيب " ، " السباسب " ، " العقارب " ، " المضارب " . . وهذا الصنيع الى التأثر أقرب منه الى توارد الخواطر . فشاعرنا قد تيم بغن النابغة في هذه القصيدة فنظر اليها نظرة اجلال و اكبار ، ومن ثم نسج على منواله معجما وقالبا ، وان كان قد استطاع أن يتسلل من القالب الفني والمعجم اللفظي الجاهليين ، ليضمن قصيدته روحا اسلامية تعبق بمعاناة رجل الدين الذى يرى المجتمع حوله قد ارتكس في حمأة المعاصي وشتى الانحرافات الأخلاقية التي يأباها الدين ، فينصح لهم فلا يجد منهم اصغاء لأنهم لا يحبون الناصحين . و يلفى نفسه كالذى ينفخ في الرماد فلا يملك سوى الهجران فرارا بدينه . .

و ما دام الحديث يدور في فلك أبي أمامة ومن استلهموه من شعراء العربية في غربي أفريقيا ، فمن الحق علينا أن نذكر الشاعر الأديب الوزير الجنيد اذ استلهم بائية النابغة المذكورة سلفا ، فقال :

تطاول ليلى واستمرت وساوسي
وفاضت على صدرى بحور المدامع
وبت أراعي النجم في غيهب الدجا
أشير اليه تارة بالأصابع
.. القصيدة (١)

---

(١) ديوان الوزير الحفيد ص ٣ مخطوط .

فان ليلته التي بات يراعي فيها النجوم ويتقلب فيها على الجمر هي نفس ليلة النابغة التي بات هو الآخر يراعى فيها النجوم ويقاسي مرارة التسهيد ..

وقد تأثر الوزير الجنيد أيضا في احدى قصائده بمعلقة امرىء القيس المشهورة . فيضرب الجنيد على أوتار الملك الضليل قائلا :

ألا أبلغن عني " لاقدس "(١) تحية
تفوح بعرف المسك أوعرف صندل
وبلغ لأهليها سلاما مباركا
يعم شذاه من تحيت ومن عل
وفيحاءها حيث الظباء ترود في
خمائل تأتي من جنوب وشمأل
وأحسن بهاتيك الظلال فانها
مسارح جاد الغيث فيها بمسبل
بلاد عريضات وأرض أريضة
منازه عين الناظر المتأمل
ومنها بطاح واسعات تزينت
"بتاجام "(٢) دوم والنخيل المكلل
ومنها جبال شامخات يزينها
طرائق من آثار حاف ومنعل

---

(١) مدينة .
(٢) موضع .

أعد ذكر يوم في "تفارك"[1] قضيته
تجول به بين الأراك المظلل
وليل بواديها تهب به الصبا
على شاطيء وسط الكثيب العقنقل
وركضك في وعث الكثيب بخيبة
من النوق في أكناف ساحة منزل
وكم ذكرتني بيت شعر خيامها
بسقط اللوى بين الدخول فحومل
وأطربني منها غناء حمامها
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
وعولت مختما على عرصاتها
وهل عند رسم دارس من معول
فسليت عنها ثم قلت تأسيا
فسلي ثيابي من ثيابك تنسل
سلام على تلك البقاع وأهلها
نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل
.. القصيدة[2]

وواضح في هذه القصيدة اقتفاء شاعرنا خطى امرىء القيس في معلقته المشهورة ..

---

(١) موضع .
(٢) ديوان الوزير الجنيد ص ٢٨

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنـــزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضع فالمقراة لم يعف رسمهـــــا
لما نسجتها من جنوب وشـــمأل
ترى بعر الآرام في عرصاتهــــــا
وقيعانها كأنها حب فلفــــل
وقوفا بها صحبي علي مطيهـــم
يقولون لا تهلك أسى وتجمـــل
وان شفائي عبرة مهراقـــــة
فهل عند رسم دارس من معـــول
اذا قامتا تضوع المسك منهمـــا
نسيم الصبا جاءت بريا القرنفـــل
وان تك قـد ساءتك مني خليقة
فسلي ثيابي من ثيابك تنســـل
فلما أجزنا ساحة الحي وانتهـــى
بنا بطن جنب ذى قفاف عقنقـــل
.. المعلقة (١)

فشاعرنا يستعير تعبيرات امرىء القيس ، ويستعمل بعض أشطـــار أبياته ومعجمه اللفظي مثل : من عل ، جنوب وشمأل ، المكلل ، الكثيب ، العقنقل ، ساحة ومنزل ، فكل هذه الكلمات من معجم مطولة امرىء القيس ..

---

(١) شرح القصائد السبع الطوال ص ١٩ - ٢٩ لابي بكر محمد بن القاسم الأنبارى طبعة دار المعارف بمصر .

أما استعماله بعض أشطار أبيات الملك الضليل فوضوحه في القصيدة يغني عن ذكره ..

ومن ضربوا على ألحان الملك الضليل الشاعر محمد بللو وهو ممتلئ بلغة الجاهليين بعامة .

ويظهر ذلك في قصيدته التي أنشأها في الرد على الشيخ محمد الأمين الكانمي في اتهامه لحركة والده الجهادية ضد الوثنيين والمبتدعة في ختام رسالته :

ألا عم صباحا واحضر الذهن انني

حريص على من يقبل القول بالفهم ..

فلا يكاد المرء ينتهي من قراءة المقطوعة حتى تذكره ألفاظها بلغة الجاهليين عموما وبمطولة امرئ القيس التي يقول فيها :

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي

وهل يعمن من كان في العصر الخالي

.. القصيدة (١)

ويقول شاعرنا أيضا مخاطبا الكانمي في جواب آخر :

ألا من مبلغ عني الأمينا

رسالة ناصح يبدى اليقينا

أتعلم أننا مما رمينا

به برآء فاوف العذر فينا

---

(١) شرح ديوان امرئ القيس ص ١٣٩ دار صادر ودار بيروت.

وأنا ما تغلبنا عليهم
علوا أوفسادا قاصدينا
ولكن حين أخرجنا اعتداء
وبغيا صاح قمنا دافعينا
تبين أمرنا هذا أخانا
وفتشه ولا تعجل علينا.. (١)

وهوهنا ممتلىء الخاطر بواحدة عمرو بن كلثوم في بحرها وقافيتها وبعض ألفاظها في مثل قول عمرو :

أبا هند فلا تعجل علينا
وأنظرنا نخبرك اليقينا
اذا ما الملك سام الناس خسفا
أبينا أن نقر الذل فينا
.. المعلقة (٢)

فشاعرنا يستعير تعبيرات عمرو في مثل قوله : " فلا تعجل علينا" نخبرك اليقينا ، وناهيك في أن كلتا القصيدتين من بحر الوافر ومن قافية النون المطلقة .

---

(١) انفاق الميسور في تاريخ التكرور ص ١٨٨.
(٢) مختار الشعر الجاهلي ص ٣٦٤ جـ٢ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

وقد تغنى شاعرنا هذا بألحان زهير بن أبي سلمى في رثاء سناء ابن أبي حارثة وقيل حصن بن حذيفة الغزارى حيث يقول :

ان الرزيـة لا رزيـة مثلهـا
ما تبتغـي غطفان يوم أضلـت
.. القصيدة [1]

فيقول شاعرنا راثيا أستاذه وعمه عبد الله بن فودى مستعيـرا مطلع زهير أو شطر مطلعه :

ان الرزيـة لا رزيـة مثلهـا
رزء غـدا الاسـلام متثلما بهـا

وهي قصيدة طويلة ضمنها شاعرنا روحا اسلامية جيدة ، ولنا معها وقفة متأملة عندما نتناول المراثي في الفصول القادمة .. على أن شاعرنا هذا شديد التشبث بأنغام الجاهليين ، فها هو ذا هذه المرة يضرب قيثارته على أنغام عنترة في احدى حربياته مستعيرا مطلعه في يوم "عراعر" [2] حيث يقول :

ألا هل أتاها أن يوم عراعـر
شفى سقما لو كانت النفس تشتفـي
.. القصيدة [3]

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين جـ١ ص ٢٤١ .
(٢) عراعر: ماء لكلب أوموضع في ديارها .
(٣) ديوان عنترة ص ٢٢٨ تحقيق محمد سعيد مولوى طبعة المكتب الاسلامي .

فيقول شاعرنا في انتصار جيش المسلمين في موقعة " فافرا "[1] :

ألا هل أتاها أن غزوة " فافرا "

شفى سقما في القلب من حين أخبرا

.. القصيدة[2]

فهو يستعير تعبيرات عنترة مع تصرف طفيف في بعض الألفاظ المؤدية لنفس المعنى الذى قصده عنترة أو ما يقاربه ، فعنترة يقول : شفى سقما في النفس ، ويقول شاعرنا شفى سقما في القلب ، وفي قصيدة شاعرنا استعمالات أخرى لمعجم عنترة اللفظي كقوله : " فغادرن مسعودا " وقول شاعرنا : فغادر خيل الله للنصر هامهم .. ورغم أن شاعرنا حاول أن يقلد عنترة في حماسيته واستعمل بعض تعبيراته ، فان الأصالة الفنية لم تخالفه في ذلك ، حيث أنه قد استطاع أن يضمن قالبه الجاهلي القديم محتوى اسلاميا أضفى على قصيدته رونقا وبهاء وأكد لها طابعها الاسلامي المميز ، وسنقف طويلا عند هذه القصيدة عندما نتناول شعر الجهاد في الفصول القادمة ..

ولنتجاوز محمد بللو لنميط اللثام عن عمه الوزير الشاعر عبد الله ابن فودى لنكشف القناع عن مدى تمثل شعره للتقاليد الفنية للشعر القديم ، وهو الذى كان خير مثال على من حذوا حذو الشعراء الجاهليين

---

(١) فافرا : موضع بشمال نيجيريا .

(٢) اتفاق الميسور ص ١٤١ .

في المعجم والقالب . وها هو ذا يتغنى على أوتار حائية عنترة فيقول :

طربت فأشجاني الطيور الكوالح
وفرحني منها الغيوث الروائح
وخوفني منها ذياب بوارح
و أمنني منها الظباء السوانح
لقول النبي لا تزال جماعة
على الحق منا أو تجئ المقارح .. (١)

وشاعرنا في هذه القصيدة يستعير بعض تعبيراته من حائية عنترة التي يقول فيها :

طربت وهاجتك الظباء السوانح
غداة غدت منها سنيح وبارح
فمالت بك الأهواء حتى كأنما
بزندين في جوفي من الوجد قادح
.. القصيدة (٢)

ففكرة التشاؤم والتفاؤل من الطيور أو الظباء السائحة والبارحة مأخوذة من الشعر الجاهلي بعامة وان ظهر تأثره هنا بقصيدة عنترة.

---

(١) تزيين الورقات ص ١٨.

(٢) أشعار الشعراء الستة الجاهليين جـ٢ ص ١٥٨.

ولم يتوقف أخذ شاعرنا من عنترة عند فكرة التشاؤم والتفاؤل فحسب ، وانما تجاوزها الى البحر والقافية وبعض الألفاظ مثل " الظباء السوانح " و" سنيح وبارح " " طربت " منها .. ومع ذلك فقد نجح شاعرنا في الاتجاه بقصيدته وجهة اسلامية رائعة برغم أنه استهلها بفكرة أقرب ما تكون الى الجاهلية منها الى الاسلام .. ومن بواعث الاستغراب أن تكون هذه القصيدة التي بدأت بفكرة غريبة عن منطق الاسلام نداء اسلاميا وجهه صاحبها الى قومه " الفلانيين "(١) يدعوهم الى الانضمام الى سلك المجاهدين تحت قيادة أخيه المجدد الشيخ عثمان بن فودى .

وقد فعلت القصيدة فعلها في القوم فأقبلوا اليه رجالا وركبانا حتى قال أحد الباحثين ان هذه القصيدة قد ألهت الفلانيين عن كل شيء كما ألهت بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة عمرو بن كلثوم ..وللحديث بقية عن هذه القصيدة فيما سنتناول من الجهاديات في الفصول القادمة..

على أن شاعرنا قد نسج تراكيبها من معجم عنترة اللفظي وطبعها على قالبه الفني وان كان مضمونها اسلامي المعاني والمقاصد ..

وقد استلهم شعراء غربي أفريقيا أيضا تراث المخضرمين الشعرى : فهذه خنساء نيجيريا " أسماء بنت الشيخ عثمان بن فودى " تتأثر بتماضر بنت عمرو بن الشريد في بكائياتها ، وبخاصة مرثاتها لأخيها صخر التي تقول فيها :

---

(١) قبيلة اشتهرت بالرعي في غربي أفريقيا ولها تاريخ مجيد في نشر الاسلام بالمنطقة .

أعيني جودا ولا تجمدا

ألا تبكيان لصخر الندى .. (١)

فتندفع أسماء في رثاء بعض صديقاتها قائلة :

أعيني جودا وابكيا لي حبيبتي

وسلوة أحزاني وأنسا لوحشتي

على أنها لم تتأثر بتماضر الا في كلمة "أعيني جودا" وكأنها تريد أن توحي الى السامع بأنها تنطلق في فنها من أساس متين ، وأن نسبها الفني في الرثاء تتصل حلقاته لتصل الى ربة هذا الفن في الشعر العربي ، وهذا نذير بأصالتها الفنية ..

وممن عاشوا في جو الخنساء الحزين واستلهموا قوالبها الفنية الشاعر السنغالي أحمد عيان سه في مرثاته لأبيه فيقول :

ما بال عينك تشكو شدة الكمد

كأن جفنك مكحول من الرمد

والقلب محترق والدمع منسبل

لما يقطع في الأحشاء وفي كبدى (٢)

فهذه المعاني الحزينة مستوحاة من قول الخنساء في صخر:

ما بال عينك منها دمعها سرب

أراعها حزن أم عادها طرب

---

(١) ديوان الخنساء ص ٣٠ طبعة دار صادر ودار بيروت.

(٢) الأدب السنغالي العربي ج١ ص١٢٣ د/ عامر صحب طبعة الشركة الوطنية للنشر والوزيع الجزائر.

أم ذكر صخر بعيد النوم هيجها

فالدمع منها عليه الدهر ينسكب

.. القصيدة (١)

ولعل فكرة اكتحال العين من الرمد من شدة الحزن مأخوذة من قول حسان بن ثابت في رثاء خير البرية عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم :

ما بال عينك لا تنام كأنها

كحلت مآقيها بكحل الأرمد

وكأني بابن زبير السنغالي يضرب على أوتار تماضر ويستعير نغمتها الحزينة حيث تبكي صخرا فتقول :

يا عين جودى بدمع منك مسكوب

كلؤلؤ جاء في الأسماط مثقوب

.. القصيدة (٢)

أوربما استهواه اللحن الحزين لحسان بن ثابت في احدى بكائياته على النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول :

يا عين جودى بدمع منك اسبال

ولاتملن من سح واعوال

.. القصيدة (٣)

---

(١) ديوان الخنساء ص ١٣.

(٢) المصدر السابق ص ١٤.

(٣) شعر الدعوة الاسلامية ص ٣٩٥ عبدالله بن حامد الحامد.

فيقول شاعرنا راثيا الشيخ محمد البكي :

يا عـين جودى بدمع منك هتــان

تـبكي على فقد جار خير جيـــران

واستلهم كثير منهم بردة كعب بن زهير وكانوا في ذلك ما بين مضمن وشطر و مخمس ومعارض ، وسنبين ذلك كله عند تناول المدائـح النبوية .. ونذكر هنا على سبيل المثال تضمين الشاعر السنغالي محمـد أنياس للبردة فيقول :

بريم رامة قلبي اليوم متبـــول

متيم اثرها لم يفـد مكبـــول

ترنو بفاتن جفن ليس يشبهـــا

الا أغن غضيض الطرف مكحـــول

تريك قامة غصن البان مائســـة

لا يشتكي قصر منها ولا طـــول

لعل عفو رسول الله يدركنـــي

والعفو عند رسول الله مأمـــول

.. القصيدة (١)

فيقول كعب بن زهير :

بانت سعـاد فقلبي اليوم متبـــول

متيم اثرهـا لم يفد مكبـــول

---

(١) مخطوط في ايفان.

وما سعاد غداة البين اذ رحلـــوا

الا أغن غضيض الطرف مكحــول

أنبئت أن رسول الله أوعدنـــي

والعفو عند رسول اللـه مأمـــول

.. القصيدة (١)

ثم تتلمذ شعراؤنا على الاسلاميين فنجد محمد بللو يضرب على أوتار علي بن أبي طالب في قصيدته في يوم بدر فيقول شاعرنا :

ألم تر أن اللـه أبلى عبـــاده

بـــلاء عزيز والحروب تسعـــر

بما أنـزل الكفار دار بوارهـــم

فلاقوا هوانا والحوادث تخطـــر

وهو في هذه يستلهم قصيدة علي بن أبي طالب التي يقول فيها :

ألم تر أن الله أبلى عبـــاده

بلاء عزيز ذى اقتدار وذى فضل

بما أنزل الكفار دار مذلـــة

فلاقوا هوانا من أسار ومن قتـل

.. القصيدة (٢)

---

(١) شرح قصيدة كعب بن زهير لابن هشام ص ٢٣ تحقيق د / محمود حسن أبو ناجي الوكالة العامة للتوزيع .

(٢) انفاق الميسور ص ١٣٢ .

وواضح جدا مدى تأثر شاعرنا بقصيدة علي بن أبي طالب وتظهر ملامح هذا التأثر في قوله : " ألم تر أن الله أبلى عباده " بلاء عزيز .. وقوله في البيت الثاني : "بما أنزل الكفار دار .. فلا قوا هوانا .. يضاف الى ذلك تأثره ببحر القصيدة اذ أن كلتا القصيدتين من بحر الطويل ، أما قافيتهما فمختلفة ..

وعارض شاعرنا من الاسلاميين كعب بن مالك في مقطوعته ليوم " أحد " حيث يقول :

أبلغ قريش وخير القول أصدقه
والصدق عند ذوى الألباب مقبول
لقد قتلنا بقتلانا سراتكم
أهل اللواء ففيم يكثر القيل
ويوم بدر لقيناكم لنا مدد
فيه مع النصر ميكال وجبريل
.. المقطوعة (١)

فيقول شاعرنا :

أبلغ بلادى وخير القول أصدقه
أنا رجعنا بحمد الله بالسول
اذ قد نصرنا على الأعداء كلهم
وقد بلغنا به من كل مأمول
اذ قد سمونا بحمد الله في مدد
من دعوة الشيخ يدعو خير مسئول
.. القصيدة (٢)

----

(١) شعر الدعوة الاسلامية ص ٢٨٦ .
(٢) افادة الطالبين ص ٦ .

وواضح استعارته تعبيرات كعب بن مالك في الشطر الأول من البيت الأول ، فهو قد أخذ الشطر ولم يزد فيه الا أن غير كلمـــــة " قريشا " " بيلادى " ، وكلتا القصيدتين تتحدان في المناسبة ،فشاعرنا في قصيدته يفتخر على أعداء الاسلام ويتباهى عليهم بانتصارات جيش الايمان على جيش الكفر : وكعب بن مالك ' أيضا كان يرد على المشركين تبجحهم بيوم أحد ويذكرهم بالويل الذى أصابهم والتنكيل الذى نالهـم من المسلمين يوم بدر . وهو ما لو تأملوا فيه لما سمحت لهم ' أنفسهـــم أن يتبجحوا ويفتخروا بيوم أحد .. ولنا حديث طويل مع جهاديـــة صاحبنا هذه في الفصول التالية .

وقد استهوته نغمات صفية بنت عبد المطلب الحزينة وبكائيتها في النبي صلى الله عليه وسلم فراح يندب بألحانها على شيخه المختــار الكنتي حيث يقول :

عين جودى بدمعـة وصبيـــب
واسكبي الدمع بعد فقد الحبيـب
واذرفي أدمع الجفون انسكابـــا
واهملي واهطلي وسحي وصبـــي
عل بذلك الدموع يشفى غرامـــا
مستكنا وفرط وجد مذيـــب
.. القصيدة (١)

---

(١) افادة الطالبين ص ٢٦ .

وهذه النغمة الحزينة تذكر بنغمة صفية التي قلنا ان الشاعر يندب بألحانها وهي قولها :

عين جودى بدمعة وسهود

واندبي خير هالك مفقود

.. القصيدة (١)

وليس أدل على نظرته اليها حين كان يكتب شعره من استعارته قولها : " عين جودى بدمعة .. " ..

وممن استلهموا الاسلاميين عبدالله بن فودى في حائيته التي ألهبت الفلانيين عن كل شيء وشجعتهم على حمل السيف للجهاد في سبيل الله ،ففيها يقول :

ألا أبلغن عني لحيى رسالة

تعيها رجال أونساء صوالح

وهذا البيت يذكرني بقول كعب بن زهير في زجر بجير :

ألا أبلغن عني بجيرا رسالة

فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا (٢)

ثم يستوعبون الأنغام الجديدة التي تميز بها المحدثون من أمثال أبي نواس وأضرابه فنجد الشاعر السنغالي محمد أنياس يضرب على أوتاره

---

(١) شعر الدعوة الاسلامية ص ٤٠٤.

(٢) شرح قصيدة كعب بن زهير ص ٣٤.

في احدى خمرياته التي يقول فيها :

دع عنك لومي فان اللوم اغـــراء
وداوني بالتي كانت هي الـداء . (١)

فاستلهم شاعرنا هذه النغمة وانسحب على أذيال الحسن بن هانيء ، غير أن خمر شاعرنا خمر روحيــة احتسى كأسها حتى الثمالـــة فتمخضت عن حالة الانتشاء عنده هذه الأبيات :

باتت تعاطيك من خمر الوصال بمـا
أشفى به كبد بالشوق حـــــراء

ثم انثنت فكأنما كان يرقبنــــــا
صبح له في نواحي الأرض اسـراء

فأوقدت لهبا في الأرض ليس لـــه
الا بوصل مـد الخلق اطفـــــاء

شمس الهدى من سقانا من طريقتـــه
بغيضة ينجلي من شربها الـــــداء

كم فيضة منه للأرواح جاذبـــــة
الى الالـه لها بشر وســـــــراء

يا لائمي في هوى شيخي يحذرني
قصر عن اللوم فالتحذير اغـــــراء

---

(١) ديوان أبي نواس ص ٧ دار صادر دار بيروت .

وواضح أن القالب الفني والمعجم اللفظي للقصيدة نواسيـــــة

ان يستعير شاعرنا ألفاظ أبي نواس مثل " اسراء ، الداء ، سراء ، اغراء .

والشطر الثاني من البيت الأخير مأخوذ من معنى قول أبي نواس :

* دع عنك لومي فان اللوم اغراء *

وتأثر عبدالله بن فودى بأبي الطيب في قوله :

بذا قضت الأيام من بين أهلهـــــا
مصائب قوم عند قوم فوائـــــد (١)

فيقول شاعرنا :

وان قد أضعناه استفاد بغيرنا
مصائب قوم عند قوم مصالـــــح

فهو قد أخذ الشطر الثاني من البيت لفظا ومعنى من قـــول المتنبي السابق ، وكل ما فعله هو أنه غير كلمة القافية بما يتناسب مع قوافي قصيدته ويؤدى ذات المعنى والغرض ... على أن ما اشتملت عليه قصيدة شاعرنا من الحكم تدل على تأثره بالمتنبي في القصيدة أكثر من غيره كقوله :

وما ضر شمسا أن نغش العمي ضوءها
وما ضر حوضا أن أبته القوامـــــح

----

(١) ديوان المتنبي جـ١ ص ٢٧٦ شرح أبي البقاء العكبرى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

وقد تأثر الشيخ عبدالله بن فودى بأبي الحسن التهامي من شعراء الدول المتتابعة ، فتغنى بألحانه الحزينة في رثاء صديقه مصطفى حيث يقول :

آن ارعواؤك ان أرتك الـــدار
يفعالهـــا من أنهـــا غـــــدار
دار يموت بها حبيبك لا تـــرم
فرحـــا بدار صفوهـــا كـــدار
ما ترتجي من هذه الدنيا التـــي
ما تأتلي تزكو بها الأخطـــار

فهوفي هذه الأبيات يعيش في جو التهامي الحزين في بكائيته على فلذة كبده حيث يقول :

حكم المنية في البريـة جـــار
ما هـذه الدنيـا بدار قـــرار
.. والهون في ظل الهويني كامـن
وجلالـة الأخطار في الأخطـار
طبعـت على كـدر وأنت تريدهـــا
صفوا من الاقذاء والأكـــدار
.. القصيدة (١)

---

(١) أبو الحسن التهامي حياته وشعره ص ١٣٦ د/ محمد الربيع مكتبة المعارف ـ الرياض .

وواضح أن شاعرنا يستلهم التهامي أو يعارضه ويستعير منه بعض ألفاظه وتعبيراته كقول شاعرنا : " لا ترم فرحا بدار صفوها كدار " فهو مستلهم من قول التهامي :

طبعت على كدر وأنت ترومهـــا
صفوا من الاقذاء والاكـــدار

أما الالفاظ فتبدو في استعمال شاعرنا للكلمات الآتية : " كدار ، أخطار ، وهكذا دواليك .. وسنورد المرثية كاملة عندما نترجم للشاعر ..

وممن استلهموا هذه القصيدة التهامية الحزينة الشاعر اسماعيل ابن محمد في رثاء شيخه الحاج شعيب ابن الامير محمد فيقول :

الله أكبر ذى الدُّنا لغنـــاء
خلقت وما خلقت أخي لبقـــاء
دار كثير حزنها وهمومهـــا
ما أضحكت حتى أتت ببكـــاء
كانت على كدر ونحن نرومهـــا
تبقى لنا بمسرة وصفـــاء..

ويظهر أثر التهامي في قصيدة شاعرنا هذا في قوله :

كانت على كدر ونحن نرومهـــا
تبقى لنا بمسرة وصفـــاء

فهذا البيت مأخوذ من قول التهامي :

طبعت على كدر وأنت تريدهـــا
صفوا من الاقذاء والاكـــدار

واستوعب الشاعر النيجيرى الشيخ ناصر الدين الكبرى احدى نغمات الحريرى على لسان أبي زيد السروجي فضرب على قيثارته مستعيرا قالبه الفني ووزنه الراقص في لحظة شاعرنا الانتشائية الروحية حيث يقول :

ظهرت روح التقى في الـ نفحات الناصريـــة
وتلألأ نورها فــــــي صفحات القادريـــة
وبدا نور سناهــــــا في النواحي العالمية
أسكرت كأس هواهـــا صخرات البابليـــة
وغدا يسكر منهــــا حاكم الاسكندريـــة

وواضح جدا أنه تأثر في هذه الأبيات بالحريرى على لسان أبي زيد السروجي في المقامة التاسعة الاسكندرية حيث يقول :

كدت أصلى ببليـــه من وقاح شمريـــة
وأزور السجن لــــولا حاكم الاسكندريـــة (١)

وقد استعار " الكبرى " الشطر الأخير من أبياته من الشطر الثاني من بيت أبي زيد الأخير .

وممن لم يجدوا حرجا من ترديد بعض الأصداء الفنية التـــي كانت تستعمل في العصور المتأخرة عبد الله بن فودى ، فهـا هـو ذا

---

(١) شرح المقامات للحريرى جـ١ ص ٣٦٥ للشريسى ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، المؤسسة العربية الحديثة .

يتلاعب بمصطلحات العلوم ويؤرخ لشعره صنيع الشعراء في المشرق والمغرب فيقول :

ولهم ككان وبتدا في جارهم
عمل لغيرهم كلم أوفي يج

وهذا البيت يذكرني بقول ابن الفارض :

نصبا أكسبني الشوق كما
تكسب الأفعال نصبا لام كي (١)

أو قول التلعفرى :

واذا الثنية أشرقت وشممت من
أرجائها أرجا كنشر عبير
سل هضبها المنصوب أين حديثها
المرفوع من ذيل الصبا المجرور (٢)

ويقول شاعرنا مؤرخا لقصيدته :

قد يسر التخميس لي في مدحه
قد تم نظم قصيدتي في مدحه
أبياتها جصل كسن محمد

---

(١) الأدب في العصر المملوكي جـ ٢ ص ١٠٩ / د . محمد زغلول سلام ط دار المعارف .

(٢) المصدر السابق .

ومن نحوا هذا المنحى من الشعراء السنغاليين ذو النون حيث يقول :

أفناني الشوق حتى لم يدع خبـــــرا
لمبتدا لا ولا حالا ولا بـــدلا

وكان منفصلا ما كان متصـــــــلا
فهاج لي طللا قد قربت أجلا

قد عنعن الشوق عن نفسي وعن نفسي
هذا حديث صحيح ثابت نقـــلا

فهو في هذه الأبيات يتلاعب بمصطلحات النحو من نحو المبتدأ والخبر والحال والبدل والمتصل والمنفصل ومصطلحات المحدثين من عنعنة ونقل متواتر وصحة في الرواية ..

وقد نسج شعراء غربي أفريقيا على منوال البوصيرى في البردة والهمزية وذلك في مدائحهم النبوية فها هو ذا الحاج مأجور سيسة ينسج على منواله شكلا ومضمونا فيقول :

بديع مطلعكم يا جيرة العلـــم
سنا براعته نار على علـــــم

ان جئت سلعا فسل عن ريم رامة هل
بالبان مذ بان عني أو بذى سلم

أحبة أرخوا يوم الوداع علــــى
خدى خطا بلا رق ولا قلـــم

صدوا فلم يبق لي جلد ولا جلـد
والغصن يذوى لفقد البار والشيم

قد هددوني الجوى ركنا وثقت به

مذ هددوني بسيف من بعادهم

وجردون النوى ذيل الفراق ولم

أبال ان جردوني من بعادهم

.. القصيدة

وكانوا في محاكاة البردة ما بين مشطر ومخمس ومن بين من شطروها الشيخ محمد محي الدين كشمه فقال :

أمن تذكر جيران بذى سلم

قد بت ترعى نجوم الأفق لم تنم

أم من ظعين نأت والخوض تحملها

مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة

فهاج شوقك هوج الريح للعلم

أم جاورت اضا سلمى وجيرتها

وأومض البرق في الظلماء من اضم

.. القصيدة

ويضرب الحاج محمد أنياس على أوتار البوصيرى في الهمزية فيقول :

أنت للكون بهجة وبهاء

وتجلت بنورك الأنبياء

أنت لولاك لم يكن كل كون

ولما زال عن ذويه الشقاء

.. القصيدة

وهناك شعراء آخرون استلهموا البوصيرى في مدائحهم النبوية نذكر منهم على سبيل المثال ، الحاج مالك سه الذى يكاد يتخصص شعره في هذا المجال فيقول :

أبدا بروق تحت جنح ظلام
أم وجه مية أم ربوع شمام
ان الربوع بشارتي وأمانتي
وربيع قلبي وهي خير شيام
والدمع ان بعدت ربوع ربوعنا
جار وجارح منحرى بسهام
صه عاذلي لو حزت علما لم تلم
هل عذل مثلي لم يكن بحرام
.. القصيدة

وله في ذلك أيضا :

ألا يا دعد ويحك نبئيني
بذكر البان تهتان العيون
أفي بيت حبالك أم ببين
بعشاق برامة خبريني
قفي نبك الأحبة كي نداوى
ضنى فينا باجراء الشئون
دعي عنك التغنج ذات دل
به يزداد قلبي من فتوني
ألا حبل المودة جدديها
ففي التجديد نحي كل حين

منازل قد عهدت بهـا بسلـع
وكاظمـة جنانـا للقطيـن

.. متى ما دان بحرك من كـدور
فصاف سلسـل بحر الأميـن

نبي عبقرى أريحـي
صفي الله ذى خلق بيـون
.. القصيدة

وباب المدائح النبوية في الشعر العربي بغربي أفريقيا بحـر لا ساحل له ولنا فيه صولات وجولات في الفصول القادمة ان شاء الله .. على أن من شعراء العربية بغربي أفريقيا من تكلفوا مفرطين بالمحسنـات البديعية ضيع الشعراء في العصور المتأخرة ،فها هو ذا الشاعر محمد الأمين زبير ينظم قصيدة تصل الى أربعة وعشرين بيتا ،وقافية كل بيت هي كلمة " خال " فأصبحت القوافي أربعا وعشرين قافية متشابهـة لفظا مختلفة معنى فيقول :

سما نحوى خيال من سليمـى
وغادرني الخيال مريض خـال

فصار يلومني أن قد غشانـى
وأسلمني تجبر كل خـال

فقلت له رويدك لا تلمنـى
وجدك انني لخير خـال

ويوم قد غشاني كل سهـم
شديد البأس مرد كل خـال

وظنوا بي الظنون وحال بيني
وبينهم جنان غير خال
فيأتمرون بي أليقتلوني
لأمر ما وعندى بنت خال
فقلت لها أفاط اليك عني
فاني في الأمور بريد خال
.. القصيدة

ونلاحظ أن الشاعر قد استطاع أن يستر تكلفه لهذه القافية التي التزمها ،بجودة تراكيبه التي تتسم بالعفوية والتلقائية والانسياب القصصي ..

واستلهم الشيخ الهادى تورى أحمد بن ونان الشاعر المغربي المشهور بأبي الشمقمق في مدحته للسلطان محمد العلوى والتي يقول فيها :

مهلا على رسلك حادى الأينق
ولا تكلفها بما لم تطق
فطالما كلفتها وسقتها
سوق فتى من حالها لم يشفق
.. والله لو حلت ديار قومها
واحتجبت عني بباب مغلق
لزرتها والليل جون حالك
وجفنها لم يكتحل بأرق (١)

---

(١) النبوغ المغربي في الأدب العربي جـ٣ ص ١٧٨ عبد الله كنون دار الكتب للملايين .

فضرب شاعرنا على أوتاره قائلا :

لمعان برق الليل نحو المشـــرق
أبدى هوى قلبي بنور مشـــرق
وأثار لي خفقان قلب دائـــم الـ
أفكار في بحر الخيال مغـــرق
آه على أطلال دار أحبـــــة
لي البرق خيلها كرؤيا المخفـــق
.. لو نال ذو سقم بفيها قبلـــة
كان الشفاء له بدون ترنـــــق
فلرب ليل شـــل ابهام القطـــا
بتنـاه فوق سريرها في عيهـــــق ..

وقصيدة شاعرنا طويلة جدا سنوردها كاملة عندما نترجم له في الفصول القادمة .. على أنه قد سار فيها على منوال أبي الشمقمق المغربي في قصيدته السلطانية من حيث بدأ بالتشبيب فذكر مغامراته الغرامية ثم اختتم بالزهد والتوبة ..

وبعد . فقد رأينا كيف أن شعراء العربية في غربي أفريقيـــا قد صدروا في شعرهم عن أصالة تمتد جذورها الى العصر الجاهلي حيث انهم قد استلهموا الشعر الجاهلي في معجمه اللفظي وقالبه الفني .. فاستلهموا امرأ القيس والنابغة الذبياني وعمرو بن كلثوم وزهير بن أبـــي سلمى وعنترة العبسي وطرفة بن العبد وغيرهم .. ولم يغفلوا عن شعراء الخضرمة ،فقد تأثروا بحسان بن ثابت ، وترنموا بأنغام الخنساء الحزينة ، كما ضربوا على أوتار كعب بن زهير ..

ولم يفتهم التغني بألحان الاسلاميين ،فراحوا ينسجون على منوال كعب بن مالك وعلي بن أبي طالب وصفية بنت عبد المطلب وغيرهم..

كما استوعبوا الألحان الجديدة التي تميز بها المحدثون ، فغدوا يضربون على قيثارة أبي نواس والمتنبي .. كما رددوا أصداء من شعراء الدول المتتابعة والعصور المتأخرة ،فظهرت في أشعارهم ملامح من شعر أبي الحسن التهامي .. ونسجوا على منوال بديعيات ابن الفارض، وضربوا على أوتار البوصيرى ،كما أرخوا لأشعارهم وشغفوا بالمحسنات اللفظية وتلاعبوا بمصطلحات العلوم الى غير ذلك من أمور وتقاليد فنية سنتبينها أكثر في الفصول التالية .. على أنهم لم يتمثلوا تلك الأصداء الفنية لضعف أولمجرد حب التقليد فحسب ، وانما كان ذلك شعورا منهم بأن عليهم أن يتمثلوا الشعر العربي كله بكل ألحانه وأنغامه وقوالبه حتى يؤكدوا في فنهم الشعرى عملية الانتماء العربي الاسلامي تأكيدا قويا لا يلحقه مراء ، وقد حصل ذلك في الشعر العربي في الأندلس والشعر العربي في المغرب حيث كان شعراء هذه البلاد يتعمدون متابعة شعراء المشرق ليؤكدوا انتماءاتهم العربية وذلك لبعد مواطنهم عن جزيرة العرب . موطن الشعر ومعدن أصوله ..

وتجدر الملاحظة أنه بناء على ما وقع تحت أيدينا من أشعار نستطيع أن نقرر أن تأثر القوم بالجاهليين أقوى وأوضح من تأثرهم بغيرهم ، ولعل السبب في ذلك يرجع الى تشابه البيئتين وطبيعة الحياة فيهما .. كما نلاحظ عدم تأثرهم بشعراء العصر الأموى وشعراء النهضة في العصر الحديث .

الفصل الثالث

فنون الشعر العربي في غربي افريقيا .

يمكن القول ان فنون الشعر العربي في غربي أفريقيا تدخل تحت مفهوم جنسين من أجناس الشعر ، وهما الشعر الغنائي والشعر التعليمي .

أما الجنس الأول وهو الشعر الغنائي فقد أكثر القوم فيه اكثارا شديدا ، فمن مديح الى رثاء الى فخر الى وصف الى غزل الى حماسة الى شكوى الى حنين الى مدائح نبوية ..

طرق شعراء العربية في غربي أفريقيا فن المديح ضمن أغراضهم الشعرية ، وكان عندهم على مذهب زهير بن أبي سلمى الذى قال فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه : "كان لا يعاظل بين الكلام .. ولا يمدح الرجل الا بما فيه ".(1) .. أى أنهم مدحوا لأن ممدوحيهم يستحقون المدح ولم يمدحوا ليملأوا جرابهم بالذهب والفضة - صنيع شعراء المديح التكسبي - وانما كان ذلك صدى لوجدان الانسان في أعماقهم ..

و مجمل القول أن المديح عندهم حب للمثالية المجردة و تعشق للقيم الطاهرة ..

وكان أغلب الممدوحين من العلماء وقادة الفكر ورجال الدعوة الذين كانت لهم أياد بيضاء على الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية

---

(1) طبقات فحول الشعراء ص ٥٢ لمحمد بن سلام الجمحي : تحقيق محمود محمد شاكر ط / دار المعارف .

والسياسية في المجتمعات الاسلامية بربوع المنطقة .. أضف الى ذلك أن الشعراء المادحين أنفسهم كانوا من نفس طبقات الممدوحين ، ومن هنا قل المديح التكسبي في شعرهم ، اذ أن الشعراء المحليين الذين يشعرون باللهجات القومية قد كفوهم موءنة التكسب بالمدح ..

هذا ولم تختلف القيم والمثل العليا التي مدح بها شعراء العربية بهذه البلاد عن المثل والقيم التي مدح بها شعراء العربية في المشرق والمغرب ، كالعدل والوفاء والشجاعة والجود والكرم والاباء وحماية الجار وما الى ذلك من القيم التي كان يتغنى بها الشعراء في ممدوحيهم ..

أما منهج القصيدة فقد ساروا على نهج القصيدة العربية من حيث البدء بالنسيب والوقوف على الأطلال ووصف الرحلة أوما شاكل ذلك من الأمور التي أكد عليها النقاد القدامى كابن قتيبة الدينورى وابن رشيق القيرواني في كتابيهما ..(١)

وها هو ذا الشيخ أحمدعيان سه يمدح الحاج سعيد النور تال سبط المجاهد المشهور الشيخ عمر الفوتى فيقول :

أمن تذكر من في البان والبان

أم من تذكر غزلان بغزلان

تأتي الى طلل تبكى لساكنه

وحي عنى تحايا الخير أوطاني

---

(١) الشعر والشعراء ص ٢٧ ابن قتيبة الدينورى طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) العمدة جـ ١ ص ٢٢٥ ابن رشيق القيرواني ط/ دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء.

أرقت ليلى وليلي لا يــــزال اذا
غنى الحمام على غصن فأشجـــاني
دعنك سلمى وسلمى لا تجودلنا
بالوصل الا بطيف عند وسنـــان
ماهبفي "سانلوى" (١) المحروس ريح صبا
الا على الخد أبكاني فأبكانـــي
يلوح قوس ومثلى لا ينوح على
تلك التصاوير الا بعد أزمـــان
قلبي أسير بربع الراحلين فلـــم
يجد سوى الجأث أوآثار حد ثـان
يا حسرتي من خطوب لا تزال على
دهرى وتسهرني بالدمع عينـــان
لا والذى قد أنار الكون طلعتـــه
فرد الجلالة سيف اللــه ألهانـــي

وبعد هذه المقدمة يبدأ الشاعر في مدح ممدوحه بالعلم والتنوير والارشاد والجهاد في سبيل الله وكثرة التأليف وأنه النبراس الذى أنار الله به "السنغال" ، ثم يصفه بأنه سيد صنديد يلوذ به الخائـف والمحتاج فهوبذل جواد كريم وهوعلامة الدهرفي علمه ،فيقول :

أعنى الامام سعيد النور من كشفت
به الجهالـة عن أهلي وأوطانـــي

----

(١) مدينة

له تأليف غرليس يشبهها
شيء ويزدان منها كل مزدان
نور أناربه الرحمن جلتنا
في سنغال بتعليم واتقان
لله ما كتبته لي أنامله
تفوق عن عقد ياقوت ومرجان
قد غاب مذ غاب عنا العلم أجمعه
وليس يرجع الا عند اتيان
.. هو الملاذ هو الصنديد سيدنا
علامة الدهر في بذل واحسان

وواضح أن الصفات التي خلعها الشاعر على الممدوح قديمة سبق اليها القدماء، ورغم ذلك فانه كان مجيدا في ديباجته صادقا في تجربته يدل على ذلك هذا الانسياب والتدفق في أبيات القصيدة ..

ونتجاوز هذا الشاعر السنغالي الى الشاعر النيجيرى محمد البخارى ابن الشيخ عثمان بن فودى في مدحه الشيخ محمد الجيلاني الأمير القائد ،فنجده يبدأ قصيدته بالنسيب فيقول :

فجعتك أم الفضل بالهجران
فبقيت بين الناس كالسكران
وكأن في قلبي وجوفي جمرة
مذ بعدتني من جناها الداني
قامت تراءى في القصور بفاحم
رجل ومقلة شادن ظمآن

وجيد مغزلة وساق خدلة
وترائب كالدر والمرجان

وبعد هذا التشبيب الذى وصف فيه الشاعر محبوبته بصفات حسية استهلكت من قبل الشعراء القدامى ، يبدأ في غرضه الأساسي وهو المدح فيمدح الممدوح بالشجاعة وشدة البأس في الهجاء وحلاوة الشمائل ولين الجانب للصديق ومرارة المذاق للعدو ، فالجود وكثرة الكرم والاحسان والعدل وأنه امتلك البلاد بحد سيفه البتار وخصاله الحميدة . .

وتلك صفات في المدح مطروقة ، اذ كانت من قبل القيم الاجتماعية التي كان الشعراء القدامى يحرصون على خلعها على ممدوحيهم لأنها تثير أريحيتهم ، وجاء الاسلام فأقرها وحض الناس على التحلي بها على ضوء تعليماته . . ولنستمع الآن الى ألحان الشاعر :

دع ذا وعد القول في رغم العدى
حامي الزمار مجدل الشجعان
حلو الشمائل لين لخليه
مر مذاقته لذى الأضغان
بطل أخي ثقة يجود بنفسه
يوم الهياج وملتقى الأقران
ما في القبائل كلها في الجود وال
هيجاء مثل محمد الجيلاني
ملك القبائل والأمور بسيفه
وسخائه والعدل والاحسان
واذا نزلت به غريبا عافيا
أصبحت رب حرافد وحصان (١)

---

(١) الحرافد : كرام الابل .

وهناك شاعر نيجيرى آخر هو الوزير الجنيد ، قد سار على نهج القصيدة العربية في مدحه للأمير حسن بن المعاذ ناظر الى بائية النابغة الذبياني في عمرو بن الأصفر ، فبدأ الشاعر بشكوى طول الليل ومرارة التسهيد وقد سبق أن أشرنا الى هذه المقدمة واستلهامه النابغة الذبياني فيها (١).

وبعد هذه المقدمة التقليدية أحسن التخلص الى غرضه حيث يقول :

على أن بدا وجه الصباح كأنه
محيا أمير ذى الأيادى الهوامع
أميرله في كل فعل محامد
وأخلاقه فاقت عسولا لراضع
سخي يحاكيه السحاب وخيره
عميم لجمع الناس دان وشاسع
حيي حليم ليس فيه نخوة
عطوف أمين القلب ليس بخادع

فهو في هذه الأبيات يصف الممدوح بالجود والكرم ودماثة الأخلاق وان السحاب تحاكيه في العطاء والغزارة ،وهوفي هذا الجود وذاك الكرم لا يميز بين العافين .. وهذه المعاني كلها قديمة قدم الشعر العربي أما الشمولية التي يتصف بها سخاء الممدوح فصفة قديمة سبق الشاعر اليها النابغة في قوله :

---

(١) يراجع في ذلك الفصل الثاني ، ص :

فتلك تبلغني النعمـان ان لـه
فضلا على الناس في الأدنى وفي البعد (١)

كما وصف ممدوحه بالحياء والحلم والعطف وحفظ الأسرار مع عدم الخيانة وتلك قيم عليا حرص عليها الاسلام كل الحرص لأنها من صميم مقاصده السامية فالحياء شعبة من شعب الايمان والحلم سيد الأخلاق والعطف ديدن المسلمين في التعامل فيما بينهم والوفاء والأمانة من الصفات الثلاث التي تميز المسلم من المنافق .. وشاعرنا قد خلع كل هذه الصفات الاسلامية على ممدوحه مضيفا اليها العدل والحزم اللذين بهما استطاع الممدوح أن يشيع الأمن والطمأنينة في البلاد حتى ان الشياه قد أمنت على نفسها من فتك الذئاب ، ولنستمع الى قيثارته في ذلك ..

أيا حسن السامي الحسين فعاله
ويا سيدى السجير يا خير طائـع (٢)
لقد فرحت هذى البلاد جميعها
بأخذكها يا خير راع ودافـع
وزادت حلاها واطمئنت كأنها
عروس الى كفوء تزف وشافـع
وأمنتها من كل ظلم يشينها
بعدلك حتى فر ذئب البلاقـع

---

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ١٢ .
(٢) السجير : الصديق وجمعه سجراء .

وفي الختام يدعو للممدوح بدعوات صالحات/ ثم يختم القصيدة بالصلاة والسلام على خير البرية محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ..

ورغم كون معاني شاعرنا مطروقة الا أنها جاء ت موافقة لما يستحسنه الممدوح ويرتاح له..

وها هو ذا ذو النون السنغالي يمدح الشيخ الخديم أحمد بمبه ، فيبدأ قصيدته بالوقوف على الأطلال ويرسم لنا لوحة فنية للأطلال ليؤكد قدرته على مجاراة الشعراء القدامى في المدح ثم يعرض عنها بعد أن أجاد وصفها وصفا استوفى فيه كثيرا من عناصرها القديمة من نحو ذكره لما بدل معالمها من رياح عواصف وأمطار غزيرة ،وما حل بها بعد رحيل أهلها من قطعان البقر الوحشي والغزلان وأسراب النعام الى غير ذلك .. ولنستمع اليه :

مغنى سعاد عفته هوج العثير (١)
وسقته واكفة الغمام الممطر
والعين ترفل في مراقد حورها
ترنو الرياض بكل طرف أصور
وترى مهاها البيض ترعى روضة
مطلولة نمصت ببطن محسر (٢)
أطفالها يمرحن في أطلالها
فكأنها في الشعب شعب العرعر

---

(١) العثير : العجاج الساطع ،وهوج العثير أى الرياح المتربة.
(٢) نمصت : أى رعتها الماشية فجردتها ثم نبتت .

أوعالها تستن في أوعارهـــــا
ترعى خزاماها وغض الأزهـــر (١)

وترى قلائص في تياثر آلهـــا
فكأنهن سفائن في أبحـــر (٢)

غزلانها تقفو مدى ظلمانهـــا
ان راعها صبحا زئير غضنفـــر

فالشوق لو زار الخلي أقلـــه
نالته منه كسرة لم تجبـــر

وبعد هذه المقدمة التقليدية يبدأ في مدح الشيخ فيقول :

أعرض فؤادى الهيض عن طلل عفا
لم يبق فيه سوى المها والجوءذر (٣)

وذر الربوع ومن بها قد حل من
غيد عليها كل ثوب أخضـــر

مهما شدا شاد أطلن قدودها
كغصون بان غب ريح صرصـــر (٤)

.. فالحمد منى يستهل غيومـــه
من يومنا هذا ليوم المحشـــر

---

(١) أوعال جمع وعل وهو تيس الجبل تستن : أى تجيء دفعة دفعة ، أوعار : جمع وعر .

(٢) تياثر جمع تيار وآلها أى سرابها .

(٣) الهيض : اللين المنكسر ، الجوءذر : ولد البقر الوحشي .

(٤) غب ريح صرصر : أى عقب ريح صرصر .

أهل الهوى شرق البلاد وغربها
اني أناديكم بصوت جهوري
كونوا معي في مدح هذا المرتضى
شمس الفضائل ذى المقام الأكبر
وله مآثر كالجواهر حسنها
تنسى مآثر تبع أو حمير
ان شئت ذكّره وأنّث غيره
شتان بين مؤنث ومذكر
تلقى الورى ان جئت ساحة داره
والقوم بين مهلل ومكبر
فالمادحون على جلالة قدرهم
لم يدركوا مضمار هذا الأشهر
طولت في مدحي وهم قد قصروا
شتان بين مطول ومقصر
.. فيمينه قد عممت في الجود حـ
تى لم يميز بحرا من جعفر
أما تيم عند هذا الشيخ لم
يقهر وسائل جوده لم ينهر
محنى غدت منحا اذا عاينته
أحبب به من عارف متبحر
ما مثله كسرى علا ومهابة
بل دون ماواه جلالة قيصر (١)

---

(١) كسرى : عظيم الفرس ،وقيصر : عظيم الروم .

فبنات نعش دون شسع نعالـــه

بل دون رتبته السهى والمشتـــرى

بل لم يج حبر بأدنى فضلـــه

ان راح يزبر رقه من محبـــر

في الأبيات السابقة يمدح الشاعر هذا الزعيم الروحي في السنغال بالكرم والفضل والتقوى وكثرة الذكر والتبحر في العلم وعلو الكعب والمهابة اللذين دونهما علو ومهابة كسرى وجلال دونه جلالة قيصر ، وهو يمنح معتفيه عطاء، ولا ينهر سائله واليتيم عنده غير مقهور .. وهذه الصفات التي خلعها الشاعر على الممدوح بعضها مطروقة مكرورة كالجود وعلو الشأن والمهابة والجلال ، وبعضها الآخر مستقاة مما تشبع به من مبادئ الاسلام السامية وقيمه النبيلة من أمثال التقوى وكثرة الأذكار والتبحر في العلم وعدم نهر السائل وقهر اليتيم ،فأبياته في هذه المعاني تعبق بعبير الدين متأثرا بالايتين الكريمتين من آيات " الضحى " كقوله تعالى :

﴿ فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر ﴾ (١)

وفي ختام القصيدة يزهو بنفسه على طريقة المتنبي ثم يعود الى المدح فيمدح ممدوحه بغزارة العلم و معرفة أوابد اللغة العربية وشواردها وأنه يزاحم من مضوا من كبار العلماء والمفكرين المسلمين في علومهم .. فيقول :

يا ناسجا ثوب المديح وناظمـــا

فقر الثنا فانظم لقولي وانثـــر

----

(١) سورة الضحى الآية ٩ ، ١٠ .

وأنخ قلوصك في فنائي واستفـــــد

مني وراقب سر قولي الأزهـــــر

.. فتريك أقلامي بقاعا روضهــا

يفتر بين مدرهم ومدنّـــــر

نظما ونثرا يعجبان لمن غـــدا

يتلوهما فـي مورد أو مصـــدر

ما حاك مثل ثياب مدحي حائـك

في رقة المعنى وحسن المنظـر

بل ما حكى حاك بديعا مثلـــه

بل لم يصنعن في ممر الأعصـر

.. وهكذا يستمر في الزهو والخيلاء حتى يرضي نفسه ويشبعها زهوا ثم يعرج بعد ذلك على الممدوح مرة أخرى فيقول :

فلسان حال الشيخ أعلن أنـــه

يهمي لهاه لعائل ولموســـر (١)

فالدهر يعلم أنه هو فـــرده

وعلى حقائقه النهى لم تعثـر

وفيوضه وهيبة ولغاتـــه

ما جابها القاموس ثم الجـوهرى (٢)

وبمنكب ضخم يزاحم من مضـوا

وهم وخود جمعهم لم يكســر

---

(١) العائل : الفقير.

(٢) يشير هنا الى القاموس المحيط للفيروزابادى والصحاح للجوهرى .

.. ويستمر الشاعر على هذه الوتيرة من المدح وذكر المآثر حتى يختم القصيدة بالصلاة والسلام على رسول الله ..

ولنعرج الآن على واحدة شقيق ذى النون وهو الشيخ ابن العربي له في مدحه الشيخ سعد أبيه حيث سار فيه على الطريقة التقليدية في المدح من حيث البدء بالتشبيب فيقول :

بعد المزار دعى الى التذكـــار
وأفاض غربي دمعي المـــدرار (١)
صبا أهاب به الشجون فاغتــدى
شبحا أرق من الخيــال الســارى
ان الأحبـة صيرونـي في الهـوى
كرة تقلبـها يد الأخطـــار
والربع من بعد التنائي يزدهـــي
بالياسمين الغض والعرعـــار (٢)
قد كان قبل البين مغنـى آهـــلا
بالثيبات البيض والأبكـــار
.. مغنى عهدت بها حسانا كالدمى
نجل العيون حوالك الأشعـــار
كم عابد ألهاه عـــن أوراده
صوت القيان وغنة الأوكـــار

---

(١) الغرب : الراوية التي يحمل عليها الماء.
(٢) العرعار أو العرعر : شجر السرو.

..ولقد رأيت الشوق يكمن في حشا

صب كمون النار في الأحجار

.. جن الفؤاد الى سعاد وبيننا

أفلاء ذات معالم وقفار

حلف السهاد كأن في أجفانه

خرط القتاد وهزة المنشار

ان رمت أن أجنى مجاني خدها

قالت لواحظها حذار حذار

وبعد هذه المقدمة الغزلية الرائعة يبدأ الشاعر في غرضه الأساسي فيمدح الشيخ سعد أبيه بأنه غوث الورى سعد السعود ملتقى الأنوار جامع العرفان سدرة منتهى الأخيار ذكار لله بالتلاوة والأوراد والأذكار ،وهي صفات يهيم بها المتصوفة فهي منتقاة من معجمهم اللفظي .. ثم يصفه بالجود والكرم والأخلاق الحميدة فيقول :

ان لم أنل منها الوصال لعلة

دقت مداركها عن الأبصار

أعرضت عنها ثم عن جاراتها

من كل ذات خلاخل وسوار

متوسلا بامامنا غوث الورى

سعد السعود وملتقى الأنوار

الشيخ سعد أبيه جمع جوامع الـ

ـعرفان سدرة منتهى الأخيار

---

(١) خرط القتاد : قشر شجر له شوك كالابر وفي المثل : دونه خرط القتاد .

حضراته محفوفة بتــــــلاوة الـ
القــرآن والأوراد والأذكـــــار
سهــل خلائقــه وتحت ثيابـــــــه
جــود يحــي سوابك الأمطـــــار

وعلى هذا المنوال جرى شاعرنا في مطولته الرائعـة .

ويلاحظ أن الشاعر قد اتكأ في بعض الصفات التي خلعهـــا على الممدوح على الشعر القديم كوصفه له بالجود والكرم ودماثة الأخلاق .. ثم أضاف اليه صفات أخرى تفوح بنكهـة التصوف السلوكي ،كتعميـــره مجلسه بتلاوة القرآن وأوراد الصوفية ووصفه له بأنه غوث الورى وسـدرة منتهى الأخيار وملتقى الأنوار وصاحب الحقيقة والشريعة وشيخ الشيوخ الى غير ذلك من صفات تثير أريحـيـة الزاهد وتهز لها نفسه ..

وبعد ،فان المديح عند شعراء العربية في غربي أفريقيا كـــان منبعثا عن فكرة الاعجاب وحب الفضائل والاشادة بالخصال والسجايا الحميدة ، فهو اذن مديح مثالي مجرد عن أي غاية الا غاية التغني بالجمال المثالي الخلقي ،فلم يكن ،كما قلنا من قبل ، لرفد الممدوح أو نيل عطاياه ،كيف يكون ذلك والشعراء المادحون أنفسهم كانوا من نفس طبقات الممدوحين أي أنهم من طبقات العلماء والمفكرين ورجال السياسة .. ولذا كان المديح عندهم حبـــا للمثالية المجردة وتعشق للقيم الطاهرة والتغني بالأخلاق المحمـودة ..

وقد عبر هذا المديح عن مضامين وقيم يمكن أن نلخصها فـــــي الآتي :

أ ـ قيمة الكرم والجود .

ب ـ قيمة القوة والشجاعة .

جـ - قيمة العفة والعدل والمساواة.

د - قيمة حسن الشيم والأخلاق والوفاء وشرف المحتد .

هـ - قيمة العطف والسماحة.

وهذه القيم المذكورة هي نفس القيم التي تغنى بها الشعراء القدامى منذ العصر الجاهلي مما جعل الناس جميعا يودون أن يتمدحوا بها .. غير ان شعراء العربية بغربي أفريقيا قد أضافوا أو أكدوا على قيم ومضامين جديدة أضفت على مديحهم الطابع الديني مما جعل صدى الدين ملازما لشعرهم في جميع أغراضه كما كانت الطبيعة ملازمة للشعر العربي الأندلسي في جميع أغراضه .. ومن هذه القيم والمضامين الجديدة :

أ - قيمة العلم والتعليم.

ب - قيمةالتقوى والزهد .

جـ - قيمة تعمير المجالس بالذكر وتلاوة القرآن.

د - قيمة الجهاد لنشر الدعوة الاسلامية والذود عن حمى الدين.

ونسجل هنا بعض الأمثلة على هذه القيم الجديدة ..

فعن قيمة العلم والتعليم وما يتبعهما يقول أحمد عيان سه :

أعني الامام سعيد النور من كشفـت
به الجهالـة عن قومي وأوطانـي

له تواليف غرّليس يشبههـا
شيء ويزدان منها كـل مـزدان

وعن التدين ونشر الدعوة بالجهاد يقول محمد البخارى :

اني لأخشى أن يحل بداركـم
من بغض هذا العالم الربانـي

وعن التمدح بالتقوى والزهد والورع يقول أحمد عيان سه :

عناية الله في الروحان قد سبقت
مقرونة بالتقى في السر والعلن
فاعجب لهمة شيخ وهي عالية
بالليل تمنعه من لذة الوسن
لم تلهه بهجة الدنيا وزينتها
ولا التفاخر بالأتباع والبدن

ومن الجدير بالملاحظة الاشارة بأنهم قد وظفوا ثقافاتهم الواسعة في الغريب والمنطق وبعض العلوم الاسلامية في أشعارهم وجمعوا في ذلك بين سهولة النظم ووعورة الألفاظ ، وستظهر هذه الظاهرة بصفة أوضح عندما نتناول تراجم الشعراء وذكر نماذج من أشعارهم ..

أما الرثاء فيعد من أكثر الأغراض الشعرية تناولا عند شعراء العربية في غربي أفريقيا .. فما أن يتوفى عالم من العلماء أو قائد من قادة المسلمين حتى يهرع الشعراء الى رثائه بقصائد حزينة بكاء على موت هذا الركن من أركان المجتمع الاسلامي في المنطقة..

أما أنواع الرثاء التي تناولوها فهي رثاء العلماء والملوك والوزراء والآباء والاخوان والأصدقاء والأزواج ورثاء المدن .. غير أن أكثر الأنواع تناولا لديهم هو رثاء العلماء والأصدقاء ..

وتناولوا من حيث مضمون الرثاء كلا من الندب والتأبين والعزاء ، ويعد الرثاء بحق من أصدق التجارب الشعرية لمساسه جانبا مهما وخطيرا من حياة هذا الانسان الضعيف ، وهو الموت الذى يعتبر نهايته

من هذه البسيطة ليلحق بحياة أخرى أبدية هو فيها بين أمرين ، اما سعادة أبدية واما شقاء مقيم..

وهاهو ذا الشاعر السنغالي أحمد عيان سه يرثى الشيخ زين الحامدين الشهير بحامدكن فيقول :

أيا مدير كؤوس الشاى لا تـــدر
فقد سقيت بكأس جالب الكـــدر

لما نعى حامدا الناعي سهرت لـه
ولوم من لام لا يشفى من السهـر

فليبك حامد منا كل ذى رحـم
فانني عن بكاه عز مصطبـــرى

وليبكه العلم والتعليم مجتهـــدا
ولتبكه كتب التفسير والأثـــر

وليبكه النحو والفقه الصحيح كما
يبكي عليه بيان جاء في الزبـــر

ياأهل " فوت "(١) نعى الناعون سيدنا
فلتصبروا فعظيم الأجر للصبـــر

ليس البكاء بمجد فيه خردلــة
والصبر أجمل للمقـدور والقـدر

لو كان يفدى فديناه بأنفسنـــا
والموت لم تنج منه شدة الحذر

قد كان في خدمة الأشياخ مجتهدا
بنفسه ومال غير مدخـــر

---

(١) منطقة

فاذهب عليك من الرحمن رحمتـــــه
مشيعا بين جنات · علـــى ســــرر
ان كنت سافرت محمودا الى أجـــل
فنحن بعدك في الدنيا على سفـــر
لبيك نحن على ما كنت تعهـــــده
مـن المودة ما ستحسن السهــــر
يكفيك من ولد ما كنت تعملــــه
من صالح العمل الباقي على الأثـــر
سقى ضريحك غيث بارد شبـــم
من رحمـة الله يهمي مدة العـصر

فالشاعر قد أظهر حزنه وتفجعه لما نعى اليه المرثى ، هذا الشيخ المصلح الديني، وبين أن مصابه جلل ولذا يعز عليه الاصطبار .

ثم ذكر صفات الميت الحسنة فهو عالم فقيه ناشر للعلم في ربوع البلاد ولذا يطلب الراثي من كتب التفسير والحديث والفقه والبيان والنحو أن تبكي على فقيدها وهو هذا الشيخ الجليل ،ثم يطلب من قوم المرثى أن يستعينوا بالصبر على مصابهم الفاجع ففي ذلك سلوان لهم وأجــــر عظيم، اذ أن البكاء لا يجدى فيه لأنه لا يعيده الى الحياة ، وأن الصبر والرضى بقضاء الله وقدره هو الأجدى والأنفع . ثم يعزى نفسه بأن الموت حق ولا يتخذ له تقية من حذر ، ثم يعود الى ذكر محاسـن الميت فهو خادم للعلم ورجالاته بنفسه وماله ،ثم يدعو له بأن يسكنـــه الله فسيح جناته يتبوأ منها حيث يشاء ،لأنه في الدنيا كان محمود السيرة ملتزما لنهج الشريعة الى أن وافته منيته ،وهم بعده سائرون على الدرب

ولاحقون به ان شاء الله .. ويبدو أن المرثى لم يرزق بولد ولذا يطمئنه الشاعر بأن حسبه من ولد عمله الصالح الباقي الأثر ، وكأني به يشير الى الحديث المشهور : " اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاثة ، صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له ". (١)

وأخيرا يدعو له بسقيا رحمة دائمة من الله على قبره ..

وللوزير الجنيد ألحان حزينة يرثى بها شيخه أبا بكر الملقب بـ"بوبي" فيقول مظهرا التفجع والحسرة والأسى :

أثار هموم القلب بعد هدوئها
مصائب كادت أن تحل عرى الصبر

نعم هد ركن الدين اذ عظم البلا
وضاقت صدور الخلق من شدة الذعر

وطارت عقول عن صدور كأنها
طيور أطارتها الصقور عن الوكر

وسالت دموع عن عيون كأنها
على النحر ميزاب يصب على النهر

وذابت قلوب من لظى الهم والأسى
كما ذاب من جمر اللظى قطعة التبر

وأظلمت الآفاق واشتد خوفنا
وضاقت علينا الأرض في البر والبحر

---

(١)

وعز اصطبار واستمرت وســــاوس

وليس يفيد الصبر والقلب في الجمر

ولا بد أن تعشو العيون تحيسرا

لقد غربت شمس الفضائل بالسحر

وبعد هذا التفجع والحزن الشديد اللذين شارك الشاعر فيهما كل الوجود من حوله ، يطلب الشاعر من عينه أن تجود بالدموع الهواطل نائحة على شيخ الشيوخ أبي بكر بحر العلوم وشمسها وخدن التقى والحلم والجود والخير وعنوان الوقار والمصباح الوهاج في انارة دجى الجهل بالوعظ والارشاد ، والكوكب الساطع في العلم والتعليم ، فلتنح العين عليه كما ناحت الورقاء تدعو هديلها وكما ناحت أم عمرو على عمرو ...
وفي الختام يصف غدارة الدنيا فهي دنيا غرور كثيرة المصائب لا يؤمن جانبها ومن أعظم بلائها ومصائبها فقد هذا السيد الكريم السخي ، ثم يعلن رضاهم بقضاء الله وحكمه فهم عبيد مشيئاته فيقول :

أيا عين جودى بالدموع هواطـلا

ونوحي على شيخ الشيوخ أبي بكـر

ونوحي على بحر العلوم وشمسهـا

وخدن التقى والحلم والجـود والخير

كما ناحت الورقاء تدعو هديلهــا

على أيكة أو أم عمرو على عمــرو

مصائب دنيانا الغرور كثيــرة

وأعظمها فقد السميدع ذى البـر

رضينا بحكم الله فينا لأننــا

عبيد مشيئات نسير مع القــدر

وقد وصف الشاعر المرثي بصفات منها الجود والحلم والوقار والكرم وهي صفات شائعة في الرثاء ،غير أنه أضاف اليها صفات أخرى تعبق بنفحات الدين من نحو وصفه له بأنه خدن التقى وبحر العلوم وأنه مرشد للناس الى طريق الهداية وسبل السلام ومعلمهم دين الله ،وأخيرا نجد أثر الاسلام على الشاعر في غير هذه الصفات في رضاه بقضاء الله وقدره والانقياد التام لمشيئته تبارك وتعالى ،وكذا وصفه الدنيا بالغرور ناظرا الى قوله تعالى : ﴿ وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ﴾.(١)

ولأسماء بنت الشيخ عثمان بن فودى مرثية في صديقتها عائشة تقول فيها :

الى الله أشكو من صنوف البلابل
ثوت في سويداء لقلبي داخل
لفقد شيوخ قادة الدين سادة
واخواتنا أخدان خير ونائل
وذكرني موت الحبيبة من مضى
من الاخوات الصالحات العقائل
من الصالحات القانتات لربهم
من الحافظات الغيب ذات النوافل
فزادت همومي وانفرادى ووحشتي
وسكب دموع فوق خدى هواطل

-----

(١) سورة الحديد الآية ٢٠.

لفقدى لعائشة الكريمة بالهـــا
من امرأة حازت صنوف الفضائـل
من الذكر والصدقات ثم تـــلاوة
وذب لمظلوم وحمل المثاقـــل
كفيلة أيتام غياث أرامـــــل
وعمدة حي بالحبا والتواصـــل (١)
توحشت من فقدى لها وهي صفوتي
وموضع سرى من عصور أوائـــل

فالأوصاف التي خلعتها الأسماء على عائشة هي الصلاح والتقـوى والقنوت لله وحفظ زوجها في الغيب وكثرة النوافل وأنها حازت الفضائل بكثرة الذكر والصدقة وتلاوة القرآن والدفاع عن المظلوم وحمل الأثقال وكفالة اليتيم واغاثة الأرامل مع كثرة العطاء للمحاويج في الحي ...
وواضح في هذه المرثية الاتجاه الديني لدى الشاعرة ممثلا في الصفات الحميدة التي خلعتها على المرثاة، وان كان بعض هذه الصفات قـد تناولها الشعراء القدامى من قبل، كالكرم والدفاع عن المظلوم وحمل الأثقال ..

وهذا الاتجاه الديني لدى الشاعرة يتجلي أكثر في مرثية أخرى لها في ذات الصديقة والتي تقول في مطلعها :

أعيناى جودا وابكيا لي حبيبتـــي
وسلوة أحزاني وأنسا لوحشـــتـــي

---

(١) الحبا : السحاب المتراكم القريب من الأرض والمقصود هنا العطاء الكثير .

وفيها تقول بعد أن أذرفت الدموع وأظهرت التفجع :

وانى لحكم الله راض وانمـــا
أراعى بما قد قلت حق الأخوة
ولا اثم حقا في الرثاء وقد رثى
النبي أبوسفيان يوم الوقيعـــة

فهي بعد الحزن تلجأ الى الله راضية بقضائه في صديقتها ، وأن هذه الدموع وهذا البكاء في الرثاء لا يأثم المرء به ، فقد رثى أبوسفيان النبي عليه الصلاة والسلام يوم انتقل الى الرفيق الأعلى صلوات الله وسلامه عليه .. ثم بينت ممنوع الندب على الميت بقولها :

وأبكي عليهـا بالدموع ترحمـا
وشوقا وتحنانـا لصدق المـودة
ولم ينه عن هذا النبـي وانمـا
نهى عن صراخات بآه وآهـــة

ولأخيها محمد البخارى مرثية في زوجته يقول فيها :

يا أخت أحمد ان رزءك هاج لي دمعا بــدم
ونفى الرقاد فمذ نعيت الي طرفي لم ينـــم
نعم الفتـاة حبيت مع حسن التبعـل والكـرم
خلقا جميـلا ذا تمام زانه حســن الشيـم
غادرتني متحيـرا مستوحشا بيـن الأمـــم

وهـواك مالي حاجـة لسـواك يا بنت الخضـم
بل مذ فقدتـك لاأرى النسوان الا كالغنـم
تالله تفتـأ مقلتي عبرى وقلبي ذا ألـم
لكن رضيت بحكم جبار الخلائـق ذى القدم
فسقاك رب العرش من رحماه غيثا ذا شبم

فشاعرنا قد بلغ به الحزن مبلغه فأظهر الأسى والتفجع حيث ظل يقاسي مرارة التسهيد فهو دوما يذرف الدموع قد حيره مصابه الأليم في أعز الناس وأقربهم اليه ، وهي زوجته التي يسكن اليها .

واذا نظرنا الى الصفات التي يرثى بها الشاعر زوجته نجد أنها هي :

حسن المعاشرة الزوجية والكرم والاخلاق الحميدة والشيم الكريمة مما جعله لا يجد وطرا في النّساء بعدها فهو يتخيلهن كالأغنام وبالتالي لا يجد له بهن حاجة .. وأخيرا يلجأ الى الله الذى لا منجى ولا ملجأ الا اليه بعد أن أظهر التفجع ولوعة الأسى ليسجل رضاه بحكم المحيي المميت الذى لا معقب لحكمه فهو جبار لا يسأل عما يفعل ... ثم يدعو لها بسقيا رحمة من الله رب العرش العظيم .. وهذا من قبيل الاتجاه الديني الذى يلازم الشعر العربي في هذه البلاد ولا ينفك عنه في جميع أغراضه ..

ويرثى الشيخ عمر ابراهيم استاذه ماجى اسحاق فيقول :

عراني من الهم ما قد كفاني
لموت الأديب فريد الزمان

امام تفرد في كل فـــن
فصار كشمس الضحى في العيان
ففي الفقه فرد كذا في الحديث
وفي النحو والصرف أوفي المعاني
اذا قيل من فاق للدرس شرحا
أشارت أكف له ببنان
اذا العلم أشكل أبوابه
له عند حل العقود يدان

وهكذا استمر الشاعر يعدد أفضاله العلمية وتفوقه على الأقران الى أن يقول :

ففي العلم بحر وفي الجود بحر
هناك اذن التقى البحران
لقد كان كالنيل في مصرنا
وفاض فأكثر في الفيضان
فأحيى القلوب التي يبست
بماء تقطر في تهتان
أاسحاق علم أاسحاق فضل
أاسحاق جود فداك جناني

فالشاعر هنا يرثي أستاذه فيذكر تفوقه في العلوم الاسلامية وبراعته في الشرح والتدريس وحل المعضلات العلمية ، فهو في العلم بحر وفي الجود بحر وهو فريد نسجه وفلتة زمانه ،وهو في شهرته العلمية كالشمس في رابعة النهار وهو يفيض من غزارة علمه

كفيضان النيل ،وهو يحيي القلوب اليابسة والعقول المتحجرة القاسية التي لا تخاف ربها بعلمه وارشاده .

وللأستاذ اسماعيل بن محمد مرثية في شيخه الحاج شعيب ابن الأمير محمد نسج فيها على منوال التهامي في رائيته المشهورة التي يقول في مطلعها :

حكم المنية في البرية جار
ما هذه الدنيا بدار قرار

فيقول اسماعيل واصفا حال الدنيا الغدارة :

الله أكبر ذى الدنيا لفناء
خلقت وما خلقت أخي لبقاء
دار كثير حزنها وهمومها
ما أضحكت الا أتت ببكاء
كانت على كدر ونحن نرومها
تبقى لنا بمسرة وصفاء
ترمى نبال خصومها لفراقه
يا صاح في نحرى صباح مساء

وبعد هذا الوصف للدنيا وتبدل أحوالها يبدأ الشاعر في البكاء على شيخه فيقول :

واحسرتي واحيرتي من فقده
اني أصبت بمن يداوى دائي
أبكي لموت أبي وشيخي سيدى
أكرم به من عالم معطاء

تبكي العيون لفقده فدموعها
تهمى كماء سحابة وطفاء
.. ما زال يحمل كلنا ويميننا
جازاه خالقه بخير جزاء
بحر العلوم نعم وبحر الجود من
في بابه العلما مع الفقراء
أكرم به شيخا وقورا صابرا
متعففا متزينا بسخاء
أعظم بمن يغضى ويعفو دائما
عن كل من يأتى بكل جفاء
طابت شمائله بخشية ربه
وتزينت وتجملت بحياء
حامي الذمار خصاله محمودة
لمحبة العلماء والشرفاء
ما زال متبعا لسنة سيد ال
كونين عالي همة وذكاء
متخشعا متواضعا متخلقا
بخلائق النجباء والصلحاء
..حاز العلوم أجادها متبحرا
فيها باتقان وليس برائي
فسقى الاله ضريحه ديم الرضا
وغيوث رحمته بلا احصاء ..

فالشاعر في هذه المرثية يرثي شيخه بصفات مستحسنة وأغلب هذه الصفات مصبوغة بصبغة دينية كعادة شعراء العربية في هذه المنطقة ..

والاتجاه الديني في هذه المرثية شديد الوضوح ،فالشاعر يبدأ المرثية بذم الدنيا والزجر عن الاغترار بها وأنها خادعة متلونة وأنها في النهاية فانية ، مما يجعل العاقل غير متعلق بها ..

ويظهر تأثير الدين أيضا في الصفات التي حلى بها الشاعر مرثاه فهو طيب السريرة جمع الى حسن المنظر طيب المخبر ، وهو يحمل الكل ويعين على نوائب الدهر وهو بحر في العلوم والجود والكرم وقور صابر متعفف .. سمح يغضي ويعفو عن الجناة دمث الأخلاق حيي حامي الذمار جم الرماد ،محيي سنة سيد الكونين والثقلين خاشع متواضع متخلق بأخلاق الصالحين وخصال النجباء حائز للعلوم متبحر فيها ومتقن لها ،مجتنب للرياء في أعماله الخيرية .. وهذه صفات وقيم تعبق بعبير الاسلام وأريجه ..

وأخيرا يدعو للميت بسقيا من رضوان الله وغيوث من رحمته .. والدعاء بالسقيا على أضرحة الموتى تقليد قديم ولكن الشاعر صبغه بالصبغة الاسلامية حين ربطه برضا الله ورحمته .

ومن قبيل رثاء المدن والندب على أمجاد المسلمين في هذه المنطقة السودانية قصيدة الشاعر أحمد عيان سه التي سماها ب " دمعة الباكي " ذكر فيها الدول التي تنعمت بالاسلام وحضارته قديما راثيا على ما آل اليه امرها بعد دخول الأعداء المستعمرين فذكر هذه الدول وهي مالي وفوت وكجور وسيغ وجلف وكسب وبند وأنجور

وغانا وطور وتمبكتو وجرما وهوصا و وهوصا و قاسِنَ وكانو ، كما ذكر مجـد ملوك الزنوج مثل "لتجـور" وأولياء مجاهدين مثل الحاج عمر تـال فيقول :(١)

يا جامع الناس في عز وفي شـرف
و موقظ الناس من هـو ن و من تلف
فقف بسنغال والسودان مشتكيا
ما داربينهما من خالص الصلـف(٢)
جيلان جمّعت الأشياخ بينهمـا
في الشرق والغرب جمع اللام والألف
اليو م فرقت الأعـداء بينهمـا
وليس جمعهما يوما بموء تلـف
أين الشيوخ الألى حازوا لدينهم
دنيا وما شرفا أبقوا لذى شـرف
أين الملوك التي كانت تهابهـم
أسد الشرى وأولوا الاحسان والظرف
أين العطايا التي كانت تجود بهـا
وفاة عهد علوا من فوق كل وفـى
أين الفحول الألى ما زال عندهـم
وان تمنع خافي العلم غير خفـي

----

(١) الأدب السنغالي العربي ج١ ص١١٧.
(٢) الصلف : قلة الخير.

أما تراها خلت من كل ذى ثقـــــة

وكل حبر بعد البحر متصـــــف

وبعد ذلك يبدأ في ذكر المدن الاسلامية التي لم تعد لهـــا مكانتها الاسلامية السابقة لتفرق المسلمين وتنازعهم نتيجـة موءامـــرات المستعمرين وكيـدهم ضد الاسلام والمسلمين فيقول :

من آل فاروق أمست " فوت " مقفرة

ومن بنية بنـــاة المجد والشـــرف

وتلك " كجور " من" لتجور" خاليــــة

جرّت عليها السوافي ذيل ملتحـف

" فسيغ " فيها لنا من قبل ذا وطـن

ولي مواطن في الا"رجا" من " جلف "

و" كسب " أسلافنا حلّـوا بها وكـــذا

في " بند " لي سلف ناهيك من سلف

لي اخوة في قصور " انجور" منزلهـم

ولي بمدين اخوان ذووظـــرف

ولي " بطور" جدود طالما رفعـت

راياتهم وأضاءت ظلمة الســـدف (١)

ياأهل " ماسن " كونوا وفق اخوتكم

ولا تميلوا الى بغض ولا جنـــف

---

(١) السدف : الليل المظلم .

قولوا لتمبكت أو للجرم ليس لكم
الا تجنب أهل الزيغ والسخف
يا أهل هوص وأهل الفان فاتفقوا
ولا يكن عنكم أمر الوفاق خفي
وان تفرقكم بالقول ألسنة
فالدين يجمعكم في البيت ذى الغرف
أو فرقتكم طريق وهي واحدة
في الاصل مرجعها للبيت ذى الشرف
فالكل صار لدين الله متبعا
ولم يمل أبدا عن دينه الحنفي
مواطن كلها في الاصل متحد
وأهلها طالما مالوا الى الترف
قد زين الله بالاسلام بهجتها
والدين قوى بها ما كان من ضعف
وكل من كان في البلدان ذا شغف
بموطن فأنا بطّور ذو شغف
فكم ظللت بها ألهو بغانية
ما شئت من حور فيها ومن هيف
تمشي الهوينا فترتاح القلوب لها
مشي النزيف بكأس الخمرة الانف
آوى الى فتية شم قياسهم
بالناس مثل قياس التبر بالخزف

وكلهم بالحيا والجور متصـــف

باللوم ما أحد منهم بمتصـف

وكلهم من ثمار المجد مقتطـف

ولم يكن للخنا يوما بمقتطـف

يا سنفال علوت الأرض منزلـة

بالحاج فالحاج للعلياء كالشنف (١)

فمن مواهب مثل السحب واكفـة

ومن قريض كمثل الدر في الصدف

من في البرية كالفاروق مجتهدا

ضاءت بأسيافه الدنيا من السدف (٢)

له محاسن في الدنيا غدت مثلا

فيها الشفاء لداء الجهل والسنف (٣)

امن يبارى الفتى البكي (٤) في حكم

أمن يشابهه في الزهد والتحف

ومن علوم خفيات يحررهـا

ما بين متفق فيه ومختلـف

ثلاثة ضنت الدنيا برابعهم

طابوا كما طاب طعم الماء بالرضف (٥)

---

(١) الشنف : الذى يلبس في أعلى الأذن.

(٢) الشيخ عمر الفوتي هو المقصود بالفاروق والسدف الليل أو الظلام.

(٣) السنف

(٤) يعني به الشيخ الخديم أحمد بمبا البكر .

(٥) الرضف : حجارة يوقد عليها فيلقى في الماء اذا برد الزمان.

يشفى بريقهم من كان ذا وصـــب

فكونهم مرهم العاهــات غيرخفــي

يا ليت قومهم ينضم جمعهــــــم

حتى يروا نهضة السودان في الشرف

وأخيرا يختم القصيدة بالابتهال الى الله أن يحسن ختـــام المسلمين كما أحسن بدأتهم وان ينهضهم من عثرتهم وأن يمكنهم فــي الأرض ويرجع اليهم حقوقهم المغصوبة وحريتهم المسلوبة وان ينصرهم على أعدائهم فيقول :

يا رب أحسن ختام المسلمين كمـــا

أحسنت بدءتهم في سابق السلـف

وبالتمدن مع تمكين نهضتهـــم

والأمن من كل عاد مائل الطـــرف

أدم تراقيهم وارجـع حقوقهـــــم

وانصرهم زلفا تأتـى الى زلـــف (١)

ولتمض حرية منهم لتطفيء مــــا

في القلب من لافحات الهم والأسف

ألطف بجاه رسول العالمين بنـــا

ونجنا رب من هـون ومن تلــف

ولا شك أن مراثي المدن في غربي أفريقيا متصلة النسب بمراثـــي المدن في المشرق الاسلامي اثر حملات التتار ومراثي المدن في الأندلس

---

(١) الزلف : التقدم .

اثر سقوطها في يد النصارى الاسبان .

وهناك مراث أخرى كثيرة لا تخرج عن النماذج التي ذكرنا في شكلها ومضمونها ، ولذا نكتفي بهذا القدر خوف التطويل على أن القارئ لمراثي شعراء غربي أفريقيا يلاحظ أنها تتسم بالسمات التالية :

١ - أن عاطفة الحزن موجودة كأصل من أصول الرثاء الذي يعد الحزن جوهره فتجد الشاعر كثيرا ما يذرف الدموع ويظهر الحزن والتفجع الشديدين لفقد الميت غير أننا نلاحظ مع ذلك عدم الخروج عن التعاليم الاسلامية في رثاء الميت بل انه رثاء اسلامي يلتزم بأوامر الله تعالى ، ويلتجئ الشاعر أخيرا الى الله ويرضى بقضائه وقدره فعبد الله ابن فودى يقول في رثاء صديقه مصطفى :

٢ - ان الرزايا فقدن أمثاله
لكن رضينا ما قضى الجبار

وتقول أسماء بنت الشيخ عثمان في رثاء صديقتها عائشة :

واني لحكم الله راض وانما
أراعي بما قد قلت حق الأخوة
ولا اثم حقا للرثاء وقد رثى
النبي أبو سفيان يوم الوقيعة

أما طريقتهم في الرثاء فهو لا يختلف كثيرا عما هو عليه لدى شعراء المراثي في الشعر العربي من حيث أنهم وصفوا المرثى بصفات مستحسنة لدى الناس في المجتمع الاسلامي والأخلاق الحميدة والخصال المحمودة كالجود والكرم والحلم والصبر والشجاعة وما الى ذلك ، ثم ان

المزايا العلمية من أهم السمات البارزة في رثائهم للعلماء بحيث اذا قرأ المرء رثاءهم لأي عالم من العلماء سهل عليه أن يفهم الفنون العلمية التي طرقها المرثي وبرع فيها ، فمثلا يقول أحمد عيان سه في رثاء حامد كن :

وليبكه العلم والتعليم مجتهدا
ولتبكه كتب التفسير والأثر
وليبكه النحو والفقه الصحيح كما
يبكى عليه بيان جاء في الزبر

وأخيرا يذكرون أن هذه المزايا العلمية والصفات الحميدة قد ماتت بموت المرثي ودفنت معه في قبره فمثلا يقول الوزير الجنيد في رثاء شيخه :

ولا بد أن تعشو العيون تحيرا
لقد غربت شمس الفضائل بالسحر

وأخيرا نلاحظ أنهم مهدوا لقصائدهم في الرثاء غالبا بالثناء على الله وذم الدنيا في أكثر الأحيان وخير مثال على ذلك قصيدة الشاعر اسماعيل بن محمد في رثاء شيخه شعيب بن الأمير محمد التي يقول في مطلعها :

الله أكبر ذى الدنا لفناء
خلقت وما خلقت أخي لبقاء

ونجد كثيرا منهم لا يمهدون لقصائدهم في الرثاء وانما يدخلون في موضوعاتهم مباشرة مثل قصيدة الوزير الجنيد السابقة وقصيدة

أحمد عيان سه وغيرهما . ومما يلاحظ أيضا في الرثاء عند هؤلاء الشعراء انهم يجمعون في قصيدة واحدة أوفي الرثاء الواحد بين الندب والتأبين والعزاء على غير ما ترتيب في ذلك ،ولاأجدني بحاجة الى التمثيل لذلك فبأدنى نظرة في رثاء القوم يتبين للقارئ مصداق ماقلت.

وأخيرا يلاحظ أن صور الرثاء كانت ممتزجة بالمدح حيث يمدحون الميت باظهاره دين الله واقامته الواجبات وتعليم المسلمين وارشادهم الى سبل السلام هذا ان كان من العلماء وان كان من غير العلماء فانهم يمدحونه بالصفات المستحسنة والخصال الحميدة ولا غرابة في ذلك فقديما قال ابن رشيق القيرواني: وليس بين الرثاء والمدح فرق ،الا أنه يخلط بالرثاء شيء يدل على أن المقصود به ميت مثل " كان " أو" عدمنا به كيت وكيت " وما يشاكل هذا ليعلم أنه ميت".(١)

أما الغزل ،فلم يكثر شعراء العربية في غربي أفريقيا القول في هذا المجال الخصب الذى يمثل العاطفة الانسانية والمشاعر الوجدانية أصدق تمثيل .. فكثير من الشعراء قد استنكف القول في هذا الفن وقليل من أطلق العنان لعاطفته لتجود بمشاعرها الفياضة في هذا الباب ...

أما الذين تحرجوا القول في الغزل فربما كان الرادع في ذلك حرصهم على الاحتفاظ بمكانتهم الاجتماعية كرجال الدين وصونا لأعراضهم من أن يسلقها الناس بألسنة حداد .. ومن هنا لم نجد عند هؤلاء

---

(١) العمدة جـ٢ ص ١٤٧ دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء .

ما يمت الى الغزل بصلة ،اللهم الا ما كان افتتاحا لمقدمات قصائدهم في أغراضها المختلفة جريا على عادة الشعراء القدامى في المشرق والمغرب العربيين ..وحتى هذا القليل الذى قصد به المحاكاة والتقليد فاننا نجد أكثرهم يختمه بالزجرعن تعاطيه واثبات عدم جدواه وذلك قبيل بدئه في غرضه الأساسي من القصيدة .. وكأنه بذلك يقرر مقدرته على مجاراة الشعراء القدامى في نسيجهم وان لم يشعر بشعورهم ..

أما الفريق الآخر الذى لم يجد في صدره حرجا من البوح بعاطفته الجياشة وصبابته الدافقة عن طريق الغزل، فينقسم الى صنفين :

صنف كان صادق الشعور في تجاربه الغزلية فوصف مشاعره ولواعجه وما يقاسيه من تباريح الهوى وصفا لم يخرج فيه عن المبادىء الاسلامية السامية وتعاليمه الحكيمة فلم يفحش في شعره ولم يتبذل ..

وصنف آخر تغزل ووصف محبوبته بدافع التقليد والمحاكاة ونشك في صدق تجاربه ، وان كان هو الآخر لم يخرج عن التقاليد الأخلاقية في المجتمع الاسلامي في شعره .. ونعتقد أن الشاعر السنغالي المجيد يونس ذا النون في غزلياته من هذا القبيل ،ولنستمع الى قيثارته في التغزل بفتاة من " سانلوى " المدينة التي كان يدرس فيها ، فيذكر في غزله بعض أحيائها مثل " لود " و" سندوس" و"كرجان " ، فيقول :

يا ربة الحسن يا جنة الرانى
فأنت انسان عيني كل انسان
انا نرى فيك أوصافا يقارنها
نهد وقد كرمان ومران

انسانة ما رأت عيني مباسمهـــا
الا وشيطانها للحاج أنســانـــي

فوالذى خلق الانسان من حمــأ
ان ابنة الاندرى جنى وشيطانـــي

دموعها درة بيضاء ناصعــــة
وأدمعى كالعقيق الأحمر القانـــي

نونان في حاجب قوسان في وتــر
رمتهما تحت صبح الوجه عينـــان

عينان فوقهما نونان تحتهمـــا
تفاحتان على مبيض كثبــــان

الماء والنار في خدى وفي خلــدى
لم يجتمع قبل هذا اليوم ضـدان

نيسان دمعي عند البحر درتـه
بل صار سما بفكي كل شعبـــان (١)

نفسي فداء لسمراء برهرهـــة
أفرغت في حبها كيس وكيسانـــي (٢)

له غدت أوجه الغادات ساجــدة
ما بين " لود " و " سندوس وكرجان"

----

(١) نيسان : بالفتح سابع الأشهر الرومية ومن خواصه المطر الكثير .
(٢) كيسي : اكياس دراهمي ،كيساني : عقلي ،وبرهرهة : حسن بصيص لون البشرة.

..ان كنت في سفر فالقلب في حضر

وذاك أوقد أشجاني فأشجاني

عرفت دهرى أحوالي فنكرها

يا ضيعة بين عرفان ونكران

أوطار نفسي عن الأوطان قاصية

فشقني بعد أوطارى عن أوطاني

ذو النون يكتب ذا فورا و يسرده

وشوقه ليس يبليه الجديدان

بلغ سعاد وان شط المزار بها

بأنني في هواها جد حيران

كم رام دهرى أن أسلو وهددني

بجوهرى صارمي صد و هجران

صددت عنه ولم تنجح مقاصده

فبعد ذلك صافاني وواخاني

كان الهوى قبل هذا ساعدى و يدى

فما أهبت به الا ولباني

ان صادفتني خطوب من أماكنها

فلا أخاف وعين الله ترعاني

وبعد وصف صبابته وكلفه بسعاد ، تلك التي تغنى بها بعض الشعراء القدامى في غزلهم ، يتوجه ذو النون بالرجاء الى الله المؤلف لما بين القلوب أن يجمع شمله مع سعاد لينعما بالوصال في أمن ودعة وطول عمر ..

ولعل القارئ بعد هذه الأبيات يتهم حكمنا على الشاعر بزيف التجربة بالتسرع والاجحاف ولكنه سرعان ما يغير رأيه عندما يقرأ الأبيات الباقية من القصيدة ، ولنستمع اليها :

لعل رحمة رب العرش تجمعنا
فلا شماتة نخشاها لدى الشان
في ضمن أمن ويمن صاحبا دعة
وطول عمر بخلان واخوان
من قبل قد كانت الأشواق جملتها
أحكامها تحت تصريفي وسلطاني
لم يلقني عاشق ينمى له مكن
في الشوق الا وحياني وبيّاني
سبقت بالشوق أهل الشوق فاستبقوا
الى حماى وجابوا كل ميدان
وقد أقروا بأني مفرد علم
فالدهر يخدمني والنصر يلقاني
بعد الفناء بقاء للعلم به
فاعجب فديتك من باق لدى فان
اني أقول لمن يبغي مكاتبتي
ذو النون سلطان أهل الشوق عنواني
فالشوق يخفض من قد كان ذا شرف
عدلا ويرفع هيان بن بيان
فكن مجدا مجيدا ان وصفت ولا
تقنع بباكورتي نحو وأوزان

الا اذا كانتا في جنب غاديـــة

تفض زهر المعاني البيض للرانــي

فللمعاني بديع راق منظــــره

يبدى فنون بيان تحت تبيـــان

أرأيت من ذا الذى تسمح له دواعي الحب ووجيب الفــؤاد ولوعة النّوى ومقاساة تباريح الجوى أن يثني العنان الى المطالبــة بسلطة العاشقين وقصب السبق في سباق المحبين ،ذلك لعمرى لــم يجرب لواعج الحب وعذاب الفـؤاد.

هذا رأينا في ذى النون .. ويؤكد ذلك استمرارية الشاعـر على هذا النمط في جميع غزلياته من ذكر الصبابة وما جرعه البين من حزن وأسى حتى غدا عذوله يرثى لحاله ويذرف الدموع شفقة عليه ،ولا يتناول من أوصاف محبوبته الا صفاتها الحسية والتي هو فيها مسبوق وعالة على من سبقه من الشعراءفمحبوبته بدر في خدر ورشا غزال ان تثنت أرت غصن بان ،ولعل أشمل المقطوعات الغزلية التي تمثل مذهب الشاعر في هذا الفن المقطوعة التالية :

فلم ترعيني قبل حوراء ماشيـــا

غزالا بدا بدراً على الأرض ماشيـــــا

فأسنانها كالعاج حسنا وكم شج

ولما رآها قال يا ليتها ليـــــا

ولا تتجلى لامرىء في صلا تـــه

ولو صالح الا وأصبح ساهيــــا

هي الغادة الهيفاء كالروض بهجـــة

ويخجل ريّاها الأريج الغواليـا

فقلبي لأجل الحزن أصبح حائـــرا

ودمعي لأجل الشوق يملأ واديـا

فيالك من ريانـة الساق ان بــدت

وريحانة الساقي اذا بات شاديـا

لها شنب يلهى الهنود وقامـــة

تريك قضيب البان لم يك ذاويا

فديتك يا روح الجمال وذاتـــه

بنفسي وأهلي ثم مالي وماليـــا

فسلم عليها يا نسيم وقل لهـــا

الى اليوم حبل الشوق لم يك باليا

وغير خاف أن هذه الصفات الحسية الغزلية قديمة قدرددهـا الشعراء القدامى من قبل ،وأغلب الظن أن ذا النون قد اقتحم حمــى الغزل ليثبت مقدرته على النظم في معانيه،فمحبوبته نجدها تارة "سلمى" وحينا "سعاد" وهو مغرم بالتفوق في سباق العاشقين متيم بالامارة عليهم كما رأينا في الأبيات السابقة وفي اللاحقة يقول :

تقيسون بي قيسا ضلالا وبيننـــا

مراحل تثنى عزم كل قطـــاة

وأيام قيس في زماني ســاعـــة

فكم بين بحر زاخر وأضـــاة

لقد علم الأيام والحال شاهــد

بأن جميع العاشقين عفـــاة

غدت أمراء الشوق تحت أوامـــرى

ويرجو وعيدى كلهم وعداتـــي

لقد جنحوا للسلم حين بدا لهم

تجلى جلال القهر من سطواتي

واذا تجاوزنا ذا النون وأثنينا العنان على محمد البخاري النيجيرى نجده في غزلياته سائرا على منوال القدامى في وصف المحبوبة سواء في مقدماته الغزلية لأغراض مختلفة من مدح وفخر وما الى ذلك .. أو في قصائده التي خصصها لهذا الغرض .. وما مهد به للمدح قوله :

فجعتك أم الفضل بالهجران

فبقيت بين الناس كالسكران

وكأن في قلبي وجوفي جمرة

مذ بعدتني من جناها الدانى

قامت تراءى في القصور بفاحم

رجل ومقلة شادن ظمآن

وبجيد مغزلة وساق خدلة

وترائب كالدر والمرجان

وقد سبق الحديث عن هذه الأوصاف الحسية للمرأة عندما تناولنا هذه القصيدة في المدح حيث نظرنا لهذه الأوصاف في الشعر العربي القديم.

ومن قبيل المقدمات الغزلية لهذا الشاعر الأبيات التالية :

وبيضاء عجزاء ممكورة

مبتلة كمهاة الرمال

بذلت لها مهجتي وفؤادى

وما كان لي من عيال ومال

فلا تعذلوني بما قد صنعت
فذاك قديما صنيع الرجال
سبتني بأسود مفدودن
وحف أثيث سخاح جفال
وعيني مهاة وثغر شتيت
وذى أشر مثل شوك السيال
وخد أسيل وخصر بتيل
وردف ثقيل وسوق خدال
وخلق عميم وخلق كريم
وقول رخيم وحسن الدلال
لقد قسمت بين حقف وغصن
وبين المهاة وأم الغزال
سلا القلب عن كل رعبوبة
سواها وما القلب عنها بسال
أأسلو وأنت رشوق ألوف
أنوف ونحرك مثل الهلال
وثغرك در وريقك خمر
ووجهك بدر تحت الليالي
لك الفضل في الناس يا أم عمرو
حويت مع الحسن كل المعال

فالشاعر يصف محبوبته العجزاء المكورة بمهاة الرمال قد سبته بعينيها الحورائين الدعجاوين وشعرها الفاحم الأثيث وثغرها الشتيت ذى الأشر وخدها الأسيل وخصرها البتيل وردفها المكتنز

وساقها المعتدل و هكذا دواليك ..

وكل هذه الأوصاف الحسية للمرأة قد استهلكها الشعراء القدامى وان كان الشاعر قد اهتم بصفاتها المعنوية حيث أشاد بخلقها الكريم وأنها حوت بجانب الحسن كل المعالي وبعدت عن سفاسف الأمور فهي تجمع بين حسن المظهر وحسن المخبر .. ولنعرج الآن على قصائده الغزلية حيث يقول :

أخيال آمنة التي
من دونها جوب القفار
قد هجت أحزانا لقلـ
ـبي المستهام المستطار
وسلبت عن نفسي القرا
ر ومطت ما بي من وقار
وتصارم الأجفان منـ
ـذ نأت ديارك عن ديار
ما تلتقي الاعلى
دمع على الخدين جار
حييت يا أخت الزبرجد
والزبارج والدرار
ووقيت من حسوب يشيـ
ـنك والملمات الكبار
وحياة حبي فيك ما
للقلب دونك من قرار

وهو في الأبيات السابقة يصف عمل الغرام والعشق بـه وكيف هاج خيال محبوبته حزنه الدفين وهواه الجامح فسلبه العقل والوقار ، فهو منذ نأت عن دياره لم يذق طعم الكرى ولم تغتمض عيناه بل ظلت تذرف الدموع تولها وصبابة وشوقا اليها ،كيف لا وهي التي تشبه في الحسن والجمال الزبرجد والدرر . . ثم يدعو الله لها بالوقاية من كل ما يشينها ويدنس شرفها و يقض مضجعها . . وأخيرا يقسم لها بالحب بأن قلبه ليس له قرار بعدها . . وله في قصيدة أخرى :

هاج لعيني مع دمع دما
طيف أتى من رشإ آدما
يا أيها الطيف الذى زارني
لو كنت حقا لشفيت الظما
يا لائمي في حب رعبوبة
كلوء لوء الغواص أو كالدما
لطيفة الكشحين مكسورة
ترمي الورى عن لحظها أسهما
أقصر فما أنصفت حقا وما
نلت من الرشد نصيباً وما
ما نظرت عيني الى مثلها
حسنا واحسانا ورب السما
قامت تريني يوم ودعتها
كشحا لطيفا طيّه أهضما

الى أن يقول :

ذكرتها وهنا وكم دونها

جوب قفار ليس فيهن ما

فهذه الأوصاف التي خلعها على المحبوبة كلها أوصاف قديمة قدم الشعر العربي فهي تشبه لؤلؤ الغواص وهي كالدمى ، لطيفة الكشحين مكورة تفترس الناس بلحظها .. وان كان يمتاز شعره بالتدفق والسهولة ..

ولعل غزل هذا الشاعر لم يقع تحت ضغط الحب ودواعيه ، وانما كان في غزله مجاريا للشعراء القدامى ومقلدا لهم ،ويدل على ذلك ما تصدر به مجموعة أشعاره حيث كتب على المخطوطة الموسومة ب " الميل على حب النساء " ما يلي : " هذا من بعض قصائد محمد البخارى ابن الشيخ عثمان ابن فودى تغمدهم الله بالرحمة والرضوان .. واعلم أنه لما كانت القلوب مجبولة على حب النساء والميل اليهن افتتح جل قصائده بذكر شيء من محاسنهن وخالص صفاتهن تبعا لأكثر الشعراء ليكون أدعى الى الانصات عند السماع فتصغي اليها الأسماع وتميل الى معانيها الطباع "..

ولكن يجب أن لا يخدعنا مثل هذا، اذ نشم في ثنايا بعض الأبيات صدق التجربة وحرارة العاطفة ..

هذا ويقاس على الشاعرين : يونس ذى النون السنغالي ومحمد البخارى النيجيرى بقية الشعراء الذين اتخذوا الغزل تمهيدا لأغراضهم الشعرية المختلفة ،وهؤلاء لا يختلفون كثيرا عنهما من حيث السير على نهج الشعراء القدامى في وصف الصبابة ووصف المحبوبات ، فقد استعاروا

صورهم وألفاظهم بل وحتى أسماء المحبوبات من الشعر القديم ، كسعاد وسلمى وسليمى ومية وما أشبه ذلك..

ويبدو أن هؤلاء الشعراء تحرجوا من البوح بأسرار قلوبهم خوفا على مكانتهم الاجتماعية والدينية ، اذ نشم من وراء بعض أبياتهم صدق التجربة وحرارة العاطفة وذلك عندما يفلت من أيديهم زمام المحافظة فيطلقون العنان لعواطفهم الجياشة غير أنهم لا يلبثون في هذه الحالة أن يردوا جماح عواطفهم ليعود الى التقليد مرة أخرى حتى لا يفتضح أمرهم ..

ولعل هذا التحرج هو الذى دعى محمد البخارى في قصائده التي أفردها للغزل أن يستعمل الطيف أو الخيال حتى لا يظن به الظنون ،كما حدا ذلك أيضا بعضهم الى الدعاء للمحبوبة بالوقاية من الله من كل ما من شأنه أن يدنس شرفها وطهرها .. ولكن تدفق أسلوبهم يفضحهم ، نعم انهم محافظون ولكنهم بشر ..

وهناك ظاهرة قديمة شاعت في غزل هذا الصنف من الشعراء وهي ظاهرة " العذول " فها هو ذا ذو النون يقول في احدى غزلياته :

يقول عذولي هل تموت من الأسى
رأيت سكوتي عنه عين جوابي

وفيها يقول أيضا :

وأهل الهوى عدوا الشكاية في الهوى
نباح كلاب أو طنين ذباب
ولاح رآني ما أصبت وانني
مصاب واني في أشد عذاب

فقلت له من كان يمشي على الثرى

ولم يك صبا فهو عين مصاب

فليس امرؤ قد مات شوقا كغيره

وما طعم شهد يا أخي كمصاب

ويعد الشاعر السنغالي محمد المصطفى آن من أولئك الذين لم يتحرجوا من البوح بطوايا قلوبهم من الحب .. غير أنهم في ذلك لم يخرجوا عن المبادئ الأخلاقية والتقاليد الاسلامية في هذا المضمار..

فها هو ذا يشكو صبابته وفرط وجده وشدة كلفه بفتاة اسمها " ياسمين " فيقول :

صادت فؤادك ياسمين وأثخنت

فيه الجراح ولم تجد بعلاج

قد حركت منك الكمين فأهلت

بعد الحراك وآثرت بهياج

هضماء ليس بها في وجهها شحب

والمشي منها على غنج ورجراج

رحماك رحماك يا أختي ولي وطر

فاقضي ولا تهملي يا نشوتي حاجي

وافيتها ليلة يعلو بهامتها

رمز الجمال ونعم الخاطب الراجي

وقد علا الصدر رمانان زانهما

مواقع النصب في زهو كذى تاج

يا رب قدر لها لي زوجة صلحت

حالي وحالتها في خير منهاج

حقا ان شاعرنا كان جد كلف بهذه الفتاة الفاتنة ولكنه في هيامه وولهه بها ذو قصد شريف - كما يقولون - ولذا فقد ختم المقطوعة بالتضرع الى عالم أسرار القلوب أن يقدرها له زوجة على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وشاعرنا مولع بختم قصائده الغزلية بمثل هذا التضرع فله قصيدة أخرى نظمها ليلة أن أظهرت له ياسمين ما أضمرت وأظهر لها نياته فختم القصيدة بقوله :

يا رب هاذى يسرن ما أبتغي

بزواجها اذ راعني اكرامها ..

هذا ويعد أيضا ممن تغزلوا استجابة لوجدانهم وحبا في تسجيل تجاربهم العاطفية الأديب النيجيرى الشاعر عمر ابراهيم في قصيدته التي سماها : " الكون موات لولا الحب " وهذه القصيدة تحتوى على ستة وستين بيتا جاءت في شكل موشحة في رقة ألفاظها وعذوبة موسيقاها ونظام أبياتها : (١)

يقول فيها :

يا حبيبي يا حبيبي

اصغ سمعا للحبيب

هل أتاك اليوم أنى صرت عظما في الشعار

ذهب اللحم بخسارا صاعدا من حر نار

ماثلا فوقي سحابا لا أرى ضوء النهار

---

(١) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا ص ١٩٤.

يا حبيبي يا حبيبي
هل تبالي بنحيبي
ان يطل صدك عني يذهب الحر عظامي
أختفي عنك ولا تسـ مع من بعد كلامي
ان تشأ ذاك وأخشى عل ترمي بسلام
لو ينادي (غيرشي°) قلت أنعم بسلام
يا حبيبي يا حبيبي
طيفك اليوم طبيبي
كنت أرجو السرور لما بان ثغر الابتسام
ورأيت النور حولي قربه باب السلام
ذلك الرضوان يأتي فاتحا باب مرامي
فاذا بي صرت آدم آه لاشجر أمامي
يا حبيبي يا حبيبي
جئت بالأمر العجيب
يا حبيبي لم يطلني عنك شر الوسواس
زال انديز وأقـا أنت في القلب فراس
يفرح الناس بخمر وأنا ثغرك كاسي
لذة ان نبض القلـ ب بها قرت برأسي
ياحبيبي يا حبيبي
هل أنادي من مجيب
لذة تنشي° في جسـ مي ما تهواه نفسي
فنأرى الكون بشكل غير ما بان بأمس
كله مسك وزهر كمروس قرب عرس

وأراني الحب ما لــــم يرنيه نور شمــــس
يا حبيبي يا حبيبــي
ريقكم خمري وطيبــي
انما الحب بأمر الســر فلتأت نمانــق
لو أبى ذاك لصار الـ قلب وقت العشق آبق
بل تراه وفق صوغ الـر ب للأحباب عاشــق
فأبر الناس معطي الـ محب حقا ثم فائــق
يا حبيبي يا حبيبــي
نقصه شر الذنــوب
انما الكون بأقصــا ء موات في مــوات
فحياة زينــت ذا ك بشتى الحسنــات
ثم راقت هي بالحـ ب حياة للحيــاة
يا حبيبي يا حبيبــي
اسقنيه بذنــوب
واسأل الأشجار عن أز هارها من فوق غصــن
واسأل الأطيار عمــا هاجها حين تغنــي
وارقب الوحش ولا تخـ ش تر العشق بعيــن
واسأل المنكر في الجنـ نة معنى حور عيــن
يا حبيبي يا حبيبــي
اعطني فوق نصيبــي
يا حبيبي طيفك المحـ بوب لي خير مــرادي
بعد جرم لــك لا يمـ نع فوزي في رقــادي
سل فؤادي ما يقاســي لحظة حين انفــرادي

انفرادى لي ضـــلال وتلاقينا رشـــادى
يا حبيبي يا حبيبـــي
أنـت سقمى وطـبيبـــي
قالت الأنجم لمـــا شعرت من حرمانـي
انما الحب عـــذاب دونه كل العـــذاب
قد سكنا مطمئنـــا ت على رغم انجـــذاب
لوعرفنا الحب تـــلـ ـقانا على حال اضطـراب
ياحبيبي يا حبيبـــي
جئت بالقول العجيـــب
يا ذوات النور ما قو لك هذا بســـداد
ان يكن هـذا عذابـا فهوعذب في فـــؤادى
فيك نار ثم لا جــد ب اخمدى مثل الرمـــاد
اخلعـي ثوب بيـاض والبسي ثوب ســـواد
....
اتركي الحب بنا ينـ ـزل في مغنى رحيـب
قربن فاك خليلـــي ماؤه كالسلسبيـــل
لشفائي وحياتـــي اسقني غير القليـــل
وكأيـن من عليـــل وكأيـن من قتيـــل
ماله في الروح - لولا الـ حب أحيى - من سبيل
يا حبيبي يا حبيبـــي
أحينـي عما قريـــب
لأرى ما قيل في مـــن مات صديقا ومؤمـــن
وشهيدا في حروب الـ حب لا في القتل موقن

من نعيم في جنـــــان لشهيد "البدر" كامـــن

لكمال الحسن فـــي بـــد رى ذقت القتل ساكن

يا حياتـــي يا خلـــودى في مآبـــي المستطـــاب

فالشاعر يجاهر في هذه القصيدة بعشقه العفيف في حالـــة هادئة تلفحه فيها ذكريات الشوق والصبابة وقد برح به الضنـــى واستبد الطيف بخاطره فيرسم لنا صورته ولم يبق فيه الا هيكل عظمي ملتف في ثياب برح الشوق به وحر كبده حتى وصلت الحرارة الى درجة الغليان، فأذهبت لحمه بخارا وصعد فوقه كالسحاب، فحجبت عنه الشمس فـــلا يرى لأجله ضوء النهار وأبى السحاب أن ينزل مطرا حتى يرى محبوبـــة الهيكل بجواره وعندئذ ينزل مطرا فيطفيء نار الشوق ويرجع البخار المتراكم الى الهيكل ويصير لحما كما كان .. أليست هذه الصورة البائسة للمحـــب الوله مدعاة للشفقة عليه واهراع المحبوبة الى انقاذ هذا الهيكل قبل أن يستبد به الحر و يفتك به فيجعله هباء منثورا، فيصبح أثرا بعد عين ؟

وشاعرنا غير عابيء بما يحدث له من الهلاك ان لم تتداركـــه المحبوبة بوصلها، وهو على حاله البائسة راض كل الرضا عن المحبوبة ان رضيت هي بهلاكه بسبب هيامه بها، ولكنه يخشى عليها لومة اللائمين ان هلـــك بسبب وجده لها .. ولو قدر له بعد الهلاك أن يتكلم وهو عندئذ لاشـــيء لقال لها لا تثريب عليك أنعمي بسلام..

وأصداء الدين واضحة في هذه القصيدة، فهو عندما بان له ثغـــر الحبيب الذى يبعث على اللواعج والشجن لما يسرى فيه من الجاذبيـــة و يلفه من السحر والذى يجعله غير مطيق على التصبر على تلك النضرة يراها

ولا يهتصر عودها وينعم بجناها ، فبدا له كأنه يدخل الجنة فرأى باب السلام وعليه رضوان صاحب الجنة يوشك أن يفتح له الباب ليدخل ثم خاب ظنه فأصبح كأبينا آدم عليه السلام مطرودا من الجنة ، ولكن كيف يطرد وهولم يذق الشجرة كما ذاقها أبونا آدم عليه السلام .. وفي القصيدة أصداء أخرى للدين وألفاظ وتعابير قرآنية كلها تدل على التأثر الديني الذى يكتسح جميع أغراض الشعر العربي في غربي أفريقيا .

وواضح أن الشاعر في هذه القصيدة الغزلية الرقيقة حاول أن يخرجها في شكل موشحة .

وللشاعر السنغالي الشيخ الهادى تورى قصائد في الغزل يقول في بعضها ردا على عذوله :

عذولي تراك اللوم لم استطع صبرا
بل أمرى شئون الدمع أو أنزل القبرا
زفيرى ودمعي جمرة تحت وابل
فيا عجبا من وابل جاوز الجمرا
فكيف تصوم الصبر صبا متيما
وفي قلبه تجرى جيوش الهوى تترا
وكيف يطيق الصبر من كان تائها
وكان جواه يملأ البر والبحرا
وقالوا مماتي في جواى شهادة
بها استحق الوصل والفوز والأجرا
وان سلو الصب عين ارتداده
كذا الحكم في شرع الهوى فاعلم الأمرا

واني وان كنت المعنى كما تــرى
فكل ذنوب العالمين ولا كفــــرا
وهذا الذى لقيت عندى هيــــن
وفي جنب من أهوى أرى كل ذا نزرا
لأقسمت أني لا أفيق من الجـــوى
ومن سكرة تنمو ولا أشرب الخمـــرا

ومعاني الشاعر في الرد على العذول مطروقة وان كان مجيــــدا فيهـــا ..

ونجد أصداء الدين في بعض ألفاظه وتعابيره مثل .: شـــرع الهوى " ، " الشهادة " ، " الفوز " ، " الأجر " ، " الارتداد " ، " الكفر " ، وكذا الاحتراز منه ..

وهناك شاعر سنغالي تسنم منصب القضاء وهو القاضي مجخت كل ولم يتحرج من تسجيل مغامراته الغرامية مجاهرا بالعشق العاهر والعبث الداعر والخلاعة الماجنة ناسجا على منوال امرئ القيس وعمرو بن أبي ربيعة غير مكترث بما يفرضه عليه مجتمعه وتقاليده الاسلامية ومكانته الاجتماعيـــة كقاضي الدولة الذى تصدر القضاء ردحا من الزمن لغزارة علمه وعدلـــه وجرأتــه على الحق ولو كان على السلطان ..

فهاهو ذا يسجل احدى مغامراته في سبيل عشيقته عائشة ،فوصف فرسه "فضل الله " ثم وصف محبوبته وكيف استطاع أن يهتصر عودهـــا وينعم بجناها فقال :

تذكــرت أيام الهوى فالليالــــــي
فالأيام من لذات شرخي شبابيـــا

فــأركب طرفا أسود اللـون حالكا

كما نشر المصبوغ في الليل راجيـــا

أخا ملهب ذى درة لهديـــــره

دوى كأصوات الخذاريـف حاكيـــا

الى أن يقول :

فلله در المهر لما امتطيتــــــــه

فأبلغني دارالخريدة طافيـــــــا

فجئت وبـــاب البيت أغلق مرتجـا

فقالت من المستفتح الآن بابيـــا

فقلت بأخـفى الصوت سـرا ولينة

أنا مـكـل المعروف زرتك ساريــا

معذب قلب قد دعاني الى السـرى

دواعي هواك فاستجبت الدواعيــا

أعائش قومي وافتحي الباب واسـقين

لنا من لطول العهد أوشـك باليــا

فقامت بـهينوم (١) قطوفا بطيئـــــة

خفيفـة خطوات كما كنت راضيــــــا

فلما دخلنـــاه وقد نام أهلهـــــــا

بلغنا بتعريس لديها الأمانيــــــا

فبت لدى حوراء تنسي ضجيعهـــا

أوامر ربي كلها ونواهيـــــــــــا

---

(١) الهينوم : الصوت الخفي .

منعمة عجزاء أعدل قامـــــة
فـلا قصر شـين لا ولا طول غاليـا

تميس بأنبوبي سقي و تـنثنـــي
بجيـد محلى من ظبـاء لآ ليـــا (١)

و تنظر بالعينيـن من نعجة مهـا
على لحظات كدن يقطعن باليـــا

و تنفى بخاتام سـوى معطـــر
برائحــة من دونها المسك زاكيـا

والشاعر هنا قوى الشبه في مغامراته العاطفية بامرىء القيس ، فهـو يدب الى حبيبته ليلا يتعرض للقتل و يتخطى الحراس ليحظى بما يريد .
ومغامراته هذه تذكرني بمغامرة امرىء القيس التي يقول فيها :

سموت اليها بعد ما نام أهلهــا
سـمو حباب الماء حالا على حـــال

... الخ(٢)

ترى ألا نلاحظ الشبه القوى بين هذه المغامرة و تلك ؟

أما أوصاف القاضي التي خلعها على المحبوبة فقديمة و ان كانت مطابقة لما يصفبها السنغالي أو الافريقي عموما المرأة ويتصورها عليـه من الحسن والجمال .

----

(١) تميس : تتبختر .

(٢) ديوان امرىء القيس ص ١٤١ .

وبعد .. فقد رأينا كيف تناول الشعراء في غربي أفريقيا هذا الغرض بنوعيهم .. وكيف التزموا التقاليد الاسلامية في التعبير عن عواطفهم بعيدا عن العهر والعبث الداعر والخلاعة الماجنة ،باستثناء القاضي مجخت كل السنغالي . وأغلب الظن أن مجاهرته هذه من قبيل ما عرف عن الشعراء من أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون .. وخاصة عندما نعلم أن القاضي قد كان له منافسون على منصب القضاء الذى ظل مستأثرا به مدة طويلة، وقد كانت بينه وبين منافسيه معركة جدلية دامية ،تراشق الفريقان فيها بسهام من منثور الكلام ومنظومه، وكان القاضي في ذلك هجاءا مقذعا في الهجاء ويكاد يكون المنفرد بهذا اللون من الشعر بين شعراء المنطقة، وما سمعنا أن أحدا من معاصريه قد هجاه بدعارته أواتهمه في " أخلاقه رغم وجود البواعث النفسية لهذا الاتهام لدى منافسيه والذى من شأنه الاطاحة بالقاضي من منصبه ..

لم يخل الشعر العربي بغربي أفريقيا من فن الوصف ،فقد ضرب شعراء العربية في هذا المجال بنصيب لا بأس به،فوصفوا الطبيعة الصامتة والطبيعة المتحركة ،ووصفوا الطائرة وبعض المشاهد التي خلبت عقولهم وأثارت مشاعرهم وعواطفهم . كما وصفوا الخيل والنساء وما الى ذلك ، غير أن القصائد التي أفردوها لهذا الغرض قليلة جدا ،وأغلب شعر الوصف كان مبثوثا بين ثنايا بعض القصائد التي قيلت في أغراض أخرى غير الوصف كالمديح والغزل مثلا . فها هوذا الشاعر السنغالي أحمد عيان سه يصف الطبيعة الميتة أو الصامتة في مقدمة قصيدته الترحيبية للجنرال الفرنسي " دغول " يقول فيها :

هذا أندر الخير مفتر أزاهره
زقاقه ازدهرت بالبشر اقبالا
والبحر يقذف بالأمواج طافحة
كأنها لبست بالروض سربالا
ثغور زهر من الأكمام باسمة
تضاحك السحب تحت الشمس غربالا
تخال فيه ثنايا الغيد من حبب
كلؤلؤ صبه الوسمي هطالا
كأنما السور والأزهار ضاحكة
من فوقه وعليها الماء قد سالا
سماء صحو نجوم الجو تكلؤها
قد أشعلت لرجوم الجن اشعالا
في جنة باسق الأشجار يعمرها
قطوفها ذللت بالحمل اذلالا
فيها البنفسج والقحوان مبتسم
والورد من خجل من خدها نالا
والياسمين مع التفاح معتنق
الى شقائق نعمان بها مالا
والطير تشدو على الأغصان مطربة
والسفن تحمل في البلدان أثقالا
والريح في صفحات النهر جارية
تجر من فرح في القصر أذيالا

فشاعرنا قد أضفى على هذه الظواهر الطبيعية - من بحر ونهر وأرض وسماء وزهور وثمار ورياض وشمس وطيور - شعاعا من نفسه الفرحة المغتبطة بمقدم هذا الجنرال وبذلك أدخل فيها الحياة والحركة ..
هذا وللشاعر ذى النون وصف رائع للأطلال استوفى فيه كثيرا من عناصرها القديمة من نحو ذكره لما بدل معالمها من رياح عواصف وأمطار شديدة وما حل بها بعد رحيل أهلها من قطعان البقر الوحشي والنعام والغزلان الى غير ذلك ، ولنستمع الى قيثارته :

مغنى سعاد عفته هوج العثير
وسقته واكفة الغمام الممطر
والعين ترفل في مراقد حورها
ترنو الرياض بكل طرف أحور
وترى مهاها البيض ترعى روضة
مطلولة مُصت ببطن محسر
أطفالها يمرحن في أطلالها
فكأنها في الشعب شعب العرعر
أوعالها تستن في أوعارها
ترعى خزاماها وغضّن الأزهر
وترى القلائص في تيائر آلها
فكأنهن سفائن في أبحر
غزلانها تقفو مدى ظلمانها
ان راعها صبحا زئير غضنفر

فشاعرنا يرسم لنا لوحة فنية عن ربوع محبوبته التي عفتها

الرياح الشديدة التي لا تبقي ولا تذر . وأزالت آثارها الأمطار الغزيرة ، فأصبحت الديار بذلك مرتعا للغزلان وأسراب النعام وقطعان البقر الوحشي والثيران..وقد رسم لنا صورة للبقر الوحشي وهي ترعى أول العشب في هذا المكان الذى أصبح روضة مطلولة ،كما رسم لنا لوحة أخرى فنية للأوعال وهي تعدو مقبلة مدبرة ترعى الخزامى والعشب الغض ،ثم رسم لوحة فنية لرحيل محبوبته فرسم لنا صورة القلائص وعليهن الهوادج يسبحن في البيداء كأنهن سفن في البحر،وأخيرا يرسم لنا صورة الغزلان وهي تقفو آثار النعام وقد فزعت من زئير الأسد المفترس الذى يهدد حياتها وحياة نسلها . وللمرء أن يتصور كيف يكون الهروب أو الجرى في مثل هذه المواقف المصيرية .. وها هو ذا الشاعر النيجيرى عمر ابراهيم يصف مدينة "كانو" فيقول :

أبا ربس حوسا عليك السلام
سلام من العاشق المستهام
أزجي التحيات شوقا الى
جميل صفاتك بالاكرام
معالمك الغر لامعة
تكاد تفوق نجوم الظلام
ومن بينها المسجد الفاخر
كجامع دلهي جمال النظام
ومأذنة طاولت اذ بدت
نواطح نيويورك بقرب الامام

ومكتبهـــا قـــد حكى البرلما
ن القاهــريَّ لحسن التمـــام
ترى الطائـرات تعـاودهــــا
أتت من أوربا ومصر وشـــام
وصـارت كنحل أتـت بعســـل
خليتهـا أوكزوور الغمـــام
لها ارتبـاط بأم القـــــرى
بحبل السماء لـزوور المقـــام
" كنو " جمعت علم شرق وغرب
ففازت بسهمين بين السهــــام
لذلـك قيل كمثلـك ألـــــف
قديما فأصدق بـه مـن كــلام
ولسـت بناسي صاحبتـــــي
بهـا حين كنت الرجـال الكــرم
أبا ريس حوسا وعاصمـــة ال
شّمال عليك دواما ســـلام

وشاعرنا يظل حتى في وصفه لمدينة " كانو " يعبق شعره بعبير الدين ، فمن معالم المدينة المسجد الفاخر الذى يشبه في جمـــال الاتساق جامع دلهي . والمدينة بينها وبين أم القرى مكة المكرمـــة حرسها الله رابطة سماوية هي الدين الاسلامي وحج البيت الحرام .. ويضرب الشاعر الوزير الجنيد على قيثارة امرىء القيس في المعلقـــة وذلك عندما يصف شاعرنا مدينة " أغدس " فيقول :

ألا أبلغن عني " لا "قدس" تحيـــة

تفوح بعرف المسك أوعرف صندل

وبلغ لا"هلها سلاما مباركـــــا

يعم شذاه من تحيت ومن عـل

وفيحاءها حيث الظباء ترود فـــي

خمائل تأتي من جنوب وشــمال

وأحسن بهاتيك التلال فانهــــا

مسارح جاء الغيث فيها بمسبــل

بلاد عريضات وأرض أريضـــة

مفازة عين الناظر المتأمـــل

ومنها بطاح واسعات تزينــت

بتاجام دوم والنخيل المكلــل

ومنها جبال شامخات يزينهـــا

طرائق من أثار حاف ومنعــــل

أعد ذكر يوم في " تفادك " قضيته

تجول به بين الاراك المظلـــل

وليل بواديها تهب به الصبــــا

على شاطيء وسط الكثيب العقنقل

ولا تنس حماما بميثائها الـــذى

يدفق ماءساخنا عند منهــل

ورقص رجال في رمال عشيـــة

صفوفا بتصفيق النساء بأنمــل

وركضك في وعث الكثيب نجيبـة
من النوق في أكناف ساحة منزل
وجرى الجمال السابغات كأنهـا
نعام نجت من قانص متنبـل
وكم أذكرتني بيت شعر خيامها
بسقط اللوى بين الدخول فحومل
وأطربني فيها غناء حمامها
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنـزل
وعولت مغتما على عرصاتها
وهل عند رسم دارس من معوّل
وصبرني صحبي وقاموا جميعهم
يقولون لا تهلك أسى وتجمـل
فسليت عنها ثم قلت تأسيا
فسلى ثيابي من ثيابك تنسـل
سلام على تلك البقاع وأهلها
(١)
نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

وأقدس ( ) مدينة قديمة تقع وسط الصحراء تشبه في كثير من مناظرها الطبيعية مناظر الصحراء التي طالما وصفها الشعراء الجاهليون من أصحاب المعلقات ،ولذا فان شاعرنا في وصفه للمدينة المذكورة يعيش مع الجاهليين في صورهم ومعانيهم بله معجمهم اللفظـي .

---

(١) ديوان الوزير الجنيد ص ٣٨ - ٣٩ .

وللشاعر وصف جميل للطائرة يقول فيها :

يا من يصعد أنفاسا بأنفاس
شوقا بخرطوم ذات الورد والآس
اصبر قليلا فانا سوف تحملنا
رعادة في الهوا ملمومة الرأس
صعادة تتبارى في تجولها
شهب السماء التي ترمى بأقباس
طيارة صوتها عال مجوفة
زمكها(١) كذوابي الشاهق الرأس
أنانة في نزول عندما بلغت
الى المحطة تمشي مشي مياس(٢)
مملوءة بكراسي مليئة
بالخيش تلبس ترويحا لجلاس
تنقاد طائعة في كنف صاحبها
كدابة ذللت في كف سواس
فاعجب لها انا عنقاء مغربة
جاءت تذكر عباس بن فرناس(٣)
بين الجناحين منها نيط مروحة
تدور من حولها من غير انكاس
تعطى الدخان وتنهى عن تعاملنا
به عليها وهذا خلف مقياس(٤)

---

(١) الزمك : منبت ذنب الطائر والمقصود هنا ذنب الطائرة .
(٢) المياس : الأسد وسمى مياسا لتبختره في المشي .
(٣)
(٤) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا ص ١٨١.

فالشاعر يصف الطائرة وصفا دقيقا ،فهي مدورة الرأس وذنبها كذوابي الشاهق الرأس ولها بين الجناحين مروحة تدور حولها وهي في سرعتها في الجو تبارى شهب السماء التي ترمى بأقباس ،وبعد نزولها في المحطة تمشي متبخترة كالأسد وهي سلسلة الانقياد في يد طيارها كدابة منقادة في كف سواس . فهذه صور رائعة للطائرة وتصوير دقيق لها أضفى عليه الشاعر شيئا من روحه الدعابية .. على أن الأصالة الشعرية قد ظهرت في شعر الوصف عند شعراء غربي أفريقيا ظهور نار القرى ليلا على علم ، اذ لا تجد فيه تلك المحاكاة العمياء للمعاني القديمة وانما وصفوا ما شاهدوا وأثار عواطفهم وصفا دقيقا صادقا وموفقا بألفاظ ملائمة ومعان تتناسب مع الصورة الموصوفة بعيدا عن تلك الألفاظ الوعرة والمعاني الجاهلية ،اللهم الا ما اقتضى المقام ايراده من معجم ومعاني الجاهلية كما في وصف الوزير الجنيد لمدينة " أقدس " الصحراوية.

وقد وجد الشعر البطولي أو شعر الجهاد نصيبا موفورا لدى شعراء غربي أفريقيا ، وخاصة في الدولة الفلانية أو مملكة سكتو التي أسسها الزعيم الروحي والديني في نيجيريا الشيخ المجدد عثمان بن فودى . فقد وجد الزعيم المذكور مجتمعه منغمسا في وحل الشرك والبدع والخرافات، فعقد العزم على تطهير هذا المجتمع مما علق به من دنس الوثنية والبدع والخرافات عن طريق الدعوة إلى التمسك بالكتاب والسنة ونبذ ما سواهما ، هذا في أوساط المسلمين المنحرفين أصحاب البدع والخرافات .. أما في أوساط الوثنيين فقد كان يدعوهم الى الايمان بالواحد الأحد وتوحيده بالعبودية المطلقة وترك عبادة الدكاكير .. فوجد المذكور

اضطهادا لدعوته الاسلامية والاصلاحية لدى ملوك الهوسا الوثنيين ، كما لقي أتباعه الذين كانوا غالبا من الفلانيين من هؤلاء الملوك أذى كثيرا، الأمر الذى جعل الجو السياسي والاجتماعي مملوءا بالاضطرابات الشديدة في أوائل فترة هذه المملكة الاسلامية ، فكانت الحروب تدور رحاها في أنحاء المملكة والممالك الوثنية المجاورة لها .

وقد هيأت هذه الحروب الطاحنة ميدانا فسيحا للشعراء والنظام، فغدوا يقرضون الشعر في هذا المجال فكثر بذلك ما يسمى بشعر الجهاد . . وكانت الأهداف الرئيسية لهذا الشعر البطولي هي تسجيل الانتصارات الكثيرة التي أحرزها المسلمون المجاهدون ضد أعدائهم الوثنيين . وتحريض الجماعة الاسلامية من أتباع الشيخ واثارة حميتهم للقيام بالدفاع عن أنفسهم وعن عقيدتهم الدينية والتنديد بأعدائهم وتخويفهم بالترهيب والانذار.(١)

وأول قصيدة تقابلنا في هذا المجال هي الحائية التي كتبها الشيخ عبدالله بن فودى شقيق الشيخ المجدد يحرض فيها قومه الفلانيين ويحثهم على مناصرة أخيه المجدد وموازرته في جهاده لاظهار دين الله واطفاء جذوة الشرك وكسر شوكة الكفار الوثنيين .

وقد استهل قصيدته على نمط الجاهليين في فكرة التشاؤم والتفاؤل ولكنه شفعها بفكرته الاسلامية :

طربت فأشجاني الطيور الكوابح (٢)

وفرحني منها الغيوث الروائح

---

(١) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا ص ١٢٣ مع تصرف.

(٢) جمع كابح وهو كل ما استقبلك مما يتطير به .

وخوفني أيضا ذياب بوارح
وأمنني منها الظباء السوانح
لقول النبي لا تزال جماعة
على الحق منا أو يجيء المقارح (١)
ألا أبلغن لحي رسالة
تعيها رجال أو نساء صوالح
لعالمهم أو طالب العلم رائم
لاظهار دين الله فيه يناصح
أقول له قم وادع للدين دعوة
تجبها عوام أوخواص جحاجح (٢)
ولا تخش في اظهار دين محمد
بقولة قال تأتيه كفاتح (٣)
ولا تخش تكذيبا وانكار جاحد
وهزء جهول ضل والحق صابح
وغيبة هماز وضغن مشاحن
يساعده من للعوائد راكح (٤)
وليس لما تبني يد الله هادم
وليس لأمر الله ان جاء ضارح (٥)

---

(١) المقارح المستقبل من الأمر والمقصود هنا الساعة.
(٢) جحاجح جمع جحجاح وهو السيد الكامل.
(٣) كناتح جمع كنتح وهو الأحمق السفيه.
(٤) راكح بمعنى ما عمل.
(٥) ضارح بمعنى دافع.

وبين لهم أن العوائد بهرجت
وسنتنا لاحت عليها لوائح
ولهو الشباب اليوم قد بار سوقه
وقامت على سوق الصلاح مدائح
وأهل الدنا اليوم انزوى ظل جاههم
وسنتنا قد ظللتها الدوائح
ومنكر هذا الدين قد خف وزنه
ومظهره ميزانه اليوم راجح
وناصره قد صار في الناس عاليا
ومنكره للخاص والعام دانح (١)
وان اله العرش قد من منة
علينا فمن يشكر فذلك رابح
وتلك بأن قد بيّن الدّين في امرئ
لنا نسبا نعلوا به ونطامح (٢)
فان نحن أويناه ننصر قوله
نفز ونحز نعماه والكل فالح
وان قد أضعناه استفاد بغيرنا
مصائب قوم عند قوم مصالح
ولو نفعت قربى فقط فيه ماردى
أبوطالب عم النبي وتارح (٣)

---

(١) دانح : من دنح الرجل أى ذل وطأطأ رأسه.
(٢) نطامح : أى نفتخر .
(٣) هو آزر أبو ابراهيم عليه السلام.

وما ضر شمسا أن نفى العمي ضوءها

وما ضر حوضا أن أبته القوامح (١)

أطائب أرض تخرج النبت رائقا

باذن ذويها ان أفاضت دوالح (٢)

ولو همعت ديما لما أنبتت ولو

بسابيس نبت في الأراضي البوالح (٣)

وهي قصيدة طويلة رائعة احتوت على كثير من الحكم والمواعظ التي من شأنها استثارة الهمم والحماس ، ولقد أعطت القصيدة ثمارها وفعلت فعلها في القوم الغلانيين وأزكت فيهم جذوة الحماس فنهضوا الى الشيخ ينصرونه في اظهاره لدين الله فكوّن الشيخ بهم جيشا قويّا خاض غمار المعارك مع ملوك الهوسا الوثنيين .. وقد تم له النصر المبين في جميع معاركه ،وكان شاعرنا عبدالله بن فودى من طليعة من سجلوا تلك الانتصارات الاسلامية من الشعراء . ففي وقعة "كت" (٤) التي تم النصر فيها للمسلمين يقول عبدالله بن فودى :

بدأت ببسم الله والشكر يتبع

على قمع كفار علينا تجمعوا

---

(١) الابل الممتنعة عن الشرب لداء بها مع العطش .

(٢) السحاب الكثير.

(٣) البوالح : جمع البالح وهي الأرض التي لا تنبت شيئا .

(٤) حوض في مدينة "غردم".

ليستأصلوا الاسلام والمسلمين مـن
بلادهـم والله في الفضل أوسـع
توارق مع " غوبر "(١) ويثف سفيهم
بحزبهم والله يرى ويسمـع

الى أن قال :

وليس معي الا قليل أطاعنـي
على السير بعد الأين والجوع يلذع
ولما رأينا الفجر ضاء عمـوده
نزلنـا فصلينا الى أن تجمعـوا
فسرنا الى " غردم " وقد تم جمعنـا
قبيل زوال اليوم والجمع يـوزع (٢)
فنادنا جموع الكفر عن حوضه وقد
رأوا جمعهم مثلي جماعتنا فعـوا
فظنوا محل الخيل ينصر جمعنـا
وأن الربى من ناصريهم ستنفـع
فغروا اليها ثم صفوا وانطقـوا
طبولهم والجمع يدنو ويتبـع
الى أن تراءينا وزاد اقترابنـا
رموا فرميناهم فولوا وأقشعـوا

---

(١) غوبر : مدينة . ويثف اسم سلطانها ويطلق اسم غوبر أيضا على القبيلة التي تسكنها أيضا .

(٢) غردم : موضع .

فلم يك الا أن رأيت جهامهم
قد انكشفت عن شمس الاسلام تلمع
بنصر الذى نصر النبي على العدا
ببدر بجمع طملاوك يجمع
وكم من كمي جدلته سهامنا
وأسيافنا واراه طير وأضبع
وكم ذى جلال صرّعته أكفنا
فجزت فئوس رأسه يتقطع
طردناهم وسط النهار فلم يكن
لهم غير - غيل - في دجى الليل مفزع
لكل الجهات قد تفرق جمعهم
بدادا ليوم الجمع لا يتجمع

وختم القصيدة بقوله :

فيا أمة الاسلام جدو وجاهدوا
ولا تهنوا فالصبر للنصر مرجع
فقتلاكم في جنة الخلد دائما
وراجعكم بالعز والمال يرجع
فليس لما تبنى يد الله هادم
وليس لأمر الله ان جاء مدفع

فشاعرنا قد استغنى في قصيدته عن المقدمة التقليدية ،ليعبر عن فكرته الاسلامية وحقائق عقيدته بأسلوب يراه مناسبا للفكرة ، حيث يبرز التأثير الديني عليه .. فاستمد المقدمة من المعاني والأفكار الاسلامية

كالبدء بالبسملة تتبعها الحمدلة أوالشكر لله المفضل عليهم بالنصر .. وبعد ذلك يسرد لنا أحداث الحرب وكيف مكّنهم الله من أعدائهم عندما التقى الجمعان واكتحلت الأحداق بالأحداق فبددوهم وقتلوهم وتركوهم نهبا للطيور والضباع،وقد أعلوا فيهم السيوف والسهام والفؤوس ثم تفرقت فلولهم أيدى سبأ ولن يقدر لهم التجمع الى يوم الجمع لا ريب فيه.

وقد أرجع الشاعر النصر الذى أحرزوه الى الله الذى نصر نبيه محمدا ببدر.وأخيرا نجد أن الشاعر قد استطاع أن يؤدى دوره في ميدان الجهاد في استنهاض الهمم والهاب مشاعر الحماس والاندفاع في نفوس المجاهدين مصورا مشاعر المجاهدين وأحاسيسهم بعد أن نذروا أنفسهم جنودا في مواكب الاسلام.وعبر عن روح الجهاد التي يجب أن يتحلّى بها المسلمون بعد أن غمر نفوسهم نور الايمان وبددوا بوهج العقيدة ظلمات الصدور، وذلك في الأبيات الثلاثة الأخيرة من القصيدة ..

وفي وقعة " كنو "(١) يقول محمد بللو بن عثمان بن فودى :

سائلوا عنا وعن أعدائنا
يوم دار الحرب في " كنو " الحفر

قد تركناهم بها مثل الهبا
أو كأحطام الهشيم المحتضر

ولكم كرّ به فرساننا
في صناديد " كياوا "(٢) المنكسر

---

(١) موضع .
(٢) موضع .

اذ رجعنا لهم وقت الضحى
بجنود كجراد منتشر
وكأن الخيل في أرجائها
حدأ تخطف أشلاء البقر
فلقيناهم وأوغلنا بهم
برماح وسهام كالمطر
واشرأبوا فرمونا مثلها
فأقمنا هكذا حتى الظهر
فدعونا : يا نزال للوغى
فدخلنا حصنهم وقت العصر
فسقيناهم منايا فرو
سهم أمثال جذع منقعر
ثم رحنا غانمين كأننا
قد رجعنا من جواشى للحفر
فاحمدوا الله على احسانه
لأولى الاسلام يا أهل العبر
فهو مولانا ووالى أمرنا
حبذا المولى ونعم المنتصر (١)

ومحمد بللو يستغني عن المقدمة التقليدية للقصيدة في

---

(١) انفاق الميسور في تاريخ التكرور ص١٤٧ .

هذه المقطوعة و يعتمد أسلوبا آخر للاستهلال قائما على المحاورة واثارة التساؤل وهو قوله :

سائلوا عنا وعن أعدائنـــــــــــا

يوم دار الحرب في كنو الحفـــــر

وفي هذا الاسلوب حث وتنبيه واسراع في انتشار أثر القصيدة..

ونجد في القصيدة ذكرا لأدوات الحرب كالرماح والسهام ،فقد وصف كثرة الرماح والسهام واقتحامها على الأعداء ومداهمتها لهـــم كمداهمة المطر من ينزل عليه..

ويبدو تأثر الشاعر بالقرآن الكريم في معجمه اللفظي وصوره الفنية من أمثال استعمالاته تعابير قرآنية وردت في سورة القمر كقوله : " كأحطام الهشيم المحتضر " وقوله : " بجنود كجراد منتشر " وقوله : " فروءسهم أمثال جذع منقعر ".(١)

كما تبدو أصداء الدين واضحة في البيتين الأخيرين حيث يأمر الشاعر أهل الاسلام أن يحمدوا الله على احسانه بما حقق لهم من نصر على أعداء الله ،فهو تعالى مولى المجاهدين وناصرهم وهو نعم المولى ونعم النصير..

ولم يكن الشيخ عثمان بن فودى في جهاده باغيا أو خارجا عن تعاليم الاسلام في الجهاد.. فها هو ذا ابنه محمد البخارى في قصيدته الحماسية التي بدأها بمقدمة غزلية وجهها الى " ابرا " رأس الوثنيين وفيها نتبين منهج الشيخ في جهاده :

----

(١) سورة القمر الآيات : ٧ ، ٢٠ ، ٣١.

فيقول محمد البخارى بعد مقدمته الغزلية :(١)

أيا راكبا بلغن " ابر " عنى الذ
نصيحة والنصح خير المقـــــال
فان كنت ترجو بلوغ الأمانــــي
بنصر الغوابر أهل الضـــــلال
فلن يجعل الله للكافر يـــــــن
علـى المؤمنين سبيلا بحـــال
فمرهم اذا شئت أن يسلمـــوا
بصدق والا باعطـاء مـــال
والا فانـــا سنأتيكـــــم
نزج الكتائب مثل الجبـــال
تذود الوحوش عن الخرق فيها
أسود الوغى فوق جرد طـوال
مقاديم في الروع لا ينكصـــون
اذا الخيل جالت بهم في العـوال
بأيمانهم مرهفات طـــوال
وبيض رقاق وزرق نصـــال
ويهديهم خير سعـد وعال
حياء وصبرا وبذل النـوال
وأفضل رأيـا اذا ناب أمــر
واشجعهم حين يدعى النـزال

---

(١) الميل على حب النساء ص ٧ .

.. وهكذا نفهم من القصيدة منهج الشـــيخ عثمان بن فودى في جهاده الوثنيين ،فهو يدعوهم الى الاسلام أولا فان أبوا فدفع الجزية فان أبوا فقتال .

وهوفي هذا المنهج مقتد بسلفه الصالح في الفتوحـــــات الاســلامية ..

وفي القصيدة أصداء للدين تظهر في تأثر الشاعر بقوله تعالى :

* قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمـون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتـــاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون *(١)

وقوله تعالى * الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من اللـــه قالوا ألم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكـــــم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل اللـــــه للكافرين على المؤمنين سـبيلا *.(٢)

هذا ، وقد نهج شعراء العربية بغربي أفريقيا في هذا الفـن منهج القدامى فاذا وصفوا الجيش وصفوه بالكثرة المفرطة كقول محمــــد بللو :

بجند يملأ الأركـــان طــــــرا

ويكسو السهل والحـزن النشابــا

----

(١) سورة التوبة الآية ٢٩.

(٢) سورة النساء الآية ١٤١.

وقوله :

اذ زحفنا لهم وقت الضحى

بجنود كجراد منتشر

وفي ذلك يقول محمد البخارى :

لجب رحيب السرب من صنهاجة

يتوقدون توقد النيران

وكذا قوله :

ساروا الينا واثقين بطولهم

بعرمرم كالليل ذى الأركان

واذا وصفوا شجاعة الجيش وبسالته شبهوه بالأسود ، يقول
محمد البخارى :

بأنا قد أتينا أهل فوبر

بجمع مثل أساد التهام

بأيديهم سيوف راسيات

مترات الجماجم والبنام

ويقول في ذلك أيضا :

تذود الوحوش عن الخرق فيها

أسود الوغى فوق جرد طوال

ويقول في الموضوع نفسه : عبدالله الوزير :

يقودهم " بلّ " في خيل وفي رجل

بين الليوث كليث ثائر ضارى

ومن مظاهر محاكاتهم للقدامى في هذا الفن أيضا طريقـــــة وصفهم للخيل .. فها هو محمد البخارى يشبه الخيول في سرعتهـــا بالحمام فيقول :

وتحتهم خـيول ضا مــــرات
طـوال جافــلات كالحمـــــام

ويقول أيضا عبد الله الوزير :

على كل جـرداء وأجرد شيظـــم
تراه كصفراء الجراد اذا اســـتوى
قد اعــتاد غارات الصباح تخالـــه
اذا ما جرى فوق الربا طار في الهوا

ويذكرني هذا ببيت سلمة بن الخرشب :

فلو أنها تجرى على الأرض أدركت
ولكنها تهـفـو بتمثال طائـــر

ومن الظريف أنهم يشبهون الخيول في حروبهم بالحدأ ،فيقـــول محمد بللو :

وكـأن الخيـل في أرجائهـــــا
حدأ تخـطف أشـلاء البقــــــر

وتابعوا القدامى أيضا في الحديث عن الضرب والطعن وآلات الحرب، وان لم يتأنقوا في ذلك تأنقهم ،فها هو ذا محمد بللو يقول :

تصيح الردينيـات في حجباتهـــم
وتسقيهـم كأس المنـايا المخمـــرا

ويقول في ذلك أيضا :

تداعى أولو الاسلام حين تذامروا
بكل حسام يفرق الهام مشهرا
وكل رديني وأسمر قعضب
على كل جهد من نجائب بربرا
ورجلهم يحمى سهاما كأنها
ندى صاب في جو النهار وأمطرا

ويقول أيضا عبدالله الوزير :

نصرا لنا برماحنا وسهامنا
وسيوفنا ببطونهم والرأس
أولادهم ونساؤهم مسبية
ورجالهم مقتولة بالفاس

ويقول محمد البخارى أيضا :

بأيمانهم مرهفات طوال
وبيض رقاق وزرق نصال

كما تابعوا القدامى في وصفهم مشاهد الهزيمة من قتلى وجرحى وأسرى واستيلاء على الغنائم ،فمثلا يقول عبدالله الوزير :

وكم من كمي جدلته سهامنا
وأسيافنا واراه طير وأضبع
وكم ذى جلال صرعته أكفنا
فجزت فئوس رأسه يتقطع

ويقول أيضا :

لكل الجهات قد تفرق جمعهم
بدادا ليوم الجمع لا يتجمع
فخلوا لنا أموالهم ونساءهم
على رغمهم والله يعطي ويمنع

ويقول في أسر قائد الوثنيين :

وأسر طاغوتهم قد زاد ذلهم
مقيدا بينهم في ملبس العار

ويقول أيضا :

فلما رأونا لا نمل جهادنا
لقتل وأسر جلهم خاف فارعوى
ففروا الى البلدان شتى وجمعهم
كجمع أناس كان في سبأ سوى

ويقول أيضا :

ففروا عن جماعتهم وجازوا
مسيرة خمسة في نصف يوم

وفي ذلك يقول محمد بللو :

فأين سراتكم سيدى بن برهو
ونجل كجير مشئوم قدار
(وأى صدى) تركناه صريعا
وفي لحييه والقحف ازورار
ضربنا قرن كبشكم فأضحى
أجم كأنه فيكم حمار

فحزنا يا تسوارك أهل "أزبن"

ففروا كي يخلصكم فرار

فسيروا أربعين ونصف عام

ففروا كي يخلصكم قرار

وقد ارتبطت صورة القتل عندهم بالطير والضباع وهي مرتبطة في ذلك بالشعر القديم فمثلا يقول محمد البخارى :

قوم هم تركوا أباك مجزرا

يوم التقوا للنسر والضبعان

ومن ذلك أيضا قول عبدالله الوزير :

وكم من كمي جدلته سهامنا

وأسيافنا واراه طير وأضبع

هذا ، وقد رافق الشعر أغلب معارك الاسلام في غربي أفريقيا، فكان ينبض بالقوة والتمكن ليثير في نفوس المسلمين دوافع الاقتحام والتحدى لصنع المستقبل المنشود الذى يبرم الله للأمة المسلمة فيه أمر رشد يعز فيه أهل طاعته ويذل فيه أهل معصيته .. ولما كان الشعر سلاحا اعلاميا معبرا ،فانه كان قادرا على التعبير عن قيمة الانتصار من خلال ترسيخه قيم الثبات على المبدأ واثارة روح الاقدام واستطابة الموت ،التزاما بمبدأ الجهاد والشهادة في سبيل العقيدة ، ولفت أنظار المجاهدين الى أن قتلاهم شهداء ومصيرهم الجنة حيث يلقون سيد الشهداء وليكن الموت في سبيل الله اذن أسمى أمانيهم ومنتهى غايتهم..

ففي معركة "كت" التي خرج منها الاسلام منتصرا ومظفرا ،

وقف عبد الله الوزير يتغنى بالنصر الذى أحرزه المسلمون وفيها يقول :

فيا أمة الاسلام جدوا وجاهـــدوا
ولا تهنوا فالصبـر للنصر مرجـــع
فقتلاكم في جنة الخلد دائمـــا
وراجعكم بالعز و المـال يرجـــع

ويقول في قصيدة أخرى :

وان سر " غوبر " و " التوارق " ذاك وال
قتـال سجال ليس مرجعنا ســـوا
فمن قتلاهـم في جهنـم دائمـــا
ومن في جنـان الخلد ليسوا على استوا

ومجمل القول أن الطابع المميز لشعر الجهـاد في غربي أفريقيـــا يتمثل فيما يأتي :

(١) الروح الجماعية :

حيث يستعمل الشعراء ضمير الجمع " نحن " المعبر عن روح الجماعة، وهو ما وجد فيه الشعراء القوة والصلابة ،كما وجدوا في صيغة الضمير " نا " القدرة على الاندفاع بشكل أوسع ،فالأفعال " رأينا " و " ذدنا " و " نجاهد " وغيرها من الأفعال تشكل المحور الذى استند اليه الشعراء في التعبيـــر عن الروح الكبيرة التي تجمعهم والاحساس الأشمل الذى يتحرك فـــي أعماقهم ويثير فيهم الاندفاع نحو الهدف المنشود .

(٢) الطابع التاريخي الجغرافي :

ويتصل بهذا الجانب الأشعار التي ذكر فيها أسماء الأماكـــن

والحصون والحياض والأنهار التي دارت رحى الحرب حولها أو فيها ..

وتبقى القيمة التاريخية الجغرافية لهذا اللون من الشعر سمة مميزة له تحكي قصة الايمان ومسيرة نضال الانسان المسلم الذى أدرك كنه حياته واستشعر قيمة ذاته من خلال هذه المسيرة ، وكانت النماذج الشعرية التي نظموها وثائق تاريخية جغرافية مهمة ..

(٣) استلهام الصور القديمة في الحرب :

لم يخرج شعر الجهاد عند شعراء غربي أفريقيا في صوره الشعرية للحرب عما كان عليه في الشعر القديم .. فقد ظلت الصور القديمة تستحوذ على الشعراء وتجتذبهم ، وظلت المنبع الوحيد الذى يغترفون منه صورهم الفنية ، فاذا وصفوا البطل وصفوه بالأسد كما رأينا ..

وصورة القتل مرتبطة عندهم بالطير والضباع ، وهي صورة قديمة قدم الشعر العربي ، وهم ينقلون هذه الصور نقلا دون أن يضيفوا اليها ظلالا جديدة بحيث تصبح صورهم جديدة أو كالجديدة ..

على أن شعراء الجهاد لم يكونوا يحترفون الشعر ، بل كانوا ممن أنطقتهم الأحداث ولم يكن لديهم الالمام الواسع بالتراث الشعرى لعصور الشعر العربي كلها ، ولا ذلك الرصيد الضخم من الألفاظ والعبارات والصور التي كان لا بد أن يلم بها الشاعر المحترف .. أضف الى ذلك حالة الشاعر النفسية وطبيعة التجربة التي يعبر عنها ، فضلا عن الظروف والملابسات التي كانت تحيط بنظم القصيدة والتي لم تترك للشاعر فرصة الاسهاب في عرض أفكاره والخوض في جزئيات الأحداث ووقائعها .. فالشاعر الأفريقي كان فارس حلبة يتحمل عبء الجهاد فهو مجاهد وشاعر معا ..

على أنه قد توجهت غايات شعر الجهاد نحو تعزيز قيم العقيدة المتمثلة في الدعوة الى الثبات على المبدأ والحض على التضحية بالنفس والنفيس مقابل الجنة .. فارتبط موضوع الحرب بالدفاع عن العقيدة وترسيخ مبادئها ، وقد شكلت الخيل والسلاح عدة الحرب كما رأينا ..

تناول شعراء غربي أفريقيا شعر الحنين ضمن أغراضهم الشعرية غير أن تناولهم لهذا الغرض يعد قليلا بالنسبة الى الاغراض الأخرى، وقد تبينت أصالتهم تبيّنا واضحا في هذا الغرض فها هو ذا الشاعر السنغالي المصطفى آن يعبر عن حبه لوطنه وحنينه اليه لما نأى عنه الى ساحل العاج فيقول : (١)

هواى في اليوم أن أحظى بإدلاجي
للأهل مبتعدا عن شاطيء العاج

فانني صرت مشتاقا الى وطني
رماني الشوق في ضيق واحراج

قومي بعيدون عن سمعي وعن بصرى
أنا الغريب بقلب جد هياج

كأنني كنت طفلا تاه مبتعدا
عن أهله ضمن فصل ليله داج

اني أجول ولا أرضا سلوت بها
وسرت تيها كولاج وخراج

أرض بها الزهر حول الماء مبتسما
فالموج من مائها يعلو كأبراج

----

(١) الأدب العربي السنغالي جـ١ ص ٢٠٧ .

كأنما الورد يستجدى معانقــــــة

للنـد فـوق رفيـق النسج ديبـاج

ثم يذكر خصال قومه فيقول :

من ثم صحبي الأولى طابوا مؤانسة

للعلم كم فتشوا عن أى انتـــــاج

كل يحاول تثقيفا و يعشقـــــــه

كم بادروا نحو عرفان بأفـــواج

هـم فتية لا ينى قلبي يحبذهــم

وشوقهـم طنّ في لحمي وأوداج

اني لأشتاق من قومي شمائلهــم

فالكل من قلبه يحنو لمحتـــاج

أيضا أسر بأخــلاق لجيرتهــم

أخص منهم فتاة طرفهـا ســاج

عهدى بها في مصيف كنت زائـره

بجنـب ماء بعيد الغور ثجـاج

اني تعبت وأحزانـي محركـــة

قلبـي الكئيب وهل أحظى بافـراج

لكنني محسن ظني وفي ثقتـــي

بالله بارئنا من ماء أمشـــاج

ما بي قنوط ولا يأس لرحمتـــه

لأنه جل يهدى خير منهــاج

ان الرجوع الى أهلي وفي وطنـــي

هو المنى في فؤادى الخائف الراجي

فالشاعر حنّ الى بلده فذكره ووصف محاسنه و محاسن قومه كما ذكر محبوبته وحزنه على فراقها ثم تضرع أخيرا الى الله ليجمع شمله من جديد و ينعم بالعودة الى بلده وأهله وذويه وتلك غاية المنى عنده . ونرى صدى الدين في شعره في الأبيات الثلاثة الأخيرة واضحة كل الوضوح حيث ينفى يأسه وقنوطه من روح الله ورحمته .. ويضرب على أوتار الحنين الشاعر النيجيرى الوزير الجنيد محنا الى بلده " يولا " فيقول :

لي في المعاهد صبوة لكنها
ليست تعادل صبوتي في يولا
وسقى الحيا تلك الربوع وهادها
وتلاعها معمورها وطلولا
وطن تحنّ اليه نفسي دائما
ما ان أرى تختار منه بديلا
أحسن به من موطن تلقى به
الأحباب في ظل يكون ظليلا
يكفيك ان رمت القصور تلالها
حسنا وأشبه بالقصور تلولا
ومن الظباء كفاك فيها شاؤها
ترعى ترى أخلاقهن ثقيلا
ومن المزامر صوت رنة طيرها
متغردات يستلبن عقولا
ومن الملوك شيوخها فقراؤها
التجار في زى يكون جميلا

ومن المواعظ ان أردت قبورهـــا
لا وعظ أعظم منه أبغ سبيـــــلا
ومن النميمة قد كفى أخبارهـا
السوقي لكن ان أردت فضـــولا
ومن الكلام بحوس من فلا نهـــا
يكفيك " جون " مِوَرْث " جَاغ "مبدلا
ومن القباب كفى بها أشجارهـــا
أحسن بها من أن تكون مقيـــلا
لا سيما في الصيف لما قاربـــت
شمس النهار على الجبـــال تسيــلا
أمسك عنانك لست تبلغ فضلهــا
وخواصها ما قلت كان قليـــلا
وكفى بها شرفا اعتنا قدمائنـا
السادات قبل بها كفاك دليـــلا
لي في المعاهد صبوة لكنهـــا
ليست تعشر صبوتي في يـــولا
يا رب فاستر أهلها الأحيـــاء واغـ
ـفر أهلها الأموات خيرك نيـــلا

لا شك أن الشاعر كان محبا لبلده حبا جما ، ويبدو أن هذا البلد يومئذ كان بدائيا لم تدخله أسباب المـــدنية أو التطور العمراني الـــذى يجعله جميلا ومحببا الى كل الناس ، ومن هنا نجد الشاعر يحاول أن يوجد بدائل لأسباب العمران التي تشد النفوس الى البلدان ،فجوه جميــــل

ولطيف وفيه ظلال وارفة أما قصوره فهي التلال وما أشبهها بالقصور،وظباؤه هي الشياة والمزامير الموسيقية هي رنة تغريد الطيور وملوكه هم الشيوخ أهل العلم .

وان رمت المواعظ فيه ، فحسبك قبوره موعظة وان كنت صاحب فضول فستجد بغيتك في أخبار السوقة من أهله وهكذا .

وأخيرا يؤكد الشاعر قصور همتــه عن ادراك شأوه،وحصر محاسنه وأخيرا يدعو بالستر لمن يقطنه من الأحياء وبالغفران لمن ماتوا فيه . . وقد أكثر شعراء غربي أفريقيا من الشكوى الى الله مفرج الهم و منفس الكرب لسوء أحوال عصرهم وخاصة بعد دخول المستعمرين واستقرارهم في البلاد واستئثارهم بكل شيء ونجاحهم في تفريق شمل المسلمين..مما أدى الى ضعفهم وضعف وازع الدين في النفوس،حيث تزلف بعض المتحذلقين الى المستعمر البغيض يتملقه و يتذلل له ويتآمر معه ضد بني قومـه. وطبيعي جدا في مثل هذه الحياة الاجتماعية المزرية التي فشى فيهـا الفسق والفساد ، ولم يحفظ فيها للدين حرمة ولا ترك للعرض حمى -أن يهرع العلماء الى التضرع الى الله ليكشف عنهم وعن المسلمين جميعا ما هم فيه من ذل وغمة، وقد تقبل الله دعوتهم فتحررت البلاد الاسلامية كلها في أفريقيا وآسيا من قيود المستعمرين وان تركوا مخلفات لهم ممثلة في عملائهم من أبناء البلاد المسلمة ينخرون كالديدان في عظام الأمة والله المستعان . . وها هو ذا الوزير الجنيد يشكو من تلك الحالة الاجتماعية السيئة بعد دخول المستعمرين فيقول :

ظمن الذين عهدت في ذا النادى

ماذا وقوفك في الطلول تنادى

وعلام تبكي من بكاء حمامـــة
في أيكة تشدو على التـــرداد
صارت مراتع للوحوش بعيد أن
كانـت مقاصد حاضر أو بـــاد
أقوت فلست ترى بها أحدا سوى
الحرباء لائذة علـى الأعــواد
قامت تخاطبني فعــز كلامهـا
ولكم سكوت معلن بمــــراد
وتدير عينيهـا تشير بذاك دو
ر الدهر غيّر ما ترى فـي النـادى
وتلوّنت ففهمت منه تلـــوّن الـ
أحوال في الدنيا فعـز رقـادى
ناديتـه يا أيّهـا ذا النـــادى
فـأجابني يا أيّهـا ذا النـــادى
لما سكت دنـت الـي حمامـة
مخبرة تبدو كلــون رمــاد
فسألتهـا أيـن الذيـن عهدتهـم
قالـت لقد بلـغوا على الميعـاد
قلت أخبريني من تخلـف بعدهـم
قالت تخلف دولـة الأكـــراد
مالي أرى دون الكـــرام وضيعـة
قالـت علتهـا دولـة الأوغـــاد

فسألت ما خلق الذين تخلفوا
قالت ذوو فحش ذوو أحقاد
لا تكذبيني يا حمامة اكشفي
قالت ذوو حسد ذوو افساد

والقصيدة طويلة وجميلة لنا معها وقفة عندما نترجم للشاعر ان شاء الله . ولشاعرنا شكاوى متعددة في هذا الصدد نكتفي بما ذكرنا وقد ضرب على أوتار شكوى الحالة الاجتماعية السيئة وفساد الأخلاق وانتشار الفتن ، الشاعر السنغالي الحاج المنصور سه فيقول :

أشكو الى الله ما بالقلب من حزن
وما أقاسي به من مضجع خشن
أنفقت كنز مداراتي لنيل سلا
مة ولم يغن شيئا في بني زمني
لولا المروءة أخت الدين ما انبسطت
روحي الى أحد خوفا من الفتن
ولا أخالط من يردى بصحبته
ديني ودنياى من غش ومن دخن
ما زلت آمل ذا ود يوافقني
به أرسق ودى غير مضطغن
والأمر بالعكس اني كنت في سنة
وأيقظتني صروف الدهر من وسن
رمت السلامة فانسدت مسالكها
ان السلامة أمر غير متهن

ويقول في مقطوعة أخرى :

زمان أناس في مكاثسرة الشـــــرى
تـالوا وصدق القول فيه غـــرور
و تنكيث عهد والأمانة رأبهـــم
و تأويل أقوال تشــق صـــــدور
زمان اذا مس الكريم خصاصـــة
رموه وهو عنـد الالـه خـطيـــر

و يتصل بالشكوى من فساد الحياة الاجتماعية و ترديها والسخريـــة من المستعمرين مقطوعة الشاعر النيجيرى وزير سوكتو عبد القادر بن محمد التي يصف فيها الحياة في عصره و يسخر من المستعمر الدخيل الذى أصبحت السلطة الحقيقيـــة في يده و يحكم بالاستبداد تحت ستار الحكم غير المباشر وذلك بواسطة الأمراء الذين استغلهم وصيرهم أداة لقمعه وارهابه ،فيقول :

عسا الليل حتى اصطاد ببر وثعلب
وناوشت الآســاد ضب وأرنـــب
تفر أفاعي الأرض من خوف ضفـدع
و تزرع هند في الصباح و زينـب
وأبصرت أقوامـــا مع الليل أنزلـــوا
أهاليهـم في الدشت والظبي تذهب
فولت فرارا ثم فاءت وأقبلـــت
فياليت شعرى هل رأى الظبي أسرب
وأما ملوك الأرض فيما لديهـــم
فما مسهم ضر وما خاب طالـــب

ولكنهم في نعمة أى نعمـــــــــة

بلادهم فيهما أمـان وزغــــرب

فشاعرنا يحاول أن يصف انقلاب الأمور رأسا على عقب بدخـــول المستعمرين وفساد أخلاق المواطنين الذين كانوا يتزلفونهم ويُستغلـون في اذلال شعبهم بسبب ما ينالون من المستعمر من سلطـة خاوية مـــن أدنى معاني السلطة. وبذلك أصبح الشريف وضيعا والوضيع شريفـا وانقلبت الموازين بسبب سياسة المستعمر الرعناء.

وقد أحسن الشاعر في وصف الحالة حيث جعل الببر والثعلب حيوانين مفترسين وتلك ليست شيمتهما، كما جعل الضب والأرنب يناوشان الآساد وليست مناوشـة الأسود ديدنهما، كما جعل الأفاعي تفر من الضفادع وجعل النساء اللاتى يخدمن أصبحن يخرجن لفلاح الأرض والزراعة، وهكـذا استطاع أن يعطــي صورة صادقة لمجتمعه بعد دخول المستعمر الدخيل البغيض..

ونكتفي بهذا القدر من شعر الشكوى والحنين، على أن أصـداء الدين التي ظلت تلازم الشعر العربي في غربي أفريقيا بجميع أغراضـــه لم تتخلف هنا أيضا كما رأينا.

لم يغفل الشعر العربي في غربي أفريقيا شعر المناســـبات، فكثيرا ما استجابت قرائح الشعراء لمناسبة من المناسبات السعيدة أو الحزينة..

على أن جانبا كبيرا من شعر المناسبات غير متشح بوشاح الشعر، وكثيرا ما يتسم بطابع المنظومات التاريخية التي تعنى بتسجيل الوقائـــع

التاريخية أكثر من عنايتها بالصور الفنية .. فمما قيل في التهنئة منظومة الشيخ أبي بكر غمي بمهنئ الحاج محمد السنوسي شروما (Ciroma) يوم كان ولي العهد بعد رجوعه من الحج في سنة ١٩٥٣م حيث يقول :

غادرتنا نبكي فراقك ما لنـــــا
حتى تعود تبسـم وسـرور
يا ضعفنا يوم الوداع ببباكم
والناس صرعى كلهم مأسـور
حتى عزمت فمنهم متلفـت
ومشيع ومعول وصبـور

وفيها يقول ان الشرق كان يضيء عندما يمم نحوه السنوسي وترك الغرب يشرق من الشجى اذ أصبح مهجورا .. وقد أشرك الشاعر بعض الظواهر الكونية في الفرح والمرح بهذا القائد المسلم فجعل الأفق والطير سارة لمجاورته لها وهو يطير في سفينة الهواء الى الأراضي المقدسة وأن أهل مكة قد فرحوا لمقدمه وأرخوا به ولنستمع الآن الى قيثارته :

الشرق يشرق ما قصدت تجاهـه
والغرب يشرق اذ هو المهجـور
والأفق سر بما مررت وطيـره
والأرض تسمو للهواء تغيـر
حتى نزلت أمام ربك شـاكـرا
فيما حباك وخصك المشكـور

لبيت دعوته وأنـــت مهلـــــــل

متضرع متجـــرد محســــــور

أديت واجبه بأحسن حالــة

أبشـــر بدينك انه مأجـــور

ســكان مكة أرخوا بقدومكـــم

اذ فاز منك شريفهم وفقيـــر

وقصدت خير العالمين بطيبــة

مع صاحبيه وعمك التنويـــر

ردوا السلام عليك حين بدأتهـم

ودعوا لكم والحافظون ظهيـــر (١)

ومما هو من التهاني بسبب قصيدة الشاعر السنغالي أحمد عيان سه بمناسبة قدوم الجنرال الفرنسي دغول (De Gaulle) الى السنغال بدأ القصيدة بمقدمة في وصف بعض المناظر الطبيعية من نهر وبحر وزهور يقول فيها :

لقد أتى عبقرى الدهر سنغـــالا

يا نهر فاجر الى الصحراء أميـــال

ولتسقها من معين الماء صافيـــة

عذبا زلالا ولا تســـمح بـــه آلا

---

(١) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا ص ١٩٨-١٩٩.

الى أن يقول :

هذا دغول أتاكم فاضربوا فرحـــا
له الدفـوف و خلوا القيل والقـــالا
يعد في كل حال ما يناســـبـــه
فافرح بمقدمـه واشــرح له حـــالا
يعين كل امرئ فيما يحاولـــه
يعطيه من أمر الاســتقلال ما قـــالا
قل مرحبـا قد أتى أم القرى أصـــلا
وقم له حين زار القصـــر اجـــلالا
أهـلا بطا ئرة في الجو تحمل مـــن
قد فـك عن شعبنـا قيدا وأغـــلالا
رئيسهم لكثير القـو ل مجتنـــــب
تراه يوما لما قد قال فعـــــــالا
حب المواطـن من ايمان صاحبهـــا
لذاك أحببت أوطانـي هنا حـــالا
ولتعمروا بلدا تستوطنون بـــــه
ولـتملأوه بساتينـا وأمـــــوالا
بذاك فابغوا رضى الرحمان واتبعـوا
مراده في بقاء النـاس أجيــــالا
لا تفشلوا بنزاع سوف يهلككـــم
مستمسكين بما المولى لكم قـــالا
ان دام هذا سعدتم في تواصلكـــم
أو لا شقيتم وكنتم بعد ضـــلالا

نرجوا من الله ان يرعى حكومتنـــــا
كالمستقلة أقوالا وأفعــــــــــــالا
و يحفظ الوزراء القائمين بهـــــا
ويحفظ الشعب والأهلين والآلا (١)

وواضح أن شاعرنا لم يكن يمدح هذا الزعيم الاستعماري لاستعمار قومه للسنغال اذ لو فعل ذلك لكان من الحمق ، اذ ان السنغال لم تجن من وراء المستعمرين الا الويلات .. ولكنه يمدح " دغول " لاستجابته لاستقلال السنغال وكان شاعرنا يهوى منه استقلال بقية مستعمرات فرنسا في القارة الافريقية ، وقد أكد هذه الحقيقة في قوله :

يعين كل امرئ فيما يحاولـــــــه
يعطيه من أمر الاستقلال ما قــــالا

وقوله :

أهلا بطائرة في الجو تحمل مــــن
قد فك عن شعبنا قيـــدا وأغـــلالا

على أن شاعرنا قد ظلت الأصداء الدينية تلازم شعره حتى في هذه التهنئة أو المدحة التي يهديها الى انسان لا يدين بدين الاسلام . فهو يؤكد أن ما قام به لهذا الكافر انما هو واجب وطني وحب الوطـــن من الايمان . ثم يلتمس من بني قومه أن يعمروا الأرض بالزراعة والكسب المشروع وليلتمسوا رضى الله بتعمير الأرض لأن ذلك هو المقصود وراء استخلاف الله لهم في الأرض ، كما طالبهم نبذ الخـــلافات والنزاع اللذين مـــن

---

(١) الأدب العربي السنغالي جـ١ ص ١١٣-١١٤ .

شأنهما أن يهلكاهم و يفشلاهم فتذهب ريحهم . وكل هذه النصائح مطالب أساسية في ديننا الاسلامي .

وأخيرا يرجو الشاعر من المولى العلي القدير أن يجعل بلده مستقلا بكل ما في كلمة الاستقلال من معنى قولا وعملا حتى لا يكون استقلال البلاد مجرد حبر على ورق .. ومن قبيل شعر المناسبات تقريظاتهم الأدبية ،فها هو الاستاذ عبدالله بن يوسف النيجيرى يقرظ ديوان الشاعر عمر ابراهيم (١) بهذه الأبيات بعد أن قرظه بمنثور الكلام فيقول :

أحديقة الأزهار للقاضي عمر
ديوانه مجموعة باهي الدرر
أم هذه شمس الضحى قد أشرقت
أم أنجم الجوزا سناها قد بهر
أم ذى صحائف كونت من عسجد
فتناسبت فيها المعاني والصور
أم ذاك ديوان لأوحد دهره
شمس العلا بحر العلوم اذا فخر
هو أوحد الحكام تاج رؤسهم
مغني اللبيب اذا بدا واذا حضر
جادت قريحته بنظم فرائد
قد كان يذخر كنزها فيما ذخر

---

(١) سمى الشاعر ديوانه بحديقة الأزهار .

سرحت طرفي في محاسن روضة ال
باهي فذكرني بخاتمة الزمر
وحديقة الأدب البهي رواؤها
قد أينعت منها الأزاهر والثمر
لله ما أوفى محيط عبابه
جمع المطول والوجيز المختصر
قل للألى زعموا كفاية غيره
هيهات هل تجدي النجوم مع القمر
وبروجه في العلم شامخة البنا
بشهير بلدان وأعلام غرر
أتظن أن الوصف جاوز حده
عند العيان يصغّر الخبر الخبر
فاضرب له ما قيل : كل الصيد في
جوف الفرا مثلا تواتر واشتهر
أخباره في الخافقين حميدة
واذا زكت شيم الفتى حسن الأثر
ومضاؤه في الحكم والاقدام قد
سارت به الركبان في بحر وبر
وسعوده سعدت بها أيامنا
وقضاؤه من أمه أمن الخطر
لله جودة علمه وذكائه
في حل ألفاظ الغريب من الأثر

حفظ الاله بقاءه وبهاءه

مصحوب عز في البداوة والحضر

وجزاه مولانا لحسن طباعه

أسنى الجزاء مدى العشايا والبكر

وحياتكم ما زلت مذ فارقتكم

مترقبا أخباركم فيما خبر (١)

ونلاحظ أن الشاعر قد تجاوز تقريظ الديوان الى مدح صاحبه
وعلى كل حال فان التقريظ نوع من المدح .. هذا ومن التقاريظ
ما قاله الحاج ابراهيم بن الحاج محمد التسليمي الطوبوى السنغالي
في تشطير الشيخ كشمه لبرده البوصيرى ، وها هي ذى نماذج منها :

لما وقفت على التشطير أزعجني

شوق وهيجني ما فيه من حكم

وقلت ذا النظم بحر ليس يعبره

الا ذكي خلي الذهن من وهم

فخضت فيه وأخرجت الجواهر من

لجاته وشوج اليم في عظم

يرمي بحافته در البديع ويا

قوت المعاني فيا للبحر من نعم

---

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٣٤٨-٣٤٩ .

جم الجواهر الا أن جوهرنـــــا
هذا فريد بديع النظم في النظـــم
اذ فيه ما يعجز الخنذيذ من ملح
تريك أن الفتى من فتية شهـــم
شطرت بردة شيخ المادحين لنا
وتحفة العاشقين القادة القثـــم
محمد القطب من نار القلوب بـــه
كما به فاضت الخيرات كالديـــم
أنت المصلي وهذا الشيخ قدوتنـــا
هو المجلي من الحلبـــات للدعـــم
طلكت يا محيي الدين البراعة في
صناعة الشعر في أقرانك النجـــم
للتاج من بين تيجان الجواهر في
بلادنا قيمة من أرفع القيـــم
دكار طابت بطيب المادحين كمـــا
بوصير طابت بهم فضلا من الحكـــم
ياأهل "سنغال" هذا عزكم ولكـــم
فخر بهذا الفتى المنعوت بالكـــرم
جازاك عنا اله العالمين كمـــا
جازى الامام وانجاك من السـدم
(قرظت ياحب تاج الجوهر الحسن
مرتجيا شرب ماء الكوثر الشيــم)

فان مدح النبي المصطفى سبب
لشربه والورى في شدة القحم
خذوه يا أيها الأدباء واغتفروا
عيوبه فالرضى من أفضل الشيم (١)

وقد قرظ التقريظ المذكور ابن عم المشطر الحاج المختار كشمه ،فقال :

على تقاريظكم يا شيعة الكرم
أغير قبل انصداع الفجر عن قلم
نهبتم رونق التقريظ قبل وفى
تاج الجواهر أضحى القول في حطم
كما أغار خيول النهب مصبحة
شيخ العلى في تلاد البرد لم يلم
فزوّج العزب بالعزباء فادعهما
زوجين والزوج في ذا الحكم لم يضم
شن لطبقة كفوء دفء أحدهما
شطر من البرد أو شرط من العَدم
داعي الهوى ودواعي الوجد صوتهما
سيان لا فرق بين اللحن والنغم
يثني البوصيري في اعجاز بردته
على مشاطره في الأجر والقسم

---

(١) الأدب السنغالي العربي جـ٢ ص ٢١٦ .

سبقت الى الشيخ هونا كل ما نسجت
أيدى الفنون فأضحى جيد الجدم
أقلامه اجعل إلهي وفق نيته
وسائل الخير بين العرب والعجم
لله درك من قرم شمائله
وازت شمائل سر البدء والختم (١)

وبهذا التقريظ نختم حديثنا عن شعر المناسبات في شعر شعراء العربية بغربي أفريقيا .

وقد نال المديح النبوى نصيبا وافرا من بين الأغراض الشعرية التي تناولها شعراء العربية بغربي أفريقيا ، ولا غرو أن يتجهوا نحو هذا اللون من الشعر ،فهو لون من ألوان التعبير عن العواطف الدينية وباب من الأدب الرفيع الذى لا يصدر الا عن قلوب مفعمة بالصدق والاخلاص وتفان في حب ذات الحبيب المصطفى البشير النذير الذى بعثه الله رحمة للعالمين . .

وقد راح شعراء هذه البلاد ينظمون قصائد طوالا في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والثناء عليه تقربا الى الله ،وتعبدا ،واشباعا للجانب الروحي في حياتهم . . وكانوا في ذلك بين مستلهمين ومعارضين لقصائد سبقت في هذا الباب من نحو قصيدة البردة لكعب بن زهير وميمية البوصيرى الموسومة بالبردة أيضا . . وكانوا في احتذاء خطى البردتين

---

(١) الأدب السنغالي العربي جـ٢ ص ٢١٧ .

بين مشطر و مخمس ولنبدأ بالمدائح التي لم تتسم بسيما المعارضة.،فمنها هو ذا الشاعر السنغالي الحاج مالك سه يقول في مدح المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم :

أبدا بروق تحت جنح الظلام
ام وجه ميتة أم ربوع شمام
ان الربوع بشارتي وامانتي
وربيع قلبي وهي خير شيام
والدمع ان بعدت ربوع ربوعنا
جار وجارح منحرى بسهام
مه عاذلي لو حزت علما لم تلم
هل عذل مثلي لم يكن بحرام
ملأ الفؤاد قضاة شوقي والهوى
ألما ووجدا يا لطول هيام
يا غاديا يعلو السناد فبلغن
سلمى وسل عن جيرتي بسلام
فاربع على مجنون ليلى ان لي
داء دويا ما أبل سقام
واقرأ سلاما طيبا تفشيه من
حب الى ناس هديت همام
بين لهم تبيين بر صادق
اني بهم حلف الجوى وغرام
يا رب ليل بت سامر أنقد (١)
متجاوبا متساجلات حمام

---

(١) أى بت ساهرا.

ارعى الكواكب في الصريم كأنها
شدت بأهدابي صمام صمام

عتم ظراف كمل لكنهم
لم يعرفوا التقوى بوقت هشام

عدل كرام معدنا لكنهم
نالوا لدى التقسيم خير سهام

الطيبون معاقدا لكنهم
من جودهم قطرات غيث غمام

لا عيب فيهم غير أن جموعهم
سم العداة سعوط كل ادام

عسل صفاة معتفون نثالهم
ينسون أهلهم لطيب مقام

وهم النجوم لمقتد بسمائهم
بدر الدجى منه انجلاء ظلام

واستمر الشاعرعلى هذه الوتيرة فوصف الرسول صلى الله عليه وسلم بالجود والكرم والهداية ... الى ان ختم القصيدة بطلب الغفران ثم الصلاة والسلام على النبي وآله وأصحابه ..

ومعاني شا عرنا في المديح النبوى مطروقة اتكأ فيها على أوصاف المداح قبله . ولنستمع الآ ن الى قيثارة الشاعر النيجيرى عبد الرحيم الذى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم فبدأ بالنسيب فالوقوف على الا طلال فوصفه عليه الصلاة والسلام بالجود والكرم وذكر شيء من سيرته العاطرة

واسرائه ومعراجه ثم ختم قصيدته بالتوبة وطلب الغفران .. ثم الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

أرى برق الغواية اذ تراءى
بأقصى الشام زودني بكاء
وما عبر الصبا النجدى الا
وامطر ناظرى دما وماء
وأكسبني الهوى العذرى همّا
وسقما لا أرى لهما دواء
وأمرضني الطبيب فيا لقوم
طبيب زادني بدواه داء
فيا للعاذلين وطول عذلي
جعلت لمن أحبهم فداء
أكاتم عنهم العبرات وجدا
وادراء السلو لهم رياء
مضت أيام جيرتنا بنجد
فأصبح كل ما وهبت هباء
أمنكرى الاخاء بغير جرم
علام وفيم تنكرني الاخاء
فدعني والذين أرى حياتي
وموتي بعدما رحلوا سواء
بحقك هل سألت طلول نجد
فلم يجدوا لغرقتنا التقاء

وهل لك بالخبا المضروب علـــم
فتعلمني بمن ضرب الخبـــاء
وكيف أسائل الركبان عمـــن
أقام بذى الأراك ومن تنـــاء
وفي أكناف طيبة هاشمـــي
تصرفه السماحـة حيث شـــاء
امام المرســلين ومنتقاهـــم
حوى الخيـرات ختما وابتـــداء
تناهى كل فخر في فخـــار
ولم نلف لمفخـره انتهـــاء

ويستمر الشاعر فيذكر اسراءه ومعراجه فيقول :

كفته كرامة المعراج فضـــلا
بها في القرب ساد الأنبيـاء
سرى من مكة ببراق عـــز
لأقصى مسجد وعلا الســـماء
فسر به الملائكة ابتهاجـــا
وصلى خلفه الرسل اقتـــداء
وكم ربه من قـــاب قـــوس
وألهـــم في تحيتـــه الثنـــاء
فقال الله عزوجل سلنـــي
فلست أشاء الا ما تشـــاء

خزائن رحمتي لك فاقض فيهــا
بحكمك لست أمنعك العطــاء
وشفعه الاله بكل عــاص
وكل مقصر يخشى الجــزاء

وبعد هذه الأبيات يذكر كريم أوصافه عليه الصلاة والسلام من شجاعة وجود وكرم وكمال ثم يختم القصيدة بالتضرع والشكوى من كثرة الذنوب فطلب الغفران ثم الصلاة على الهادى البشير ..

هذا وقد ضمنوا قصيدة البردة لكعب بن زهير وشطروها وخمسوها وسبعوها .. ونختار من تضميناتهم تضمين الشاعر السنغالي محمد أنياس لروعته وبلاغته .. ولنستمع الى ألحانه في ذلك :

بريم رامة قلبي اليوم متبــول
متيم اثرها لم يفد مكبــول
ترنو بفاتر جفن ليس يشبههــا
الا أغن غضيض الطرف مكحــول
تريك قامة غصن البان مائســة
لا يشتكي قصر منها ولا طــول
هي الشفاء لداء الصب لو صدقت
يشفي مضاجعها شم وتقبيــل
تفتر عن برد عذب في مجاجتــه
كأنه منهل بالراح معلــول
لا يمسك القلب حبا غيرها أبــدا
الا كما يمسك الماء الغرابيــل

بعد الصدود لعمرى لا يقربـــه

منك العتاق النجيبات المراسيـل

أو ماخرات سفين من دواخنهــا

للجو غيم على الأرجاء مشمــول

لكن أقول لطيف الخود من ولـه

لا الهينك اني عنك مشغــول

بحب خير الورى طول الزمان ولـو

أني على آلة حدباء محمــول

لعل عفو رسول الله يدركنـــي

والعفو عند رسول اللـه مأمــول

يا سيدى انني حلف لحبكـم

هل حبل وصلي منك الدهر موصول

لا عطل القلب من حبي لكم أبــدا

ولا من المدح نال النطق تعطيـل

اني لأرجو نوالا منك يا أملـــي

ما فيه عند حديث النفس تعطيـل

فلا تعذب سمى المصطفى أبــدا

كلا وان كثرت فيه الأقاويـل

وعلى هذا المنوال سار شاعرنا في تضمينه فامتزجت أبياته بأبيات كعب والتحمت معها التحام الروح للجسد ، وفي الختام يقول شاعرنا :

قفوت كعباتها في مدحكم ولكـم

للفضل جود على العافين مبــذول

بمدحكم نال كعب بردة فعسى

تنيلني بردة فالفضل مأمـــول

وروءيتي وجهك الاسنى تبشرني

بقولكم أنت محبوب و مقبـــول

ثم الصلاة على الهادى و عترتـــه

ومن عليه بيوم الحشر تعويـــل

و هناك شاعر نيجيرى خمس البردة وهو الامير محمد بللو بن عثمان ابن فودى يقول في التخميس :

يا دار أخت لسلمى وهو عاقـــو ل

أقوت فهام فوءاد وهو مذهـــول

و هل لصب نآه الصب معقـــول

بانت شعاد فقلبي اليوم متبـــول

متيم اثرها لم يفد مكبـو ل

من قهوة الدن في موثوق أوعيـة

لا قهوة البرتسق وسط أنديـــة

وكأسها ان اديرت كأس تهنئـــة

شجت بذى شبم من ماء محنيـــة

صاف بأبطح أنحى وهو مشمول

لا تلفتن لموعود لها عقـــدت

واحذر مكائد كادتها وما عمـــدت

فانها أبدا عذارت وجـــــدت

فلا يغرنك ما منت وما وعـــدت

ان الاماني والاحلام تضليل

فيا خسارة من موعودها قبـــلا
وظن أن مرادا منه قد حصـــلا
كأن ميعادها طيف الخيال جلا
كانت مواعيد عرقوب لها مثـــلا
وما مواعيدها الا الأباطيـــل

عقارب العشق في الأحشاء تلدغها
والقلب بغيته فيها يسوغهـــا
شطت نواها وأنى لي مبلغهـــا
أمست سعاد بأرض ما يبلغهـــا
الا العتاق النجيبات المراسيل

لجت بعادا وشطت وهي سائـــرة
والنفس رهن لديها وهي غـــادرة
حلت بقو عن الثلماء صـــادرة
ولن يبلغها الا عذافـــــرة
فيها على الأين ارقال وتبغيل

يا رحمة أرسلت للناس فيه أمـــل
لكل راج وان هو قد أساء عمـــل
يا أكرم الخلق جد بالعفو أنت أهل
مهلا هداك الذى أعطاك نافلة ال
قرآن فيها مواعيظ وتفصيـــل

وعلى هذا المنوال سار شاعرنا الى أن ختم التخميس بالتضرع الى الله وطلب المغفرة ثم الصلاة والسلام على رسول الله وعترته وصحابته.

أما ميمية البوصيرى الموسومة بالبردة فقد شطرها الشاعر السنغالي الشيخ محمد محي الدين كشمه ،وهذه نماذج من هذا التشطير الذى يبلغ ثلثمائة وأربعة وثمانين بيتا :

أمن تذكر جيران بذى ســـــلم
قد بت ترعى نجوم الأفق لم تنـم
أم من ظعين نأت والخوض تحملها
مزجت دمعا جرى من مقلة بــــدم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمــــة
فهاج شوقك هوج الريح للعلـــم
أم جاورت اضما سلمى وجيرتهـــا
وأومض البرق في الظلمـــاء من اضم
فما لعينيك ان قلت اكففا همتـــا
على الثياب بدمع جاد كالديــــم
تحكى البلية قل لـــي ما بليت بـه
وما لقلبـــك ان قلت استفق يهـــم
أيحسب الصب أن الحب منكتـــم
والدمع يقطر والاحشاء في ضـــرم
هلا اعترفت بوجد شاع كامنـــه
ما بين منسجم منه و مضطـــرم
لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل
ولا أننت لبرق ضاء في ظلـــم

ولا شجاك غناء الورق اذ غـردت
ولا أرقـت لذكر البـان والعلـم
ولا أعارتـك ثوبي عـبرة وضنـى
طوارق زون والظلمـاء كالفحـم
ولا أثارت هموم القلب اذ سكنـت
ذكرى الخيام وذكرى ساكن الخيم
كم حسنت لذة للمرء قاتلـة
والخسر في نعم تفضي الى نقـم
قد كان يخبأ في طيب الطعام أذى
من حيث لم يدر أن السم في الدسم
واخش الدسائس من جوع و من شبع
دع الغلو من الأمرين واغتنـم
ان قيل فالجوع عند البعض يخمد قل
فرب مخمصة شر من التخـم
وخالف النفس والشيطان واعصهمـا
كلاهما غير ما يرديك لم يـرم
اياهما لا تشاور كن على حـذر
وان هما محضاك النصح فاتهـم
ولا تطع منهما خصما ولا حكمـا
بل كن مطيعا لخصم الخصم تستقم
الخصم يكر والقاضي يساعـده
وأنت تعرف كيد الخصم والحكـم

محمد سيد الكونين والثقليـــــــن

ن من أتى مدحه في النون والقلم

المنتقى سيد السكان للحرميـــــ

ـن والفريقين من عرب و من عجـــم

نبينا الآمر الناهي فلا أحـــــــد

من دون تصديقه ينجو من النقم

ولا شك أن التشطير جاء جميلا رائعا وان تقاصر عن جمـــــال الأصل وروعته ..

وبعد ، فان موضوع المدائح النبوية يرجع الى تراث قديـــم منذ فجر البعثة المحمدية وعلى هذا فان الشعر العربي في غربـــي أفريقيا الذى تناول هذا الموضوع لا نجد فيه شيئا من التجديد الذى يستحق الذكر والاشارة،خاصة من حيث المضمون ،لأن الشعراء الذيـــن تناولوا هذا الفن وجدوا أمامهم تراثا ضخما من القصائد يزخر بهـــا الأدب العربي منذ عصوره القديمة.. وقد شد هذا التراث الشاعر الأفريقي لمكانة الممدوح في قلبه فانكب عليه انكبابا كليا واعتبره معين ثقافته الذى ينهل منه أفكاره و يستقي منه أدواته البيانية.وظل يجول فـي فلكه فلم نجد له تجديدا في هذا الموضوع يذكر ،والأمر الذى يمكـــن للباحث أن يفتش عنه من حيث التجديد ، هو اصالة الشاعر و تفرده مـن حيث العاطفة الروحية والتدفق الأسلوبي ..

أما الجنس الشعرى الثاني فهو الشعر التعليمي ، وقد أكثر القوم فيه اكثارا وأجادوا في جميع ميادينه المتمثلة في الزهد والوعظ والارشاد ونظم العلوم الاسلامية ، من نحو وصرف وفقه وحديث وسيرة و تنجيم ومنطق وعلم كلام .. وقد نظموا هذه العلوم تسهيلا لطلبة العلم في عملية الحفظ والتذكر ،اذ ان الكلام الموزون المقفى ذا النغمة والايقاع أسهل في الحفظ من الكلام المنثور..

ويمتاز شعرهم التعليمي عن شعرهم الغنائي بلغته السهلة الشعبية القريبة الى الأفهام ،وقد جنحوا الى السهولة حتى يتسنى لهم الوصول الى الغرض من هذا النوع من الشعر وهو التعليم ..

وها هو ذا محمد بلو في احدى ارشاداته يقول :

وكم عشت في غرة وعماء
وجهل ولهو وأنت صبي
ألا فانج واسلك سبيل الرشاد
ولا تسه عما يقول الحفي
من ازداد سنا ولم يكتسب
علوم التجارب فهو الغبي
ومن نال علما ولم يكتسب
به عملا صالحا فغوى
ومن نال عزا ولم يفتخر
ولم يتكبر فذاك السرى
ومن نال علما ولم يستظاهر
به ويجادل فذاك الرضى

ملكت الأمور وقلبتها
كأني عليها قديما ولي
ولم أر كالصمت منها جميلا
ومكسب ذا الصمت عندي ذكي
وذي شغب وجدال وضبط
يرى أن صمتا عن القول عي
ولم يدر أن الكلام ملام
وأن الصمات مقام علي
ومن ملك النفس عما تريد
وأتبعها الحق فهو القوي
ومتبعها في هواها زمانا
ولم ينهها عن هواها رضي (١)
وان القناعة رشد كبير
وصاحبها الدهر خل غني
وذو الحرص ما أن يزال فقيرا
وأن الحريص لئيم شقي
ومن راقب الله في أمره
وجاهد فيه فذاك التقي

فالشاعر في الأبيات السابقة يسجل نظرته الى الحياة وتجاربه عن طريق الحكم والمواعظ وان كانت معانيه في الوعظ مطروقة الا أنه

---

(١) كذا في المخطوط ولعله "ردى" أي هالك .

أجاد في ديباجته وعرض هذه الأفكار في قوالب سهلة لا تكلف فيها ولا تعقيد ..

وله أيضا في الوعظ والارشاد الأبيات التالية :

فافزع للـــه الحـــق ولا
تيـــأس مـن روح المقتـــدر
أحسـن ظنـا وبـه فثقـــا
كيما يكفيك مـــن الضـــرر
نفحـــات اللـــه لهـــا أرج
تأتـــي باللطـف وبالظفـــر
مهمـا اشـتدت بـك نائبـــة
فعليـه توكـــل واصطبـــر
عـل المولـــى مـــن رحمتـــه
يأتـي باليســر على الأثـــر
اشفقت وربـــك مقتـــدر
وبســـالف عادتـــه اعتبـــر
لا تقنـــط وارج فضائلـــه
فأمـــور اللـــه علـــى قـــدر
عجـــلا يأتـــي فـرج بهـــج
الراجـــى منـه مـدى العمـــر
ســـل ربك لا تسـأل أبـــدا
غير المولى دفـع العســـر
رب مـــن عـــاذ بجانبـــه
يكفـى مـن ظلـم أولى الأشـــر

يأس من رحمته خسر
بل كفر مفض للسقر
سبحه وهلل واعترف
ينجيك من الكرب الخطر
راج من فيض فواضله
بيقين القلب المنكسر
أتراه يضيع راجيه
كلا فالعسر مع اليسر

فالأبيات السابقة كلها تدل على الروح الدينية التي تشبع بها الناظم، اذ يمكننا استخراج معنى كل بيت من أبياته أوجلها من كتاب الله العزيز.. فقوله في البيت الأول مستلهم من قوله تعالى :
(١)
* يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله .. الآية *
وأبياته أيضا مليئة بحقائق التوحيد الخالص كعدم الاستعانة بغير الله ووجوب التوكل عليه في النوائب والملمات ..

وللوزير الجنيد قصيدة تعليمية في الوعظ والارشاد يقول فيها :

ألا يا أهيل العصر أين انسيابكم
كأني بكم والموت والله قد نزل
نبذتم كتاب الله خلف ظهوركم
وآثرتم الدنيا فألهاكم الأمل
غفلتم عن الأخرى ولم تتفكروا
صروف الردى في الغابرين من الأول

---

(١) سورة الزمر ٥٣ .

وقد عمروا الدنيا كتعميركم لهـــــا
وأكثر من تعميركم ومن الحيــــل
وهم منكم أغنى وأكثر قـــــوة
وأطول أعمارا وفي عظم الـــدول
فلم يلبثوا حتى أبادهم الـــردى
فصاروا أحاديثا وضربا من المثـل
منازلهم أمست يبابا كأنهــــــا
لخولة بالأجزاع من اضم طلـل
وكم من قصور شامخات تبدلـــت
قصور من الآجام يرمى بها الحجل (١)
ولم يأخذوا شيئا لكي يتــــزودوا
به بل أضاعوا العمر من قلة العمــل
ولم يغنهم مال ولا ولــــــد ولا
حميم ولا من شح منهم ومن بذل
ألا اتعظوا واستيقظوا وتنبهـــوا
فقد آن وقت الاتعاظ لمن عقـــل
فعزتكم بالله لا غير فاعلمـــوا
ومن رام عزا من سواه فـــذاك ذل
ألا فانصروا الاســـلام وفق استطاعة
بقول وفعـل موقظـين لمن غفـــل

---

(١) الحجل : الذكور من القبـج أوانات اليعاقيب .

ولا تـطعـوا في العز الا بنصـره

فطوبى لمن في نصره قام واشتغـل

وبالله لوذ وا واستعينوا بنصـــره

فما خاب من أمسى عليه قد اتكـل

أيا ربنا يا مالك الأمـر كلـــه

اليـك لجأنا فـاكفنا السوء والوجل

ولا تخزنا دنيا وأخرى وبرزخـــا

وتب واعف وارحم واغفر الذنب والزلل

أجبنـا بجاه الهاشمي محمـــد

عليه صلاة الله ما صيّب هطـــل

ولا تتركنا للعدو وكيـــده

واسبل علينا السترعن سـيء العمل

ونزه فؤادى عـن وسـاوس شدة

علي اشغلني يا كاشف الضر والعلــل

وبمثل هذا التضرع استمر الشاعر الى نهاية القصيدة . . .

على أن الشاعر في مواعظـه متأثرا بأسلوب القرآن الكريم في الدعوة الى اتخـاذ العبرة والعظـة من الأمم البائدة من عاد وثمود وأصحـاب أيكة وقوم تبع وفرعون وقارون وهامان وغيرهم . .

وللشيخ الخديم أحمد بمبه منظومة طويلة في النصح والارشاد نقتطف منها هذه الأبيات :

واعلـم بأن من أبى التعلمـــا

وقت صباه سيلا قي ندمـــا

ان كل من لم يتبادر للعلوم
مع تفرغ لها قبل الهموم
فلا ينال غالبا مطلوبه
منه وليس يحتوى مرغوبه
ان مدحوا تعلم الصغار
بكونه كالنقش في الأحجار
وشبهوا تعلم الكبار
بالكتب فوق الماء في الآثار
واعلم بأن العلم لا ينال
الا بحبس النفس عن قيل وقال
ولا ينيل بعضه الدهر أحد
ما لم يهب له الجميع واجتهد
فأعطه بلا نزاع كلكا
فليلك اسهر ولتجوع بطنكا
ولتجمع الهمة فيما تطلب
بلا التفات لسوى ما يجب
ولا تؤخر التعلم ولا
تكن مسوفا به دهرا الى
تفرغن من جملة الأشغال
ان رمت أن تلحق بالرجال
فان للدنيا هموما تمنع
من الهدى وهي لا تنقطع

والموت يأتي بغتة وربما
يكون ذا شواغل مخترما
واجتنبن ضحكا وفرحا وصخب
أمام شيخك اذا رمت الأدب
فقد ذكرت جملة من الأدب
تقضي لمن لازمها كل أرب

فهذه الأبيات السابقة تحتوى على نصائح لا يستغنى عنها طالب العلم .. وتتسم بسهولة ألفاظها وحلاوتها مما يقرب فهمها الى أبسط الطلاب .

وهناك منظومة طويلة للشيخ الفقيه عبدالله بن علي القرشي العطار تحتوى على خمسين وثلاثمائة بيت مقسمة الى ثلاثة عشر فصلا في الوعظ والارشاد ، يقول في الفصل الثالث بعنوان " في عتاب النفس": (١)

خذ في عتاب نفسك الأمارة
فانها غدارة غرارة
فذمها من أشرف الخصال
وبرها داء بكل حال
ليست على حال تدوم أبدا
ترتع في روض هواها سرمدا

---

(١) قصيدة ذات الحكم مخطوط .

من اغتــــدى لنفسه محاسبـــــا
ولهـــواه والعـــدو غالبــــــا
أصبـح ما بين الورى أميـــــرا
وكان فيـه سعيـه مشكـــورا
خالـف هواك تنج منه حقـــا
والنفـس والشـيطان كي لا تشقـا
ذل النفـوس عزهـا فصنهـــا
بالذل في اللـه وصد عنهـــا
نفسـي عما سرنـي تدافــــع
وهي الى ما ضرنـي تســـارع
قد أسـرتها شهـوة وغفلـــة
تنكر شيئا ثم تأتـي مثلـــه
كأنهـا ناصحـة بعدلهـــا
وهـي تريــش للخـــداع نبلها
سـيئة التدبير أنى أقبلــــت
أو أدبرت أو ان نهت أو أمـــرت
أزجرُها ولا تفيءُ ســـاعـــة
تدرّع الكبر وتنســى السـاعــة
تظهر خوفا بيّنـا بين الـــورى
فان خلت فلا تســل عما جــرى
وتزدهيهـا عجبهـا بجهـــل
وتزدرى أفعال أهل الفضـــل

كيف السبيل في النجـاة وهي في
فلك هواها تجر ريح التلـف
فمن جنا حسابها فقد ظفـر
ومن جناها غفلة فقد خسـر

وفي الفصل الرابع بعنوان " في الموت " يقول :

قدم ليوم العرض زاد المجتهـد
ثم الجواب للسؤال فاستعـد
تطوى المنايا العمر طيـا
وأنت لا تزداد الا غيـا
وقد تولى ثم لم تقض الأرب
والموت قد جد سريعا في الطلب
فلا تبت الا على وصيّـه
وانها عاقبـة مرضيـة
الام تسعى للخطايا صائبـا
وقد مضى عمرك نهبا نهبـا
أصلك والفرع معا قد سبقـا
وأنت ما بينهما ترجو البقـا
هيهات لا بد من النـزوح
حقا ولو عمرت عمر نـوح
ومن حلول القبر عزما عزمـا
ومن سؤال الملكين حتمـا

ومنزل ما بعـــده مستعتـــب

الا النعيـم والجحيـم المرهـــب

فألفاظ الشاعر سلســة عذبة رقيقـة سهلة شديدة القرب الـــى الأفهام ... وفي الفصل السادس بعنوان " التقوى والخوف " يقول الناظـم :

أفضـل زاد المرء تقوى اللـــه

سبحانـــه جـل عن التنـــاه

عليـك بالتقـوى وكـل واجــــب

وترك ما يخشى وشكر الواهـــب

وكن لأسباب التقى أليفـــــا

واعـص هواك واحذر التعنيفـــا

فالفقـر من تقواك شر الفقـــــر

وشر ما ادرعت درع الكبـــــر

رام نعيم من جنـا المراقبـــة

وقدم الخـوف وراعى جانبـــــه

زين الفـتى خـوف ومعروف معـا

وشينـة جوف وفرج تبعـــا

فالخـوف أولى ما امتطـى أخو الحذر

واعـتقد الصمت ودع عنك الهــذر

لو أن ما استمـلاه كاتبـاكـــا

بأجـرة منـك ختمـت فاكـــا

كل كثير النطق جهلا قاتلـه
والصمت حكم وقليل فاعلـه
طول اللسان يهلك الانسانا
والصمت علم يعقب الأمانا
عس يوديك الى السلامة
أفضل من نطق جنا الندامه

وللشيخ الحاج منصور سه في النصح والارشاد الأبيات التالية :

أخي أعرني بأذن القلب مستمعا
يفدك من كان في الأحوال نقادا
من حكم من قد أرت في نظمها دررا
تكون أفضل زاد ان تـرد زادا
ورأس مال الفتى عقل ومعرفـة
وان هما فقدا حقا فقد بادا
دع معشرا حجبوا عن ربهم وعموا
ملازما عارفا في الله منجادا
حب الرياسة دع ان كنت معتنيا
بما اعتنى القوم في مولاك مقصادا
والقوم هم حيثما كانوا على حذر
خوفا باخلاصهم سلبا وأبعادا
للكبر ابليس أضحى خاسئا حسرا
ونال قابل منه الدهر أصفادا

لا شيء في الدين بعد الكبر أفسد من
حقد ولاتك أهل الفضل حسادا
من آثر العرض الدنيا المعرض للـ
فنا فقد جاء بالخسران الحادا
ولا تسوء أدبا بالله وارض بما
جرى به الحكم امضاء واشهادا
فكل ما شاءه في الكون صاح يكن
كما اقتضى وقضى حكما وايجادا
سلم عليه قياد النفس واسترحن
عن المعونات تسلم نعم من قادا
من يعرف الله حقا ليس يزعجه
شيء سواه وينفى عنه تعدادا
ان كل ما كان مقدورا فليس له
فوت وما لم يقدر فات ايرادا
ان الفتى من سما نحو العلى ودنا
يوحد الله توحيدا وافرادا
ويقطع الوقت قبل القطع منسلكا
مدارج الحق عن دنياه زهادا (١)

وعلى هذا النحو من النصح والارشاد استمر الشاعر في ثلاثين بيتا على بحر البسيط في لغة رقيقة سهلة..

---

(١) الأدب السنغالي العربي جـ٢ ص ١٨٣.

ولعل من أحسن ما قيل في الزهد وحسن الأخلاق قصيدة الشاعر النيجيرى محمد سنبو بن أبي بكر التي ضمنها المقاصد الوعظية التي حوت أغلبها لامية عمر بن الوردى المشهورة التي يقول فيها :

اعتزل ذكر الأغاني والغزل
وقل الفصل وجانب من هزل
ودع الذكرى لأيام الصبا
فلأيام الصبا نجم أفل
واترك الغادة لا تحفل بها
تمس في عز رفيع وتجل (١)

فيقول شاعرنا :

من لذى عين نفى عنه ليالي
لذة النوم له طيف الخيال
يتمنى الوصل من محبوبه
لم يزل مسكنها فوق الرمال
تشبه الدر وأولاد المها
والدرارئ وأولاد الغزال
وتراها غصن بان ناعم
مائل في كف أرياح الشمال

---

(١) الكشكول ج١ ص ٣٠٦ ، بهاء الدين العاملي ، تحقيق الطاهر أحمد الزاوى ط/ دار احياء الكتب العربية .

وإذا ما نلت منها نظـــــرة
أو دنوا تحت أستار الكـــلال
خلت بدرا شق أذيال الدجى
حوله الأنجم شدت بالحبـــال
ومتى ما وعدتنا موعـــــدا
كان ذاك الوعد لمعانــــا لآل
ما لها تنجزنا ما وعــــدت
أتفي بالوعد ربات الجمـــال
وترى الغدر عليها واجبـــا
والوفا بالعهد ضدا للحـــلال
استعيذ الله من غـــدارة
تقتل المحبوب قتل الاغتيـــال
استحلت دم مسكين ثـــوى
قعر سجن الحب منها في العقال
تلك دنيا لا تكن مغرورهـــا
ان من غرت لمسكين الرجـــال
لا يكن همك في شيء ســـوى
ما يفيد العيش أوخير المـــال
ليس للانسان الا ما سعـــى
فليكن سعيك احسان الفعـــال
خالق الناس باخلاق الرضـــا
وباحسان والا باعتــــزال

كف عن أمر اذا ما اشتبها
تنج من خوض غمارات الوبال
واكظم الغيظ ولا تغضب على
طيش جهال هم أهل الضلال
ولباس البر والتقوى البسن
وتعمم بحميدات الخصال
ان خير المال ما أنفقته
ابتغاء الله من مال حلال
ومن الايمان امساك الأذى
عن جميع الناس مولى أو موال
وأذى الجار ابتعد عنه وان
هو آذاك فقابل باحتمال
والأمانات احفظتها لا تخن
أوف بالعهد تكن خير الرجال
كف عن مرتع ظلم واعلمن
أنه مرتع ندم ووبال
وعلى الميعاد حافظ وليكن
كل أخلاقك آداب الكمال
وحياء وسخاء ورضا
بقضاء الله مع صدق المقال
ودع الكبر وأنواع الريا
وكذا الحسد وأنواع الخيال

واحبس النفس علـى مكروههـا
وعـن الشهوات تنـج من تبـال
ليست الزينة بالأثـواب لا
انما الزينة أخـلاق الرجـال
وابتعد عمن تراه خائضـا
لجة العارجريئا لا يبـال
صل يا رب على خير الـورى
ما طما البحر بموج كالجبـال
وعلى أصحابه أهل التقـى
وكـذا آلهـم هم خيـر آل

ويلاحظ أن الشاعر قد قسم القصيدة الى قسمين ، القسم الأول منها يتحدث فيه عن الدنيا ويصورها بالمرأة الحسناء بارعة الجمال فاتنة الألحاظ تخلب القلوب وتأخذ على مجاميع العقول بنضارتها الباهرة وجمالها الخلاب غير أنها غدارة غرارة مكارة خداعة .. فهي خضراء الدمن ينبغى على العاقل البصير الاعراض عنها واجتنابها حتى لا يقع في شراك غدرها ومرصاد مكرها ..

وفي القسم الثاني حث وتحضيض على حسن التحلي بالصفات الحميدة والخصال المحمودة ،والتخلى عن الصفات الذميمة والبعد عن سفاسف الأمور ..

وواضح أن الشاعر النجيرى الزاهد كان يحتذى في أغلب معانيه على ابن الوردى في لاميته الرائعة كما سبق أن أشرنا .. وفي البيت

الثامن من قصيدة سنبو ما يشير الى قراءته لشعر عمر بن أبي ربيعة في قوله :

ليت هندا أنجزتنا ما تعـــــد
وشفت أنفســنا ما تجـــد (١)

على أن شاعرنا قد نجح الى حد بعيد في ديباجته وحسن نظمه وكريم نصحه الذى يسهل فهمه لغته الشعبية السهلة ...
أما صدى الدين في أبيات القصيدة فأجلى وأوضح من أن تحتاج الى بيانه فبأدنى نظرة فيها يضع القارئ يده على مواطنها من القصيدة ..

ويتصل بالشعر التعليمي المنضومات الحكمية والارشادية للأديب البرناوى النجيرى أبي بكر الملقب بالمسكين، وقد أجراها مجرى الحكم والأمثال على نحو قوله :

أبنت للطبيب عين دائـــي
لأن ذا أدعى الى شفائـــي
ومن تمنى أن يكون أكرمـــا
فليتق الله يكن مكرمـــا
ومن أطاع النفس والشيطانـــا
أضاع حق الله والاخوانـــا

---

(١) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٣٢٠ تأليف محمد محي الدين عبد الحميد ، ط١ / مكتبة المدني ، مطبعة المدني القاهرة.

ومن يبع آجلــه بعاجـــــل
يبوء بخسر عاجل وآجـــــل
اياك اياك وخضراء الدمـــن
فانما الدنيا بلايا وفتـــن
وانها أخدع من ســــراب
وطالبوها أخسر الطـــلاب
كل قضاء فلــه جــــلاب
وكل در فلــه حـــــلاب
من غض عن معايب الاخـــوان
جفنا ير الستر من المنـــان
لا تفش يا صاح من العيـــوب
ما ستر العلام للغيــــوب
ان جاءك الفاسق بالانبـــاء
فلتتبينــه الى انقضــــاء
واعلم بأن من سعى اليكـــا
لا بد أن يسعى غدا عليكـــا
وكم غني بات أفقر الـــورى
وكم فقير ظل أغنى من يـــرى
اذا هفا أخوك فاعف عنــــه
أو قطع الحبل فأوصلنـــــه
وقد يكون للحسام نبـــوة
كما تكون للجواد كبـــوة

ولا تمدن الى المعالـــــي
يـدا تقاصـرت عـن النـــوال
فجوعن كلبـك يتبعكـــا
ولا تسـمنه فيبـتلعكـــا
عليك بالجـار قبيل الـــدار
قد يؤخذ الجار بذنب الجـار
ونزهن نفسك عن خسـائس
وجنبن قلبـك عن دسـائس
وموت زمرة مـن الأشـــراف
خير من ارتفـاع نذل جـاف
واعمل لدنياك كباق أبـدا
واعمل لأخراك كهالك غـدا
واصبر لكل ما أتى الزمـان
به فعقبى صبرك الأمـان
اذا رأيت عبرة فاعتبـــر
وانما الدهـر وعاء العبـــر
صنائع المعروف لله تقـــى
مصارع السـوء لكل متقـــى (١)

---

(١) جامع الأمثال والحكم الفائقة المثال ص ٢ - ٨ مخطوط ، وقد أعطاني الشاعر الجزء الأول من الديوان مصورا ولا يزال عندي . .

وعلى هذا النسق الجميل جرى الشاعر في نصحه وحكمه البليغة وأمثاله الرائعة .. ومعانيه في هذه الحكم والنصح أغلبها مطروقة ... ونفحات الدين فيها أريجة وهو يكاد يقف شعره كله في النصح والارشاد والحكم والأمثال وله في ذلك ديوان ضخم .

ومما هو الى الشعر التعليمي بسبب منظومات شعراء العربية في غربي أفريقيا العلمية ،وتختلف هذه المنظومات من حيث القلة والغزارة باختلاف العلماء من حيث الضلاعة والغزارة في العلوم التي يعالجونها وينظمون مسائلها ..

ولعل أبرع ناظم في هذا الفن وأكثر غزارة في ميادينه المختلفة الشاعر النيجيرى عبدالله بن فودى الوزير الملقب بعربي السودان لغزارة علمه ، فله منظومات كثيرة في التفسير وعلومه وأراجيز فقهية في العبادات والمعاملات ومنظومات في أسانيده في العلوم التي درسها كالحديث والفقه والتفسير والتصوف ،ونذكر له هنا منظومتين في النحو والصرف تحتوى الصرفية منها على ألف بيت سماها " الحصن الرصين " افتتحها بالأبيات التالية :

الحمد لله الذى تعرفا
الى عباده بما تصرفا
وأنطق اللغات في البوادى
البلغاء اللسن الهوادى
وعم بالروائح الأيادى
مع الفوادى المجتدى والجادى

اذ أرسل الرسول للعباد
يرشدهم مهيع الرشاد
محمد سيد كل ناد
أفصح كل ناطق بالضاد
صلى عليه ذو الأيادى الهادى
وآله وصحبه الزهاد
ما ناحت الحمائم الشوادى
وصاح بالأنعام صوت الحادى
وبعد فالعلم له رياض
وبينها الحياض والغياض
وحولها خمائل شعاب
وفوقها شواهق هضاب
تفرعت من أصله أفنان
وانشق من دوحته خيطان
ومبرز الأسرار للجميع
علم لسان العرب الرفيع
وهو سبيل الفهم للمعاني
في سنة النبي والقرآن
قد اعتنى بحفظه عصابة
في كل عصرهم ذوو الاصابة
فأصلوا وأحرزوا دقائقه
وفرعوا فأبرزوا حقائقه

وقنصوا في نثرهم شـــواردة

وسردوا في نظمه قلائــــده

وهي منظومة قوية رائعة في موضوعها جيدة في نظمها على أن المنظومة النحوية الموسومة بالبحر المحيط تتألف من أربعمائة وأربعة آلاف بيت نظم فيها ما أورده السيوطي في كتابيه جمع الجوامع وهمع الهوامع .. وقد قسم المنظومة الى مقدمة وسبعة كتب وخاتمة نذكر هنا نبذة منها :

الحمد لله على تسهيلـــي

فتح الأعادى مغني النبيـــل

بالخفض والكسر وجر الهـــون

والجزم فيهم لازم السكـــون

ورفع أهل ملـة الاســــلام

على سواهم آخر الأيــــام

بنصب راية المجاهديـــن

وضم شملهم فشاد الديـــن

اذ نحوه قد صرفوا القلوبــا

فأنغموا من سره الجيوبـــا

مفضل الأنوار في الضمائــر

وعادم الأشباه والنظائـــر

والبســط في المطالع السعيـــدة

عمدتهم بالمنح الحميــــدة

فأعربوا البعض على التصريـــح
والبعض مني على التلويـــح
نهجتهم من أوضح المســالك
خلاصة ومنهج للســالــك
فريدة للطالبين كافيـــة
بشرحها بالارتشاف شافيـــة
ثم صلاته مع الســلام
على نظام جلة الأنــام
محمد نعمته آلّت صبغـــا (١)
عبـاده فيها عليهم أسبقـا
في الكلم الوجائز الجوامــع
وصحبه غيوثنا الهوامــع
ما قام بالنفس ضمير أعربـــا
عنه فم لسامع وقربـــا
واستعينه على نظـــام
جمع الجوامع البليغ الســامي
على جميع كتب العربيـــة
وشرحه الحائز للمزيــــه
همع الهوامــع الروى المحيط
كلاهما للعالم السيوطـــي

---

(١) الت أى التي .

وربما أنقص أو أزيـــــد
لعلـة ونيل ما يفيـــد
وربما قدمت أو أخـــرت
لمقتض داع الى ما اختـــرت
لقبه إذ حوى روى السيـوطـي
وغيره ببحره المحيـــط

" الكلام في المقدمة "

بنت فم صوت اذا حرف فقـــد
وما حواه لفظه ان لم يفـــد
أولا فقوله كلمة في منفـــرد
فى ذى اثنتين جملة لولم يفـــد
وما أفاد فالكلام والكلـــم
في ذى ثلاثها وفيد ما التـــزم

" الخاتمـــة "

أبياتـــه زادت علـــى آلاف
أربعة بمقصـــد توافـــى
الحمد للـــه وصلى اللـــه
على محمـــد ومـــن والاه
ومن آلـــه وصحبه غـــران
وتابعيهـــم على الاحســـان (١)

---

(١) البحر المحيط .

وللشاعر منظومة أخرى في العروض والقافية سماها : " فتح اللطيف الوافي لعلمي العروض والقوافي " .. هذا .. وللعالم السنغالي أحمد بن أبي بكر عبد القادر آن منظومة في النحو نظم فيها مؤلف ابن آجروم المعروف بالآجرومية نختار منها هذه الأبيات :

قال الفقير التلرى أحمد
حفظه من الشرور الصمد
الحمد للجاعل في الكلام
النحو مثل الملح في الطعام
الرافع المؤمن بالايمان
والخافض المشرك بالكفران
وبعد ذا فانني عقدت
ما نثر الخبر وما وريت
محمد هو ابن آجروم
تسهيل حفظ لذوى الحلوم
سميته اعانة الطلاب
في فهم ما خفي من الاعراب
ان الكلام عندهم لفظ مفيد
مركب بالوضع صن يا مستفيد
قد فسر الوضع بوضع العرب
بعض ووضع العجم عنده أبي
وبعضهم فسره بالقصد
مخرج نائم بهذا القيد

وهو على ثلاثة الأقسام
ترتيبها يأتيك بالتمام
اسم وفعل ثم حرف يجلب
لأجل معنى في سواه يطلب

.. هذا وقد قسم منظومته الى تسعة وعشرين بابا ...

ويتصل بالمنظومات التعليمية منظومة الوزير الجنيد النيجيري في معاني بعض المفردات اللغوية يقول فيها :

أيا طالبا تفسير ما كان مشكلا
عليه ورام الحفظ خذ ما تيسرا
فظمياء أنثى زين فوها بسمرة
ولثتها فافهم وكن من تبصرا
مظالم والاظلام ليس لكشفها
تباج لأنّ الأمر سهل لمن درا
ظبا السيف معروف وأما الذى ترى
بأسنان هند اسمه الظلم لا مرا
رويدك فاحذر من لحاظ عيونها
......................(١)
ظليم على ذكر النعام تقوله
وظبيك معروف فكن حافظ العرى
وشيظمك الفرس الطويل وظلنا
ظليل وأحسن أن تذوق بها الكرى

---

(١) سقط من المخطوط .

وجانب لظى لا يدن منك شـواظها
وذلك لهب لا دخان لـه عـــــرى
لماظـك لعق باللسان على الشفـه
تتبع أثر الأكل كن من تدبـــــرا
حظا انتفـاخ اللحم أوجمع حظوة
تأمل بما قد كان فيه مســـــطرا
نظيرك أى مثل ومن أرضعت علـى
جزاء تسمى ظئر هذا لهاجـــــرا
وظلفك للبقرات بل كل دابــــة
حوافرهـا مشقوقة خلفها تـــرى
مقدم ساق الرجل ظنبوب اسـمــه
شظاظـك عور في عرى الحمل للعرى
مظفركم فهو المؤيد فاستمـــــع
ومحظوركم ممنوع أمر على الــــورى
واحفاظكم اغضابكم من بسيئكـــم
حظيراتكم مأوى الدواب لتستـــرا

ويستمر الناظم على هذه الوتيرة في تفسير المفردات اللغويـــة من الأسماء والأفعال التي فيها حرف الظاء في سبعة وأربعين بيتا علـى بحر الطويل في لغته السهلة الرشيقة . .

وبهذه الأبيات السابقة نختم الحديث عن الشعر التعليمي لدى شعراء العربية في غربي أفريقيا ..على أن الأصالة لم تخالفهم فـي هذا الباب وقد جاء نتاجهم فيه على غرار نظيره في المشرق والمغرب العربيين .

وبعد ، فقد رأينا كيف أن شعراء غربي أفريقيا قد تناولوا معظم أغراض الشعر العربي التقليدية كالمدح والرثاء والغزل والوصف والشكوى والحنين وشعر المناسبات والشعر التعليمي .. وترفعوا عن الهجاء الا فيما ندر ، والسبب في ذلك تغلغل الروح الدينية في وجداناتهم وسيطرتها على مشاعرهم ..ومن هذا النادر قول ابن المقداد يهجو ابن عمه الحاج بكاى سك عندما أهدى القوم اليه " فنال "[1] فردهم حفى حنين فلما بلغ الشاعر ذلك قال :

رد هذا الفتى " فنالا " فنالا
كل عار اذ رد ذاك الفنالا
ترك العرض نهب كل لسان
وانثنى نحو ماله ثم مالا
فالفتى من يصون عرضا بمال
ما الفتى من يصون بالعرض مالا

وللقاضي مجخت كل يهجو بعض خصومه هذه الأبيات :

يا من درى أنه مخصوص أشعارى
لما حوت من صفات الذم والعار
كفاك ذلك ذلا فلتخذه كما
في السجن قد ذقته طورا من أطوار

---

(١) " فنال " هيكل يصنع من الخشب على شكل سيارة أو طائرة يضعه أهل سانلوى في الأعياد ويقدمونه الى أحد وجهاء البلاد كهدية وتهنئة للعيد ..

وصوت "ألكات" لا تنكر ولطمتـــه

بين الأزقة من دار الـــى دار (١)

فاغتم حيث التوافي سوف يحرسه

عن العرائس كلب عندنا ضـــار

هل تدعى العلم من جهل و من حمق

وأنت منذ دهور بائع ســـار

وفي الفخر يقول ذو النون :

مالي أخاف عيون النجل ان نظرت

و انني لا أخاف الفارس البطـــلا

جماعة الشعرا يوما اذا اجتمعـــوا

فانما علمي فيهم أنا ابن جـــلا

كم منكر رام نقصي حين يسمع بـي

لما رأني اليه مقبلا قبـــلا

ولا أرى من عدو شاتم سفهـا

الا وذل بعون الله وانسفـــلا

ولا أبالي اذا ما الهول يطرقنـــي

لطارق طار فوق الجو أونـــزلا

ويقول في قصيدة أخرى :

وقائعنا مثل الرعـود على العـــدى

وأوجهنا مثل البروق اذا لحنـــا

----

(١) ألكات هو الشرطي باللغة الولفية.

وانا ملوك العشق بل امراؤهـــم

قـد استخلفونا في البـلاد وهاهنـا

هذا وقد رأينا أن شعراء العربية بغربي أفريقيا قد اتكأوا في صورهم الفنية في كثير من الأغراض التقليدية على القديم ، وقليل خروجهم عن ذلك .. كما التزموا نهج القصيدة العربية في أغلب قصائدهـــم في تلك الأغراض .. على أنهم قد وشّحوا تلك الأغراض بوشاح الدين ، فظلت الأصداء الدينية تلازم قصائدهم في جميع أغراضها الشعريـــة وستظـهر لنا تلك الأصداء بصورة أوضح في الفصول القادمة ان شاء اللـه تعالى ..

الباب الثاني

شعراء غربي افريقيا

ويشتمل على الفصول التالية :

الفصل الأول : شعراء السنغال .

الفصل الثاني : شعراء نيجيريا .

الفصل الثالث : الملامح المميزة للشعر العربي في غربي افريقيا .

الفصل الأول :
شعراء السنغال .

يونس ذو النون له :

هو يونس بن محمد ، من ذرية ألهمام يوسف سر دمبه له . .

ولد في قرية تسمى " حابه " سنة ١٢٩٨هـ - ١٨٧٧م . .

تعلم القرآن ومبادىء القراءة والكتابة في كتاتيب القرية ، ثم سافر لطلب العلم الى كل من " فوت تور " و " موريتانيا " بعد أن طرّشار به ، وظل يتنقل من هنا و هناك طالبا للعلم . . وأخيرا ألقى عصا التسيار في رحلاته العلمية في مدينة " سان لوس " حيث تتلمذ على الشيخ أحمد أنجنك.(١)

وكانت تربطه مع علماء عصره ورجال الدين عموما علاقات جيدة ، فمدح كثيرا منهم ورثى أغلب من مات منهم ، مثل الشيخ الزعيم الروحي للطائفة المريدية في السنغال أحمد بمبه البكي ، وابنه " الحاج محمد الفاضل البكى " و " مسر جاره بص " و " بل بص " و " محمد ابن ألمام عبد القادر " و " الحاج أحمد أنجاى آن " و " الشيخ ابراهيم جوب الأندرى " و " فودى كبه " المجاهد الأكبر ، و " الشيخ سعد أبيه " و " محمد بن المختار اليدالي " وغيرهم .

توفى ذو النون في مدينة " جيس " سنة ١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م تاركا وراءه ديوانا ضخما يضم معظم أشعاره.(٢)

---

(١) الأدب السنغالي العربي جـ١ ص٢٣٧ بتصرف.

(٢) يوجد هذا الديوان في "ايفان" المعهد الأساسي الأفريقي بالسنغال .

ويعتبر ذو النون من أكثر شعراء العربية بالسنغال أصالة في الشعر . .

ويمتاز أسلوبه بالجزالة وجودة السبك وحسن النظم ، ونجده في المديح خاصة وبقية الأغراض عامة يمتاز بالتدفق والسماحة والسهولة وابراز علاقة الود بينه وبين الممدوح . . ويقف على الأطلال ويركب النياق ويقطع الهواجل ويأتي في ذلك بمتوعر الألفاظ مما يدل على سعة معرفته بأوابد اللغة وكثرة محفوظاته من الشعر العربي القديم ومدى تأثره بهذا الشعر القديم الكلاسيكي . .

مختارات من شعره :

. . في مدح "الشيخ الخديم أحمد بمبه البكي" :

مغنى سعاد عفته هوج العثير
وسقته واكفة الغمام الممطر
والعين ترفل في مراقد حورها
ترنو الرياض بكل طرف أحور
وترى مهاها البيض ترعى روضة
مطلولة نمصت ببطن محسر
أطفالها يمرحن في أطلالها
فكأنها في الشعب شعب العرعر
أوعالها تستن في أوعارها
ترعى خزاماها وغض الأزهر
وترى قلائص في تياثر آلها
فكأنهن سفائن في أبحر

غزلانها تقفو مدى ظلمانهـــــا
ان راعها صبحا زئير غضنفـــر
فالشوق لو زار الخلي أقلـــــه
نالته منه كسرة لم تجبـــــر
فالشوق سهم للمشوق وسمـــه
لو مس آساد الشرى لم تـــزأر
قد كنت مبتدأ وغيرى في الهـوى
خبرى ومعرفة غدت لم تنكــر
أنا والهوى صبّان حالت بيننـــا
محن تترجم حالة لم تســـطر
من لي بروءية من أحب وحالتـي
أدهى فعالا من لقـاء الفيلقـــر
أعرض فوءادى هيض عن طلل عفـا
لم يبق فيه سوى المهى والجـوءذر
وذر الربوع ومن بها قد حل مـن
غيد عليها كل ثوب أخضـــر
فتقوق أوجهها البدور وتـزدرى
نفحاتهن بكل مسـك أذفـــر
مهما شدا شاد أملن قدودهـــا
كغصون بان غب ريح صرصـــر
وكرن شـاد يستبيك كشــادن
قد حف بالمزمار ثم المزهـــر

فالحمد مني يستهل غيومــــــه

من يومنا هذا ليوم المحشـــــر

فالشكر مني دائما يزداد ما از

دادت عطاياه التي لم تحصــر

لله رب العرش جل جلا لـــــه

سبحانه من واحد متكبــــــــر

من حيث أطلقني وقيد في الهوى

غيرى وصير أبحرى لم تعبـــــر

كونوا معي في مدح هذا المرتضــى

شمس الفضائل ذى المقام الأكبـــر

ان شئت ذكره وأنث غيــــره

شتان بين موءنث ومذكــــــر

تلقى الورى ان جئت ساحـــة داره

والقوم بين مهلل ومكبــــــــر

فالمادحون على جلالة قدرهـــم

لم يدركوا مضمار هذا الأشهـــر

طولت في مدحي وهم قد قصـروا

شتـان بين مطول ومقصــــر

قد كان عهدى عن جناب أخي الندى

الشيخ أحمد بمبب عدة أشهـــر

فيمينه قد عممت في الجود حتـــــ
ى لم يميــز يعمرا من جعفـــــــر
وله حماسـة ضيغـم ومـــــروءة
فاقـت مروءة كـل ندب خيـــــــر
أما يتيـم عند هذا الشيخ لـــــم
يقهـر وسائل جــوده لم ينهـــــر
حتى غدت منحا اذا عاينتـــــــه
أحبـب به من عـارف متبحـــــــر
ما مثلـه كسرى علا ومهابـــــة
بل دون ماواه جلالـة قيصـــــــر
فبنات نعش دون شسع نعالـــــه
بل دون رتبتـه السهى والمشتـــرى
بل لم يجي حبر بأدنى فضلـــــه
ان راح يزبر رقه من محبـــــــر
هذا كلام صادر من كاتـــــــب
قد قام للفصحاء فوق المنبـــــــر
يطوى وينشر في ميادين اللغـــــى
ما راق عيني منجد أو مغـــــــور
يا ناسجا ثوب المديح وناظمـــــا
فقر الثنا فانظـم لقولي وانثـــــر
وأنـخ قلوصـك في فنائي واستـفـد
منى وراقب سر قولي الأزهـــــــر

من لم يدن لي جال في تيه الهوى
حتى يموت وذنبه لم يغفـــر
كم زيد عن حوض الهوى من عقنى
فالشوق من عرضى يطن وجوهرى
فتريك أقلامي بقاعا روضهـــا
يفتر بين مدرهم ومدنَّـــر
نظما ونثرا يعجبان لمن غـدا
يتلوهما في مورد أو مصـــدر
ما حاك مثل ثياب مدحي حائـك
في رقة المعنى وحسن المنظـــر
بل ما حكى حاك بديعا مثلــه
بل لم يعنعن في ممر الأعصـــر
وترى فوائد في ظروف حروفـه
تبدى ثنايا بائع أو مشــترى
نفحات معناه ونسج بيانــه
كبصيص در أووبيض العنبـــر
ألفاظه طنانة تغنيك عـــن
بدر غدت مكنوزة أو بيـــدر
فلسان حال الشيخ أعلن أنــه
يهمى لهاه لعائل ولموســـر
فالدهر يعلم أنه هو فـــرده
وعلى حقائقه النهى لم تعثـــر

وفيوضه وهبية ولغاته
ماجابها القاموس ثم الجوهري
وبمنكب ضخم يزاحم من مضوا
وهم وفود جمعهم لم يكسر
هذا سمي المصطفى وخديمه
وأمينه في كل سر أبهر
وله من الرحمن سر باهر
فعليه أفئدة الورى لم تخطر
أكرم بحب المصطفى وسميه
وشعاع ياقوت الكمال الأنور
فصلات جودك واصلات عندنا
وندى يديك لأسود ولأحمر

وقال يمدح شيخه " أحمد جنك " :

أيا سيدا قد طال عهدي بوصله
وصرت أعاني ما أعاني لأجله
أخبركم أن الزمان بعيدكم
رماني سهاما من كنائن أزله
طويتم بساط الأنس من بعد نشره
كما كان يطوى قارئ همز وصله
فؤادي في نار الهموم مخلد
ومدمع عيني وبله اثر طله

أراني بقائي بعد غوصي في الفنا
تعلق معنى كل أصل بفضلـــه
بنفسي أفدى نور ذات سهدتــه
يشير الى باب الشهور و فصلـــه
تجلى لطور النفس حرفا فدكهـــا
كلا شيء من اسم الجمال وفعلـه
و نكر حال الدهر قلبا وقالبـــا
وكلفني ما لا أطيق بحملـــه
و قل للذى خلى الهوى لهوانـه
ألا انما عز الهوى بعد ذلــه
فصم صدى من لم ير العز والهـوى
و يصغى الى نصح الخلي وعذلـه
فمن لفتى أودى بمهجته الاسى
وقاض قضاة الشوق أفتى بقتلـه
ولو نال كل الخلق بعض غرامـه
لهاموا وما بعض الغرام ككلـه
فتى قد سقاه الدهر في طي صرفه
جوى وكساه خلعة المتولـه
الى شطر هذا الشيخ وجهك ولّه
وسنّ حسام المدح من بعد سلـه
ودع عنك أيام الصبا وادكـاره
و دع ذكر حيّ بالعذيب وأثلـه

ورض طرف شعر للمعاني وعج بـه

الى منحنى حزن البيان وسهلـه

يمج بديعا كالجمان نفاسة

مقادا بحبل الوزن من بعد فتلـه

يريك رياضا رقة وجزالة

على طرفي عقد الكلام وحلـه

وصف جانب الأستاذ قس زمانـه

سبيكة نور الفيض حزيت سبله

اذا اشتغل الأقران بالمال والغنى

تراه وجمع العلم أكبر شغلـه

وكم من عدو جامد جامع الخنى

فبلّ بحلم الشيخ من داء غلـه

وعلج (١) كعجل غلظة وفظاظة

فلاينه حتى استفاد بوصلـه

أعد جحيما للعدو اذا دعى

نزال وللشاوى نعيما بنزلـه

وكم ماتح وافى قليب رجائـه

فأدرك ما قد سره ملأسجلـه

---

(١) علج : غليظ الطبع .

بكائية في صديقه ...

نشاطر الورق في أشجانها فغدت
دموع أعيننا تنصبت كالقرب

ياناعيا قد نعى هذا الامام فقد
نعيت صنو اللغى والنحو والأدب

من للقوافي التي تحكي اذا برزت
مباسم الروض أو كأس ابنة العنب

من للوسائل والاحسان للقربا
من للوسائل والأحكام والخطب

تبدى جزالة ألفاظ مشعشعة
كماء ورد اذا ما شيب بالضرب (١)

في كل معنى لطيف دق مدركه
أصفى وأعذب من لثم ابنة العرب (٢)

أمست تدب دبيب الراح ان تليت
للمستهام فيكسى حلة الطرب

يجيد حل المعاني المشكلات كما
يجود بالفضة البيضاء والذهب

تراه يفصح عن تحميد خالقه
ما ليس يفصح عنها ألسن السحب

---

(١) الضرب : العسل الأبيض .
(٢) العرب : الكثير من الماء الصافي و المراد هنا : الخمر .

تاج لتيجان أهل العصر قاطبة

سمح الخليقة حبر طاهر النسب

فكم وكم زمر أموا منازله

فأصبحوا لكمال الأمن في رحب

آسي لذى سقم واسي لذى يتم

كاسي لدنى عدم دراكه الطلب

شاف لذى وصب كاف لذى حسب

كاف لذى قرب يا أعجب العجب

قد كان مستغرقا أوقاته أبدا

في ربه وبه استغنى عن اليلب

من للرغائب بل من للغرائب بل

من للفنون ومن للبحث في الكتب

من للصلاة لدى مختارها أبدا

وتاليبها ومن للشكر حين حبى

من للسلوك الى البيت الحرام على

نجب كفلك وفلك كن كالنجب

من للصلاة على المختار من مضر

من للنوافل والأذكار والقرب

ومن يزحزح عنا الكد ان عرضت

بوائق الدهر في أعوامه الشهب

قد كان أجرأ من ليث وأجود من

غيث يفيض بلا شك ولا ريب

ان جاء منزله ضيف وضيفه
يفتر عن مبسم براقة الحبب
سحائب العفو من مولاه تغمره
فضلا وتكسيه من أبرادها القشب
لو كان يفدى فديناه بأنفسنا
والأهل والآل والاخوان والنشب
قد كان يعبأ بي في كلما أربى
وكان خير أب لي بعد موت أبي
اني أعزى جميع المسلمين على
وفاة سيدنا علامة الحقب
الحاج أحمد انجاى المعتلى حسبا
بقية العلماء الكمل النجب
فما لنا بعده الا الرضى بقضا
ء الله بارى البرايا كاشف الكرب
والله يرحمه فضلا ويستره
بحرمة العرش والكرسي والحجب
وبالملائكة الغر الكرام وبال
مختار خير الأنام الهاشم العرب

صبابـة ..

لمن باللوى والرقمتين مغانـي
عفاها سحاب دائم الهميـان

مغان بها القينـات يلهي كرانها
مثالثها مشفوعة بمثـان

فرقرقن ألحانا وأرقن أعينـا
وأنزلن كل الشوق كل جنـان

معازفها تشجي القلوب رنينها
فتهتز أغصانا قدود غـوان

ودمعي قبيل اليوم أبيض ناصـع
ولكنه في اليوم أحمـر قـان

يقولون لي ذر من هويت فانني
وربي مالي في السلو يـدان

ذوات الوجوه البيض والأعين التي
أشد بقلبي من وقوع سنـان

يقول عذولي حين رق لحالتـي
ودمعاه من عينيه ينهمـلان

هوى قد رأيناه هوانا بعينه
وما الشوق الا في هوى وهـوان

هوينا فهنا حين بانوا وانهم
قد استوطنوا مني أعـز مكـان

رأيت فؤادي دائم الخفقـان
ودمع جفوني دائم السيـلان

رأينا الهوى عين الهوان فأصبحا
قد اتحدا في الوصف والسريان
وما ضم مثلي في الصبابة والهوى
ظروف مكان أو ظروف زمان
وما الشوق الا من معاني حقيقتي
وما العشق الا من بديع بيان
أنا واحد الآحاد في كل مشهد
يصان من الأشواق والهيمان
فشؤبوب حالي دائم الفيضان
وخيل علوي دائم الذلان
دمي ثم دمعي يجريان صبابة
وسرى كمثل البرق في البرقان
أيا من يباريني ولم يدر حالتي
فاني شامي وأنت يماني
وما أنا الا الشمس في عالم الهوى
ويعلم قاص ما أقول ودان
معان غدت تلهي قلوب ذوي النهى
تريك ابتساما باهر اللمعان
تراهم سكارى ان ذكرت خصائصي
بغير كؤوس صففت ودنان
هم القوم لا زالوا بحورا لسائل
فشأوهم قد كل عنه لساني

لقد وقعت منى فنون هواهم
وقوع سنان في حنان جنان
أفاض علينا الله جل جلاله
بهم غيث ايمان وغيث أمان

أطلال ..

عفت لسعاد من يبرين دور
على أطلالها أسفا نذور
وقد كنا بها والعيش صاف
وكاسات الهوى كنا نذير
تجيب الصاهلات كران شاد
يرن لنا كما يتلو الزبور
وعهدى عن مساكنها الخوالي
لها حجج وتتلوها شهور
فأمسى الربع لم يؤنس طمسا
به الا نئيم أو زئير
ولم يسمع لذى الأطلال الا
عواد أوبغام أوصفير
يقول لسان حالي حين بانوا
ولم يبق الشفاء ولا الهرير
فأين هنود هاتيك الغناء، بل
وأين أولئك الجم الغفير

كأن الدمع مذ غابوا وغبنـــــا
لفرط الحـزن بيـر أو غـديــــر
بعيد ورودهم صدروا وكم مـــن
ورود بعده يتلـو الصـــــدور
رعى اللـه الأحبة حيث كانـــوا
فيسقى جمعهم ماء نميــــــر
لقد نظمـوا قصائدهم عقـــودا
فدان لهـــم فرزدق أو جريـــر
أرى روادها الوارد روضـــا
أريضـــا ضمه مرعى مطيـــر
لقد طابوا نفوسا حين كنـــا
لهــم ندما وخارونا وخيـــروا
نرى الأيام أعيادا ترينــــــا
هناء لم ينلـــه أردشـــــير
لقد آروت مرابع تى المغانــــي
روابعها فأشـرقت القصـــــور
فمالت في خمائلهـــا غصـــون
وغنـت في جوانبهـــا الطيـــور
وأرسلت السماء مثعنجـــرات
فتبسم من حواليهـــا الزهـــور
فمن لي بالوصـول الى غـــوان
كأن وجوهـن سـنا بـــدور

بدور في الخدور وكم بدور
تروق العين ضمتها الخدور
شعور كالشعور اذا تدلت
لقيل اذن شعار أم شعور؟
وكنت اذا ذكرن اسمى كأني
مليك أو أمير أو وزير
عسى أن يجمع المولى تعالى
جماعتنا هو المولى القدير
عسير مثل ما نرجوا ولكن
عسير عند مولانا يسير
فسوف تفى مواعدها جياد
فتطوى لي السهول وكذا الوعور
فتبتهج القلوب اذا وصلنا
أما كننا فتفتر الثغور
فتركض في الغيافي والموامي
وتندك الجنادل والصخور
وانجاز الوعود غدا فروضا
لعيس لا يغيبها الفتور
كأن البيد لما أن رحلنا
قراطيس وهن لها سطور
لقد خاضت سفائنها غمارا
فساعدها الجنوب أو الدبور (١)

---

(١) الدبور : الريح التي تقابل الصبا والقبول .

ويطوون المراحل في الصحارى
فتذرع دوها (١) عير فعير
تراها كالصوامع ان ركبنا
ذراها فانحنت منها الظهور
ولا تشكو ولو طالت وجاها
وأعمت مقلة الحربا الهجير
فتاتي لو رأتنا يوم بنا
لتعلم أنني الجلد الصبور
تسامرني أمور في هواها
تكل له القوافي والبحور
لقد لفظت بي البيد البوالي
فها هي لا تزور ولا تزار
فتاة غضة لو كنت زيرا
لزرت جنابها مع من يزور
فها هي من نفور قد تولت
وعادات الحسان هي النفور
رأتني غير مأسوف عليه
فخامر خاطرى أمر خطير
أروح كأنني من فرط حزن
أسير أو كسير أو أجير
أيا ابنة مالك اني مشوق
اليك وأنت للعينين نور

---

(١) الدو : الفلاة المستوية .

صحابى لا تقيسوني بغيـــــرى
أيحسب من يطير كمن يسيــــر
يسير بشوقه قيس وانـــــــي
على علات أشواقي أطيــــــر
وكم ليل تظل به نجـــــــوم
وتحت ذيوله مطر غزيـــــــر
يضل سواد عينك في رجاهــــا
فلا يهدى اذا ضل الخفيــــر
أشق ثياب غيهبه كأنـــــــي
على حافاتـــه شـــرر يطيــــر
فتاتي انني لك جد صـــــب
عشوق والعليم به خبيـــــــر
ويعلم ما أقول الخلق طـــــرا
ويعلم ما أقول سعيد نـــور
لقد قاسيت بعدك من شجــون
يذوب لخوف وطئتها ثبيـــــر
سأمنح قادما منكم اليـنـــــا
جواهر لا يجود بها البحـــور
سفائن جئن منك لهن منـــي
نفائس دونها الروض النضيـــر
أيمكن لي العبور على بحـــور
عراض ليس يقطعها العبـــور

أقول وعينك الحوراء عبــــرى

أهذى عبرة أم ذا عبيــــر

أماوالراقصات الى المعلـــى

وما حوت المباسم والخصــور

وما للغيد من وصل مـــروم

وصد دونه يعمى البصيــر

لأنت حياة روحي دون ريب

وذكرى القلب ان أزف المسيــر

سمي أبي لديك فحـاذرى أن

تخاشنه الاذية اذ تطيــر

اذا رخمت نونا من هوانــي

يكون هوى فيحصل لي الســرور

اذا ما القينة الشنباء غنــت

غدت أوتارها شجني تثيــر

بأيدى فتية قد أنستنـــى

فأنستني الخطوب اذا تــدور

فأيام اللقــاء لنا جنـــان

وأيام الفراق لنا سعيــر

بدا فتيانهم وهم أســـود

تصيد وهذه الفتيات حــور

على لباتهن عقود در حرائر جل كسوتها حريــر

حماســــــة ..

مالي أخــاف العيو ن النجل ان نظرت
وانني لا أخاف الفارس البطـــــلا

جماعة الشعرا يوما ان اجتمعـــــوا
فانمـا علمي فيهم أنا ابن جـــــلا

كم منكر رام نقصي حين يسمع بي
لما رآنـي اليه مقبلا قبـــــــلا

ولا أرى من عدو شاتم سفهـــا
الا و ذل بعـو ن الله وانسفـــلا

ولا أبالي اذا ما الهو ل يطرقنـــي
لطارق طار فوق الجو أو نـــــزلا

ذات القوافى ..

شـبابك فـر و شـيبك قـــــر
وعمرك مـر فأيـن المفـــــــر

ذيـولا تجـر كأنـــك عمـــــر
وعيشك صبر و خيرك ضـــــــر

تهيم لبكر لـدى أنـت بـــــــدر
و ريقك خمر و ثغـــــرك در

للهـو تخـــر ومالـــك فكـــــر
و حلــوك مـــر كأنـــك غـــر

فعامـــك شهـر و قلبك صخـــر
و ذنبا تســر و سـرك شـــر

فطورا تغر كأنك هـر
وطورا تضر ككلب يهر
وأنت تسر لأمر يضر
ولست تقر لهذا المقر
ولا تستقر لهذا الممر
ويكفي لحر شعير وبر
ومن هو حر جميل السير
لكان يفر لهول سقر
أدر قلب بر بوجه أغر
هوى قلب فر عنى فى صرر
دموعا تدر لحزن يتر
كصخر أبر أرتنى العبر
بروض يمرّ سحاب مدر
به ما يسر لأهل الفكر
فطورا أجر وفى السر حمر
وفي القلب حر كوخز الابر
جديد كطهر ونظم كنثر
وترب كتبر لقوم غرر
وحبر كبحر وسر كجهر
وطي كنشر لمن يدكر
ازل كل كبر ونزّه وكبّر
إلـٰهك واشكر لتالي الخبر

وهندى كمر وبسر كمـــــــر
ونهي كأمر لمن قد كفـــــر
ومن يكفهر دواما كنقـــــدر
كن يقشعر أسى للقـــــدر
يضر مضر وفي القلب مكـــر
ولم يك أمر لمن قد غـــدر
وكن من يغر لما فيـــه وزر
وذل وفقر شعار المصـــر
شبابك طهر وذا الرجز فاهجر
ورافق وشمر قبيل السفـــر
وبحر كبر وليل كفجـــر
لمن هو حبر بدا أو حضـــر
دواما ندر صـلاة تقـــر
وعينا تمر لخير البشـــر
وآل نسر بهم ويـــدر
لنا كل بر وصحب وصبـــر
تقاصير شكر موائد بـــر
برائد نصر لمن يا تمـــر
ويردى طمر مكر مفـــر
بكل أبـر عليـه غـــدر
مدارس سر جحاجح غـــر
فللـه درهم مـن درر

كواكـــب زهـر مـــوارد فخـــــر

مصـادر ذكـــر مـن المقتـــــدر

لهـم كل بـــرلـه طيـب نشـــــر

بـــه يسـتمر لكـــل البشـــــــر

القاضي مجخت كل :

ولد مكل بن موسى الذى اشتهر فيما بعد بالقاضي" مجخت كل " في قرية " كرمكل " وقد نزحت أسرته من " انجامبر " واستقروا في القرية المذكورة .

نشأ وترعرع في كنف والده ، وتثقف عليه ويعتبر والده هو شيخه الوحيد .

وكان والده أول من أتى بعلم النحو الى " باكل ".[1]

وبعد أن طرشاربه انتقل من قرية جده " كرمكل " وأسس قرية سماها " عين ماضي " وكانت بينه وبين ملوك السنغال علاقات وطيدة مثل الملك " دميل لتجور جوب " الذى عينه قاضيا في بلاطه ، وقد أظهر في هذا المنصب براعة نادرة . وكذا الملك " علبرى انجاى " و " بَوْر سِسَنْ ".

كما تربطه مع شيوخ وعلماء عصره الأكابر علاقات ودية . مثل الشيخ أحمد بمبه تلميذه والشيخ الحاج مالك سه والمام قابه جخ والشيخ أحمد شيخو التجانى المجاهد الباسل والحاج ماجور سه وكذا الأمراء المستعمرون .

---

(١) الأدب السنغالي العربي جـ٢ ص ٢٨ .

القاضي والقضاء :

يقال ان سبب تولية " لتجور" له القضاء هو أنه دعا له في بعض حوائجه ،فاستجاب الله لدعوة القاضي ،فأراد " لتجور" تقريبه اليه وجعله من خاصته فأولاه القضاء .

ومن أشهر أعماله القضائية فتواه بوجوب دفع الزكوات الى "لتجور" وذلك عقب عودته من " سالم" بعد وفاة الملك " تفسير مابه جخ " واعلانه نفسه أميرا للمؤمنين في " كجور" فامتنع كبار العلماء عن دفع الزكوات اليه فقاضهم الى القاضي " مكل جخت " وكان قضاؤه أن قال :

" اني قرأت في الكتب أن الزكاة تدفع للامام ".

ومن أبرز مواقفه القضائية التي تنم عن قوة شخصيته امتناعه عن دفع الزكاة الى الملك " دمب وارسل " فقد أرسل اليه ذات يوم جابيا لجمع الزكوات فقال القاضي للجابي : قل لدمب وار لا أوتيه الزكاة واني لساع في منع النهب والسلب باسم الزكاة . وفي ذلك نظم قصيدة عربية وَلْغِيَّة مطلعها :

يا حاجبا ساكنا حيث الأمير سكن
وَقَلَمَ توبِّ فبور ب تَيِّب أكسَبكَن (١)

ثم ذهب بالقصيدة الى الحاكم الفرنسي في "سان لوى " فمنع هذا النوع من السلب وأكد في المنع. (٢)

---

(١)
(٢) الأدب السنغالي العربي ج٢ ص ٤٩ .

ومن مواقفه القضائية ما ذكر من أنه (١) : " ترافع اليه رجـــــلان ذات يوم فأقام أحدهما الدعوى على الآخر قائلا : فإنّ لي دَيْنا علـــى صاحبي هذا وفي وقت كذا تحت ظل شجرة كذا ، والآن أنكر عليَّ الدَّيْن . فقال القاضي لصاحب الدعوى :

اذهب الى هذه الشجرة وارجع إليَّ بغصن منها ، أما أنت الذى أنكر هذا الدين امكث هنا وابق وانتظر ، ولما خرج صاحب الدعوى خطـــا القاضي معه بعض الخطوات ورجع الى مجلسه . وقبل رجوعه الى مجلسه همس صاحب الدعوى " لا تذهب بل انتح زاوية وانتظر ، ولما طال الانتظار قال القاضي بغتـة :

ان صاحب الدعوى لبطيء لم يرجع الى الآن ، فقال من بقي فـــي المجلس : لأنّ الشجرة لبعيدة جدا ، فصاح القاضي نحوه " قد اعترفـــت بالدين وأقررت بأن صاحبك صدق في اتهامه اياك وأن له دينا عليـــك انعقد أمام شاهدين ، الله والشجرة ، ثم دعا بصاحب الدعوة فقـــال له : " لقد صدقت فالديـن لك ". (٢)

ويمتاز القاضي بالذكاء الحاد والشجاعة الأدبية ، والجرأة والفصاحة وحضور البديهـة وصفاء الذهن والعقلية القضائية والحرية العقلية والاعتـــداد بشخصيته العلمية والأدبية ، وكان يحب التحرش بالعلماء ومناظرتهم ومساجلة الشعراء . وكان نابغة زمانه في العلم والأدب والقضاء .

---

(١)

(٢) الأدب السنغالي جـ٢ ص ٨٣ .

وقد عاش القاضي في بيئة تعج بالقضايا السياسية التوسعية التي أدت الى حروب بين الملوك السنغاليين من جهة وبينهم وبين الشيوخ المجاهدين من جهة أخرى وبين المجاهدين والمستعمرين من جهة ثالثة : مثل جهاد " ألمام مابه جخ " وجهاد " أحمد شيخو " الذى حارب المستعمرين وقاتلهم قتالا مستميتا ، وكذا غزوات " دميل لتجور " التي كان الكثير منها من وحي القاضي الى هذا الملك الذى أولاه القضاء وجعله وزيرا وكاتبا ومستشارا له.

وقد أوحى اليه القاضى بحروبه تلك لهديه الى الاسلام ، وكان "لتجور" مدينا للقاضي في أغلب انتصاراته .

ويبدو أن القاضى قد خاب ظنه في لتجور وخيب أمله في اتجاهه الوجهة الاسلامية المطلوبة. لذلك فقد رأينا القاضي المستشار يشمت بلتجور عندما هزم من قبل الجيش الاستعمارى بقصيدة رائية مطلعها :

أصادق في ادعاء الدين "لتجور"

أم انما همه في ذاك " كجور "

وما أن سمع " لتجور" بهذه القصيدة التي تفضحه حتى توعد وهدد وعرض القاضي للقتل . ولم يكن القاضي ممن ينقصهم الذكاء حتى يقع في شرك " لتجور " فقد شفع قصيدته تلك بقصيدة أخرى أشاد فيها ببطولة " لتجور" وجعله ناصرا لدين الله في "كجور" وهازما لجيوش أعدائه ، فقال في مطلع القصيدة :

بشرى لقد شاد دين الله لتجور

فأحيي اليوم بالاسلام " كجور "

ولما قتل " لتجور " طلب القاضي من الأمير الفرنسي العودة الى "كجور" . وفي ذلك يقول أحد الباحثين : " كان " مجخت كل " الشيخ الشهير مستشارا حميما للتجور وشيطانا مهلكا ".

وقيل انه لما قبل القضاء من "لتجور" كان يريد أن يجعل ظلم " جيدو " وقسا وتهم وهمجيتهم بعيدة من حدود الله ومبادئ العدل والمساواة والاخاء الاسلامية ، وان سعي القاضي في الرجوع بـ "لتجور" الى اقامة حدود الله قد لاءم المستعمرين لأسباب أمنية وتجارية. (١)

القاضي والولاة المستعمرين :

حذر المستعمرون من ذرابة لسان القاضي وتأثير قريحته التي طالما أيّد بها ملوك البلاد مثل "لتجور" و"علبرى انجاى" بمدائحه لهم ومساهمته الفعالة في الحروب التي دارت رحاها بينهم وبين الغزاة المستعمرين .

وقد عدوه زعيما دينيا ذا مكانة عالية وكلمة مسموعة ، وهم من جربوا مرارة القتال مع رجال الدين في هذه المنطقة ، مما جعلهم يضطهدون كل زعيم ديني .

وقد حاول الفرنسيون اكتساب ولاء القاضي فعينوه قاضيا فخاب مسعاهم . فاستدعي القاضي الى " سان لوى " وهناك حددت اقامته ، فاحتج على ذلك بقصيدة ، الشطر الأول من كل بيت باللغة العربية

----

(١) الأدب السنغالي العربي جـ٢ ص٥٧ .

والشطر الثاني باللغة الولفية ، وألقى القصيدة أمام الحاكم الفرنسي . يقول في مطلع القصيدة :

هل من سبيل الى داري وساكنـــه

بَيوَلا دِ وَخْ وِيِمَه يوَمَن فِتل كُبِيِّيَـــه

وقد عثر في الوثائق الوطنية السنغالية على خطاب القاضي الــى امير " أندر " في ١٤ من شهر تشرين الثاني سنة ١٨٨٦م يقول فيها : لم تمنعني عن الرجوع الى داري ؟ عشت عابدا الله وحده معلمـــا تلاميذي وأولادي حارثا حقولي .. طلب مني " لتجور " أن أكتـــب رسالاته الى والي " أندر " ورسمت كل ما أملى علي بلا زيادة ولانقصان . لا فعلت سوى ذلك فلم أك مرتكبا شيئا من السلب أو السرقة وما ظلمـت أحدا ، وانما أنا قاض بين الناس بالعدل لا غير". (١)

ولم نطلع على جواب من أمير " أندر " على هذا الخطاب .

ومهما يكن من أمر فإن القاضي لم يكن منعزلا عن أحداث مجتمعـه السياسية .. والاجتماعية والثقافيـة .

لقد عرف القاضي بسعة علمه وعلو كعبه في الفقه والأدب والتصوف.

ولم يأخذ عنه العلم الا قليل من طلبـة العلم ذوي الهمم العوالي والعزم الأكيد ، لما عرف عنه من تشديد في مسلكه التربوي والتعليمـي الشاق ذي ثلاث شعب .

---

(١) الأدب السنغالي العربي ج ٢ ص ٦٢ .

فهو يعتني بالطالب من الناحية العقلية والنفسية والدينية ، وقلّ من بين طلبة العلم من يتحمل هذا السلك المثلث في التربية والتعليم، وخاصة اذا علمنا أن هذا المنهج التربوى الجيد يخالف ما درج عليه معاصروه من العلماء الذين يهتمون فقط بإلقاء الدروس على الطالب و يهملون ما سوى ذلك ،ولذا لم يكثر تلامذته غير أن القليل الذين تحملوا أعباء منهجه كانوا جميعا من الشخصيات البارزة في مجال الأخلاق والعلم والزهد والتربية ،و يكفيه فخرا أن من تلاميذه الشيخ الخديم أحمد بمبة الزعيم الروحي للطائفة المريدية في السنغال ،والذى عرف عنه الذود عن حمى الدين والذى أقض وجوده مضجع المستعمرين رغم أنه لم يكن مجاهدا بالسيف .

وقد خلف القاضي لنا آثار علمية ،منها كتابه في علم اللغة والذى سماه " العين " ،وقد ضاع هذا الكتاب في مدينة " جيس " السنغالية. كما ترك لنا منظومة عروضية تتألف من أربعة وثمانين وثلثمائة بيت على بحر الرجز سماها : " مبين الاشكال " ذكرنا نبذة من أبياتها في الشعر التعليمي .

كما خلف لنا ديوانا سماه " مكلية " ويحتوى على خمسين قصيدة وهو الآن عند العلماء الموريتانيين ،كما ترك لنا قصائد ولفية و أخرى عربية ولفية . (١)

---

(١) راجع كتاب الأدب السنغالي العربي جـ٢ ص ٥١ .

ويمتاز القاضي بشاعرية نادرة ، كما يتسم شعره بالتدفق والانسياب والتعبير التلقائي السهل ،كما تتسم ألفاظه بالسهولة والرقة والبعد عن الاغراب والتكلف مع سلامة التراكيب وجودة النظم .

مختارات من شعره :

" كشف النقاب "

أصادق في ادعاء الدين لتجـــور
أم انما همة في ذاك " كجـــور "
مروه يذعن ويخضع للملوك معـــا
وهل يراز النصارى البيض مقـــدور
ما اهتم مذ شب الا باحتساء طلا
حتى مضى يومه المعروف في "لور"
اذ جاء ، عسكر " افليز "[1] قائدهم
فيهم "كمندا " و "كبتين " و " دكتور"
وهم ينادى بأسماء المجوس الــــى
أن جاء " لستر" و " دركن " ثم " ماجور"
حتى اذا اجتمعوا طرا رموا فرمـــوا
بكـنّ[2] فافترقوا والجيش مكســـور

---

(١) افليز : اسم قائد فرنسي .
(٢) كـن : مدفعية فرنسية .

وهم يقولون ماذا الرعد حل بنــــا
حيث الرصاص مع البارود منشـــور
وأننــا لا نرى الا هزيمتنـــــــا
فجل جيشك مقتول ومأســور
فثم ولوهم الادبار فانهزمـــوا
بالذل فادعوا الاسلام في "جور" (١)
وظن أن له منجا ومعتجمـــــا
اذ صار "جور" له سكنى وكوور (٢)
فجاء بالدين حلق الرأس عمدتـه
هل ذو حلاق بغير الحج مأجور
حتى لقوه لدى يوم الخميس ضحـى
في "لوك" (٣) أيضا كلا اليومين مشهور
مثلا بمثل فقد حل الغدير لهـم
من بعد تحريمه اياه والبيـــر
فللنصارى شئون من عجائبهـــم
فلا تقل عوض ان أخبرتهـــا زور
لله درهم في كل معركـــــة
أميرهم مستطير الشر محـــذور
فهل أمير نحييه "بدو" و"جمـم" (٤)
بل التحية فينا اليوم "بنســور" (٥)

---

(١) جور : قرية .
(٢) كوور : قرية .   (٣) مدينة في السنغال .
(٤) وم وجمم : كلمتا تحية بمعنى : هل أنتم بخير وعافية .
(٥)

" في مدح " لتجور " بعد الوفاق " :

بشرى لقد شاد دين الله " لتجور "
فأحيي اليوم بالاسلام " كجـور "
تلفيه يأمر بالمعروف عسكـره
كأنما جاءه من ربه النـور
وهل ترى ناديا فيه تمربـه
الا ويسمع تهليل وتكبيـر
يروع أفئدة الأعداء كتائبـه
كأنهم غنم للأسد مذعـور
فليدخل الناس طرا في طريقتـه
طوعا والا فسيف الموت مشهـور
علام قال النصارى " لا يزول لنـا
ملك - وهـل قيلهم الا أساطيـر
مار النسور مرارا والضباع معـا
منهم وهل جمع أهل الشرك مكسور
ما زال يضربهم بالبيض يطعنهم
حيث الرصاص مع البارود منشـور
لم يشتك الجوع من نسر ولا ضبـع
الا وهامهم في البيد مجـرور
أقام سبعة أعـوام يبارزهـم
حتى رأوا أن جند الله منصـور
فحاولوا السلم منه قائلين لـه
" لك البلاد فهذا خذه " كجـور "

تالله ما سلموا الا لما عهـــــــدوا
أيام لاقوك في " كونكول " وفي" لور"
و"لوك " بعد "مخٍ" فالسلم موجبها
لم يخف أنك ياضرغام محــــــذور
فلا يسوءك مدى الأزمان أنهـــــم
فاجوك في " مخٍ " الثاني وفي " لور"
كم حاربوك حروبا لاتطيب لهــم
نفسا وأنت قرير العين مســــــرور
خالوك منزعجا إذ غبت ذا بعـــــد
وإن ذاك من الأكباش تأخيـــــر
ومن " منداخ " جمعت الخيل يركبها
مرد علامتهم حلق و تقصيـــــــــر
مثل الجراد بهم غص الغلاء وقـــد
غاظوا وفاروا كما قد فار تنّــــور
يبادرون حياض الموت قاطبـــــــة
شم العرانين أبطال مشاهيـــــر
ينازعون جيادا في أعنتهــــــــا
ترنو إليهم نساء الجنة الحــــور
يمشي المشاة أمام الركب واحتفلوا
أقدامهم تشتكيها التل والغـــور
لهم غبار يكاد الجو ممتلئـــــــا
منه اذا قلت فيهم آمرا "سيروا "

سيّرتهــم فأجدّوا سيرهم واتــــى

بهــم سُرى ثم إصعاد وتهجيــــر

يقودهم عمك المختار محتزمـــــا

كالليث ذى اللبد الشاكى أظافيــر

وقد تلقاك بالتأمير أهل نهـــى

إذا مقال النصارى "مِرْس لتجــور"

لله درك من جمع قوائلـــــه

باقى الثناء ليوم الدين مذكــور

هل تغضبن لقصيد قلته وجـــلا

عند العدى إن ذا الأوجال معـذور

لم أدر هل أنا تيس في السباع اذا

أم أننى في يد الصبيان عصفــور

والله يعلم أنني لم أكن أبـــــدا

أهوى أناسا أحبيهم "ببونـور"

وما "كمندك" و"كبتين" لديّ ولا

"سرسان" ولا "كولونل" الا اليعافير

ولا "التلايور" ولا "السندرمر" معهم

"كبلار" قائدهم الا خنازيــــر

وهم جحاش أتان بيننا نهقـــت

اذ أحدقوا لتداويهم ب"دكتــور"

حمدا اذا ما النصارى أخرجوا فلنـــا

من بعدهم لديار الدين تعميـــــر

أخرجتهم بحروب ذكرها أبـــدا
باق بقاء جبال الأرض مشهـــور

*

" تحذير من الاختلاط والبدع " :

فتب الى الله توبا خالصا حسنـــا
لازم حياتك يا باغي الهدى السننا
ومن أتى غير مسنون فقربتـــه
مردودة شرُّرٌ كلما علنــــا
فصار ذا الدهر من لم يأت من بدع
فهم يقولون هذا المرء قد رعنـــا
وان أشرت الى ترك ابتداعهـــم
تكن لهم صدقا اياك والحزنـــا
هر الكلاب فلم يولف له ضــرر
والله حافظ من يهدى لما حسنـا
نعوذ بالله من عبد يحلل مـــا
قد حرم الله مكر الله قد أمنـــا
وباعدوا بين أنفاس الرجـــال وأنـ
ـفاس النساء كلام صدقه متنـــا
تالله دين أتى رفع الخرائد من
أصواتهن بمندوب لقد زمنـــا
من بعد ما كان في المفروض ممتنعـا
ان الشياطين يوحى بعضهم فتنـا

فما الدليل لمن يأتي الجـوازبـذا
الا التمرد والاتباع من شـطنـا

لأنْ تحريم ذاك الرفع أظهر من
شمس الضحى كل آفاق فلا تهنـا

لنا الأدلة لا يحصى لها عـدد
آى حديث واجماع ذروا الفتنـا

ان الشريعة ما ترضى وما قبلـت
بشاهد وامام أهلـه أذنـا

الى الخروج لهذا غير معتـذر
وراجعن كتب الأعـلام والأمنـا

اهانة الشرع والتعظيم ما اجتمعا
خافوا اهانة هذا الدين يا فطنا

بدا غريبا كما قال النبي بـه
وعود غربته قد كان معتلنـا

كفى من القبح اذ لم يأت فعلهم
دين النصارى يهود فاتركوا الددنا

لولم يكن غير تحقير الأجانب من
طوائف ديننا يكفي لنا الوهنـا

وهم يظنون جهلا أن يثيبهم
مولاهم وهو ذاك الجمع قد لعنـا

بالله والله تالله العظيم فمـن
أعانهم نال ما للّعن مفتتنـا

وكل من سكتوا في ذا وقد قــدروا

تغيير اثمهم في الشرع ما كمنـــا

ثم الصلاة وتسليم الاله علــــى

هادى الخلائق "آل صحبه الخدنا

أحمد عيان سـه :

ولد "بأندر" في ١٧ من شهر نيسان سنة ١٩١٣م .
وأبوه عثمان سه وأمه السيدة آمنة جلو ..

وقد تثقف على والده في علوم الدين ، كما درس على المعلم "مودآج" كثيرا من علوم الدين ، ثم درس التصوف على والده وأخذ منه الورد التجانى . وقد درس الشعر والعروض على يد السيد محمد عبدالله بن فقا الدوءلي الموريتاني . (١)

ويعتبر شاعرنا من فحول شعراء العربية المعاصرين في السنغال ، ويكاد يقف شعره على المديح النبوى والمديح عموما ثم الرثاء فالقضايا الوطنية والاجتماعية .

ويمتاز شعره بالتدفق والسلاسة وجودة السبك وحسن النظم وحيوية التجربة وصدق العاطفة بعيدا عن التكلف والتقليد .

*

مختارات من شعره :

" مسمطة نبوية " :

مالى غزال لحظ الغزال
أخو الدلال برح الخيال
رد السلاما لنا وقاما
يبدى ابتساما مثل الهلال
لكن جفاني لما رآني
في الحب عاني بادى اهتلال

---

(١) الأدب السنغالي العربي جا ص ١٣٣ .

صبرى تهاوى عن وصل آوى
فلن أساوى منها بحال
مثل الكثيب مثل الخطيب
وللحبيب بلا نوال
مهدى الأيادى دأبا يدادى
مغنى الأعادى يوم النزال
عالى المنار باذ الفخار
مثل النهار وقت الزوال
من يدن منه لم يسل عنه
ان فيه كنه أسنى الخلال
بدر البدور فخر الدهور
مجرى الأمور على اعتدال
ذاك الأمين الكنز الثمين
ذاك المكين بلا جدال
ذاك الرسول البر الوصول
الهادى الجليل عين الكمال
هو الرؤف البر العطوف
له زخوف على التوال
أصحاب طه بهم يباهى
لهم تنهى كل الكمال
أسرى الاله به اصطفاه
على سواه مدى الليال

يا مصطفى يا خير البرايـــــــا
كن ناصرى يا بدر المعــــــــال
الى الطباق على البـــــراق
بلا شـقاق ولا جـــــــــدال
أســـرى فحلا قرب المحـــلا
جبريل ولى دون المنــــــال
فالأنبياء منه استضـــــاءوا
اليه جاءوا في كل حـــــال
صلى اماما بهـــم امامــــا
ثم اسـتقاما لذى الجـــلال
فنال فيه من مصطفيـــــــه
ما يشتهيه من الكمـــــال
أتى بخمس لكـــل نفــــس
تضحى وتمسى مثـــل الـــزلال
فالله الأعلى للذكر أعلــــى
بالليل يتلى وبالـــــزوال
لـه الكتاب المســـتطـــاب
فيه الصواب لكـــل تـــال
هو المراد لمـــــن أرادوا
هـدى وحـادوا عن الضـــلال
هو السلام هو الامـــــام
فيه الحرام مع الحـــــلال

فيه الحقائق فيه الدقائق
فيه الرقائق لذى المعال
فيه العجائب فيه الغرائب
فيه الرغائب لذى السؤال
هو المبين الحبل المتين
به الأمين أخو المحال
هو المنير عذب نمير
به أسير بلا كلال
به عنيت به رويت
به أنيت أخا النصال
به سقيت من اعتميت
به جنيت أهل الدوال
به اكتفيت به احتميت
مما خشيت من الرجال
به أفوق قومى أروف
به الوثوق عند النضال
بسر فزت لما عجزت
لذاك حزت أعلى الكمال
بمدح هادى كل العباد
أرجو الأيادى مع النوال
اني فقير ذنبي كثير
أنت القدير على امتثال

يا ذا الجلال يا ذا الجمال
يا ذا المعال زين فعال
ربي تعالى أرجو اتصالا
منه بما لا يغني بحال

حقق مرادي واملأ فؤادي
بسر صادى خير الرجال
أفض علينا ما اشتهينا
فيضا يرينا أعلى امتثال
وصل ربي على المربي
وذاك حبي طه والآل

*

" حنين الى كولخ " :

ربع ليلى بقنة الريحان
عم صباحا سقاك كل يماني
ما سلونا ربوع ليلى ولكن
طال عهدي بأهل تلك المغاني
لست أنسى ظباء " كولخ " فيها
وظباء القنا وعين عمان (١)

----

(١) مدينة .

وشهورا بها كشهر ربيـــــــع
وسنينا كقـرة النيســـــــان
وبدورا بهـا فتن عقـــــــولا
ولحاظـا بهـا رمين جنانـــــــى
وظبيـا بهـا أغـن كحيـــلا
فاتنـا فاتـر الجفـون سبانـــي
فتـن القلب دلـــه فشـجـــاه
يا لقلبـــي من ذلـك الفتـــان
لا تسلني عن غيرهـا فهواهـــا
بلـغ الحد في الهـوى والهـــوان
وقريض من الحبيـب أتانــــــى
كعقود الجمـان والعقيـــــان
خلتـه للسـيوط قدما جليســـا
رونـق الشعر من بديع المعانـــي
طالما قد شغفت مني قريضـــا
جر ذيلا على قريض الزمـــــان
ان نسج القريض طوع جنانـــي
ولساني وكاغدى وبنانــــــى
وخفيف القريض عندى خفيـــف
وطويل القريض طوع لسا نـــي
آخـذ الشعر من طريق جـــرير
وجميل وعروة وأبـــــان

وسهيل ومعمر ويزيـد
وأبي طيب وشعر الأغاني
هاكها بنت يومها قد تبدت
ربعة القد من رياض البيان

*

" هتفات الى أهل السنغال " :

يا أهل " سنغال " لاعاداكم الزمن
لم لا تسير بكم نحو العلى سفن
فلتشرعوا ساحة الأعدا رماحكم
فلتختلى منهم الأذقان والوتن
بمرهفات كلون الملح ساعدها
في طعنها ساعد ما مسه وهن
جيوشكم يكشف الألباس طالعها
وكل قلب عراه خوفها حزن
يكفي مقدمة الحساد طالبها
ان لاح سيف صفت مرآته حسن
خلاصة سرها الوهاج زورقها
فيها النجاح وفيها الأمن واليمن
سا لك أنبتت وردا ولاح بها
وشي ألح عليه العارض الهتن
ينبوع نيلكم تشفى مواهبه
وعقد جوهركم ما شانه درن

وانما الأحمر الكبريت وصلكم
فعنه ما أن تصان الروح والبدن
وما سامركم يبغى به بدلا
وليس في أمره بخس ولا غبن
فلتبتغوا درر العليا لنخبتكم
نصيحة كلٍّ عن أمثالها لسن
فعلمكم فيه ما يكفيكم ولكم
في أرضكم مستقر واسع حسن
فلتقرؤوا علمكم ولتعمروا بلدا
قد طاب فيه على سكانه المدن
وفيكم كل ندب طبعه سلس
تجلى بطلعته الضراء والشجن
وفيكم خرّد بيض عوارضها
سود الغدائر في أصواتها الغنن
والناس في كل فج لا تزال لكم
تحدى بهم راقصات العيس والسفن
وعندكم كل شيء في حضارتكم
وفي بداوتكم ما مسكم أفن
فلتجمعوا شملكم لله دركم
للمجد حتى تقر العين والأذن
ولا تكونوا عباد الله أزلفة
شتى فتنحط جبرا منكم الغنن

ماذا التدبر والاسلام يجمعكم
والطبع واللون والأنساب والوطن
فلا يطب في سوى العلياء مقامكم
ولا يطب في سوى العليا لكم ظعن
صلوا عقود حبال الوصل بينكم
ولا تكن بينكم يا قومنا الاحن

*

"عمارة الأرض" :

الى الأرض أوبوا بالهنا وتقدموا
لإصلاحها فهو المهم المقدم
ألا فابذروا الأرض الكريمة واعمروا
منازلها ما شئتم وتنعموا
فبالبذر تحيِي شيبكم وصغاركم
وينضم فيه شملكم وينظم
ومهما تركتم بذركم تتبددوا
وتضعف قواكم هاهنا كم وتندموا
ولا تجعلوا سقيا مذانبها دما
فمن حقها أن لا يراق بها دم
أرى الأرض لم تخلق لسفك دمائكم
فان الهوى بالبرية أرحم
ولا تتركوها للأجانب فرصة
فللحر رأي في المواطن أحزم

فحق لأوطان الفتى أن يصونها
ويبني فيها ما غدا يتهدم
ويصلح فيها ما يخاف فساده
ويلقي فيها بذره ويعمم
فأوطانكم فيها دواما تنافسوا
ولا تزهدوا فيها ولا تتلعثموا
أليست من الأشياء طرا بلادكم
أهم إليكم والمهم المقدم
فقيمة كل الناس ما كان عاملا
فيصغر فيها تارة أو يعظم

*

"رسالة الشاعر" :

ان أغمدت حادثات الدهر بتاري
فسوف أعمل أقلامي وأسطاري
فسوف تسمع أو فسوف تبصر ما
يلقيه مجدي لأسماع وأبصار
ان ألبس الشعر أقوامي بمحمدة
فسوف تلبسني بالحمد أشعاري
اني أحب بلادا كن لي وطنا
عصر الصبا وأفديها بأخطاري
ان لان مسي فما أن لنت عن خور
كلا ولكنَّ سنّي في العدا جار

والشعر ما بعته بالبخس معتمدا
لكن قصدت به ايقاظ أنظـــار
فما أخذت به فلسا أريد بـــه
نفعا فيزداد بالأشعار اضـرارى
فاربأ بنفسك عن جهل وعن سفـه
وعن عداوة ذى جهـل وذى عـــار
يا موطنـا عاش فيه الحر ذا نسـب
قد هـاج ذكرك لي الأشواق كالنـار
قل للعدو طلنا من ولايتكـــم
لا نرتضيك وصيا بين أعصــــار

*

" دموع على الشيخين " :

وقال يرثى الشيخين الطالعين في الأفق الاسلامي طلـوع النيرين ، ابراهيم جوب وأحمد كي رحمهما الله :

أإن عرضت بسلـع دارس الطـلل
أجريت ما كان في عينيك من بلـل
وقفت في الدار محزونا تسائلهـا
عن ساكنيها فلم تسمع ولـم تقـل
وأجهل الناس من يبغى الجواب لدى
ربع محيل بعيد العهد بالحلـل
يظل فيه سوام الريح منجفـلا
بعد الأوانس والأنماط والكلـل

كأنني لم أبت فيها بمنتـــــزه
سامرا فتية شما ذوى جـــدل
كالشيخ أحمد من بفضلـه شهدت
معاصروه من الأصحاب والخـــول
وذى المدارس ابراهيم من صـــدرت
منه بحور علوم لسن كالوشـــل (١)
هوالامام الذى عمت دراســـته
كل البلاد بعلم غير مبتـــذل
قد كان بدرا منيرا نستضىء بـه
وسـط الدجنات من حاف ومنتعل
فليبكه كل ندب كان علمــــه
بالنعت والعطف والتوكيد والبـدل
تبكي العلوم التي قد كان يدرسها
للواردين من الاشراق للطَّفَـــل (٢)
الفقه يبكي ويبكي النحو مجتهدا
يبكى الحديث مع التفسير بالمقـل
جازاه ربي عن الاسلام قاطبـــة
خيرا وحياه في الفردوس بالحلـل
قد كان للديـن ابراهيم منتصـرا
والشيخ أحمد معوانا لذى أمـــل
وقد قضى الله في وقت حمامهمـــا
والله يغفر منهم جملة الزلـــل

---

(١) الوشل : الماء القليل .
(٢) الطفل : بالتحريك بعد العصر اذا طفلت الشمس للغروب .

قد شط قرن لموت السيدين كما
يأتي الكسوف ببرج الجدى والحمل
السيدان الكريمان اللذان هما
في الصالحين كخير الخلق في الرسل
هما امامان كانا في الظلام سنا
وفي الهواجر بين الناس كالظلل
هما اللذان أعاد الله نفعهما
لساكنى " سانلوى " في العلم والعمل
لولاهما لغدت أبناؤه همجا
لا يهتدون نهارا واضح السبل
لولاهما كانت الجهال غالبة
أهل العلوم مع العادات والحيل
يا أهلهم أبشروا من بعد صبركم
برحمة الله تغشاكم على مهل
ومن على الأرض فان لا بقاء له
ولو تمطى الى الجوزاء أو زحل
أين الملوك التي من قبلنا سلفت
وأين أصحاب ذاك الملك والدول
أبادهم صرف دهر سوف يلحقنا
بهم غدا فلتكن منه على وجل
ثم الصلاة على المختار من مضر
والآل والصحب أهل العلم والعمل

* تحسر على موت الصديق * :

وقال يرثى حبيبه وصديقه الشيخ الأمجد السيد الخليفة رحمه الله .

مات الامام وكل الناس في حــــزن
فلتبكه مقلة الاسلام والوطـــن
ما زال مذ هو في فجر الشباب فتى
يبنى المكارم في سـرّ وفي علـن
حتى بنى لبني دنياه مكرمـــة
لا تنقضي بانقضاء الجيل والزمن
لـه عوارف أسرار لو اجتمعـت
في قنـة الطود خر الطود ذا قنـن
ان جئتـه جئت شيخا عالما فطنـا
يغنيك عن كل شيخ عالم فطـن
فلتبكه كتب التاريخ يكتبهـا
وليبكه مجمل القرآن والسنـن
و ليبكه النحو والتوحيد معتقـدا
وليبكـه الفقه من فرض و من سـنن
لا لوعة تترك الأكباد سالمـة
وفيضة الدمع فوق الخد في هتن
نار الأسى أحرقت قلبي فواشجني
لو كان يطفئها في القلب واشجني
لو كان يقبل هذا الدهر فديتـه
لكنت أول فاد منه بالبـدن

ان المنازل في وحشٍ لما ازدهرت
بك البرازخ اذ لففت في الكفن
كأن نعشك شمس اذ تسير بـه
ضيفا الى الروضة الفيحاء ذى الحزن
يخال نعش حسين في بكا وأسى
بكربلا بين مكبود و مفتهن
أعواد نعشك مذ مستك لوعلمت
لا ورقت فوق هام الناس كالغصن
شمائل مثل ضوء البدر لو مزجت
طبع الدجى لم يبت يشكوه ذوفتن
دقائق لك في الأخرى زجرت بها
قلوب من عظموا الدنيا بلا ثمن
باتت تسائلنا في كل مشكلة
عنك المسائل اذ غادرت وأحزاني
لو يبتغي الكون شيخا مفردا علما
لكنت للكون شيخا مفرد الزمن
أو يبتغي الميت في الأعضاء مقبرة
دفنت في القلب والعينين والأذن
أولم يخل عدد الرسل الكرام لنا
لكنت ذا عزم منهم وذا رسن
رثيت في الذكر والأسفار لو سبقت
حياتك الخير أحيت نسمة الوسن

يا راحلا تحت ظل الله مستترا
ومكرم الضيف أمسى ضيف مؤتمن
هذا مقامك عند الله معتليا
فارق الى الله محتازا بكل هنى
تساءلوا عن جنان قد نزلت بها
مأوى نزلت أم الفردوس في القنن
في عليين مكان الرسل منزلكم
ترى هناك جمال الله أنت فنى
قالوا رأوك طليق الوجه مضطربا
كالطير ينقل من غصن الى غصن
وان علا زاد في الأبرار عافية
وان هوى فرج الأشرار عن فتن
فليعمل العامل الراجي لطائفة
لمثل ذا كنت في الدنيا على السنن
جاورت ربك في الفردوس مبتسما
وجئت قومك في الفردوس بالقرن
أبكي عليك ولم أبرح ببرح أسى
الى اللقاء غدا في جنة عدن
وانني لك راث بالقريض فما
يقضي القريض لعمرى حقكم زمنى
لولا مغالبة الأشجان في خلدى
لقلت فيك رثا في الدهر لم يكن

روحي فداؤك يا من روحه طلعت
لحضرة الله حيث النور في علـــن
في روضة ذات أنهار وأبنيــــة
من رحمة الله فاسكن غير ممتحـــن
يهاب سوءك لولا حكمة سبقــت
ملائك الله كم قدمت من حســـن
في ذمة الله نم للحشر مغتبطـا
فرحمة الله تغشى الروح بالمنـــن

*

" وداعا يا تلامذتي " :

وقال يودع تلامذته الدّكاريين :

اذا ما الركب شمّر للذهـــــاب
وآذن للمواطـــن بالإيـــــاب
فودّع ما استطعت وحيي ناســـا
نزلت لدى بيوتهم الرحـــــاب
أناس في" دكار" لهم عطايـــا
وأحلام من العجب العجـــاب (١)
وكلهم له كرم ومجـــــد
ومعرفة بعاقبة الصـــــواب

---

(١) دكار عاصمة السنغال.

اذا وضع النقاب رأيت حـــرا
جميلا وجهه تحت النقـــاب
فمن دار السلام لهم نسيــم
يشاهد في ابتعاد واقتــــراب
فما منهم يرى الا رجـــال
يرى نور الجمال بلا سحــاب
اذا نزل الغريب بهم تــــراه
وما أن يشتكي ألم اغتــــراب
لهم في ساعة العلم اقتــراب
وليسوا للسقاه ذوى اقتـــراب
وشغلهم كتاب الله دأبـــا
وقد ألقوا سواه من كتـــاب
تراهم قارئين بكـــل آن
جميع العلم من باب لبـــاب
وقل للسائلين هناك عنهــم
وعن أخبارهم طرا كفى بـــي
ولم يك فيهم الا ظريـــف
خبير باللغات وبالحســاب
أديب من أديب من أديـــب
عباب من عباب من عبـــاب
جواد من جـواد من جـــواد
سحاب من سحاب من سحـــاب

أريب من أريـــب من أريـــب
لبـاب من لبـاب من لبـــــاب
وقاهـم ربهم شر الأعـــادى
وكان جنابهم خير الجنـــاب
ويجمع شملهم ويصون منهـم
نفوسا لا تسير الى المصـــاب
وبوأنا الاله بلا حســـاب
غدا جناته وبــلا عقـــاب
رعـى الله دكار وساكنيهـــا
من الاخوان فيها والصحـــاب
وصلى الله لمحة كل بـــرق
على المختـــار مفتاح كــل بــاب
وما أن قــال مشــتاق غريـــب
اذا ما الركـب شـمـر للذهـــاب

*

"لقاء بعد طول افتراق ".

وقال يرحب بالتلاميذ عند مقدمهم اليه في "سان لوى ".

بشرى لنا فهلال السعد قد لاحا
والبشر عنا أزاح الغم وانزاحـــا
والجو طاب وريح النصر جاريـــة
والروض من عرفه الوردى قد فاحـا

وأصبح الماء عذبا سائغا وبــــدا
للقلب ما يشتهي فازداد أفراحـــــا
والدهـر أصبح يزهـو في غلائلـــه
يجـر أردانـه فـي الأرض مرتاحـــا
بشـرى بمقدم سادات علوا هممـا
فكلهـم لاكتساب المجد قد لاحـــا
بالبذل قد عرفوا قدما ولو سئلوا
أرواحـهم بذلوا في الحين أرواحـا
قد رجعت "سنلويسا" روحـه وزهـا
وسرّسـور كما شئناه وارتاحـــــا
هذى شموس "دكار" حل طالعها
فينا فكـل بما يخفيـه قد باحـــا
أهلا بها من شمـوس كلما طلعـت
طاب الهوى واستنار البدر وانصاحا
من مد راحا الى إدراك سعيهـــم
قد أتعب الروح في مسعاها والراحا
هذا ولا زال رب العرش يكلوء هـم
مما يخافـون امساء واصباحـــــا

*

" حد الحب "

الحب شـيء عجيب لا حياء لـــه
يسعى بلا دعوة نحو الأحبــاء

يسقى القلوب كؤوسا من صبابته
فيها الشفاء وفيها لاعج الداء

*

"سلطان الهوى" :

أرى شوقي عليّ بكل حال
أميرا أو بمنزلة الأمير
كتمت هوى سعاد فنم دمعي
بما قد كنت أكتم في ضميري

*

" لا تجمع بين القبيحين " :

انظر لوجهك في المرآة معتبرا
وان يكن حسنا فافعل مناسبه
وحيث كان قبيحا افعلن حسنا
اذ جمع قبحين حق أن تجانبه

الشيخ الهادى تورى :

هو محمد الهادى تورى المشهور بشيخ هادى تورى .

ولد سنة ١٣١٥هـ - ١٨٩٤م في "فاس" وهي قرية أسسها والده شيث ، حفظ القرآن الكريم على يد والده ، ثم ذهب الى "تواون" حيث قرأ على الشيخ الحاج مالك سه رحمة الله عليه علوم الدين والدنيا مثل الفقه والتفسير واللغة والأدب العربي والرياضيات والفلك.

وكان فلاحا معلما وعالما شاعرا زاهدا وفلكيا بارعا صنع ساعة تأخرت بخمس وأربعين دقيقة بالنسبة الى الساعة الرسمية. (١)

وكان له مؤلفات في الفلك والحساب منها :

"تحقيق المقال على ظل الزوال" و "كشف جلباب اللباس عن أوقات الصلوات الخمس" وكتاب "تبصرة الطلاب بمبادئ الحساب".

وكان له ديوان يضم ثمان وخمسين قصيدة. وقد ضاع مع حقيبة له في سفره الى الحج وكان يريد أن يطبعه في الحجاز. (٢)

وقد عثرنا على بعض أشعاره في "إيغان" بالسنغال وان كان أغلبها آجوبة الى خاله سرصاصم ابن القاضي مجخت كل وتلبية لندائه الى الأخذ في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعره .

وقد جمع شعره بين وعورة الألفاظ ومتانة النسج وجودة النظم وأعرابية الأسلوب قلبا وقالبا .

---

(١) الأدب السنغالي العربي جـ٢ ص ٩٨.
(٢) المصدر السابق ص ١٠٠.

مختارات من شعره :

" حب على طريقة القدماء " :

لمعان برق الليل نحو المشـــــرق
أبـــدى هوى قلبي بنـــور مشـــــرق
أم على أطلال دار أحبـــــــــــة
لي البرق خيلها كروء بها المخفـــق
فتخيلت لي دار عـزة والربـــــا
ب وفرتني والكمـل كالمتحقـــق
فوقفت أبكيها ولا كبكاء خنـــ
ــاء على صخر ولا كالخرنـــق
أبكي عليهم بالدموع ويـــزدرى
صوب الدموع حيا السحاب الدغفق
أفلا أبكي فتيــة غرا كـــــــرا
ما مرفرى اللهفان عند المقلـــق
أفلا أبكي فتية أهل القـــرى
ومزودى الضيفان عند تفـــــرق
أبكي عليهم في الحياة وان أمـــت
قسم البكاء على جميع المشـــــق
أبكي عليهم ما حييت وان أمـــت
وكلت من يبكي بدمع مطبـــــــق
والعيش أحسن عجوة ومياههم
كالسلسبيل فضيفهم كالموهــــــق

والنخل باسقة لها طلع نضيـ
ـد رزق كل مؤمل مسترزق
أعوامها مثل الشهور شهورها
مثل الليالي ليلها كالمبرق
ونساؤها حور حسان خرد
ظبيات وجرة كاملات الرونق
فلئن رنون فذاك أقتل للفتى
من ضرب أسياف ورمي البندق
ان قمن أوهمت الخصور بأنها
أمثال أحقاف بدعص أمهق
يقتلن بالغنج المليح مخاطبا
وفتور أعينهن عند المرهق
رق الخصور وراق دمعي دهشة
وكفلت بالكفلات زيد المخرق
يتركن أفكار الأريب بحيرة
ويملن قلب المتقى للمعنق
فحذارهن فهن عين الغول لو
لاهن لا يلفى الجنون بمطبق
يا راكبا وجناء مرقا لامتى
أرخى الزمام لها سواها تسبق
بسراتها مثل الرماح وعينها
مثل الزجاج ورأسها كالمطرق

تختال في رمل التلاع وتوقد ال
ـنيران في حزن أمام الأينـــق
أرخى الزمام لها وأوب دائمـــا
وذر البطالة فهي شر معــوق
واذا وصلت الحي فاسأل دارهن
ـن ولغن عني أمانة معشــق
راد [1] تخجل فيه بيوحا [2] وجهها
بدل السراج لدى الدجى للطــرق
لا علم لي أبقدهاأم خدهـــا
أم جيدها أم قولها المترفـــق
تسبى العقول وتسترق قلوب جن
ـسي غير أني كالأسير الموثـــق
والقد غصن واللهيب كخدهـــا
والجيد جيد الريم عند المطـرق
لونال ذوسقم بفيها قبلـــة
كان الشفاء له بدون ترنـــق
كنت السعيد بلهوها ودلالهـــا
وغدت تباعدني، فالآن أنا الشـق
لرهقتني يا ذا الزمان بفقدهـــا
فجزاك ربك يا زمان بمرهـــق

---

(١) ناعمة غير طوافة.
(٢) البوح : الشمس .

أنا بعدها ما بين جوف سهامـــه

وتجاوب لصياح كل مطـــوق

*

" مناجاة الحمامة " :

فأقول عند سماع نوح حمامـــة

يا جارتي ماذا دعاك لـأمـــق

ما تشتكين أتفقدين معيشـــة

أم خلة وأخا يموت فتشهقـــي

ذا ساق حرّمو، نسا لك مخلصـا

لك وده ماذا طلا بك فانطقـــي

وتنزهي بين الرياض وبختـــرى

بين الحياض وغردى وتمشدقـــي

أما البكاء فلم تكوني أهلـــه

فدعي البكاء لذى الفؤاد المحرق

فلو ابتليت بما ابتليت بمثلـــه

لذريت دمعا كالحميم المذعـــق

فقفي نبك ولا نمل ولا نميـــ

ـل للائم وثياب ريشك شققـــي

نبكي على ليلى وما يدريك مـــن

ليلى فلو تدرينها لم تطـــرق

مهما تذكرت المسامرة التـــي

جادت بها لي بالبكاء اشرورق

" مغامرة عمر بن أبي ربيعة الافريقي " :

فلرب ليل مثل ابهام القطـــا
بتنـاه فوق سريرها في عيهـــق (١)

لا سيما ليل طرقت خباءهـــا
وهنا وبتنا في تمام المأنـــق (٢)

فكأن بردى من مباشرتي لهـــا
من بعد فرقتنا لطيخ الزئبـــق

حتى اذا استبدلت نكهة ثغرها
من أذفر المسك الذكى المعبـــق

نبح الكلاب وصاح ديك الحي وان
تشر الضياء فبابنا كمصفـــق

قلقت وقامت تشتكي غير الرقيـ
ب ووجهها متغير للمقلـــق

قالت لاشفاق الهلاك علي يـــا
هذا ألا تحت السرير اخرنبـــق

كثر الرجال على الطريق وكلهـــم
بطل غيور رمحه ذو مـــرق

فأجبتها والله لست بفاعـــل
وستعلمين بأنني لم أخفـــق

---

(١) عيهق : سرور.
(٢) المأنق : تمام السرور.

أما القتال اذا تعرض لي فـــلا
أبدا أرى بمجن عمر أتقـــي
علم القرون بسالتي وتقدمـــي
في الحرب مثل الخادر المستمزق
فليعلمن بأنني أسد لـــه
ناب وأظفار سراع المرشـــق
بكي عليهم ما استطعت فانهـــم
همد بهم حد البكاء استغرقـــي
ان كان فيهم والد لـــك أو أخ
فعليهما اغلى ثيابك شققـــي
وسللت سيفا مثل برق دقـــة
وتلألوءا والحد من سم ســقي
عضب اذا وقف الذباب بحــده
قطع الذباب فياله من محــذق
فحديده من خالص الكبريت بالـ
ـقدر المواتي من صفي الزئبق
ما بالكثير ولا القليل تجاذبـــا
كي لا يكون كآنك أو مخـــرق (١)
بل قدر كل منهما متوســـم
فلذاك ليس بمخصر أو مزلـــق
فاذا تجهد في الظلام ترى لـه
ألألا كنور البارق المتألـــق

---

(١) الآنك هو الأسرب وهو الرصاص الأبيض .

ذاك السلاح اذا تمكن في يدى
فسلاح غير مثل عود الخربق
وفتحت باب البيت بعد تزودى
منها بقبلة ساقب عن مغرق
وبرزت من بين الكماة كهنبس
يأتي بظلم ثم غيظ محنق
فصرخت فيهم صيحة جزعت بها ال
أطفال من مغمى ومن مستزهق
لقلقت فيهم كي يصيخوا كلهم
قولي وقد فعلوا بغير تفرق
حتى أراني كالامام بخطبة
يوم العروبة للمنابر مرتقى
قلنا لهم والقول حق بعضكم
بي كان يسمع وهو غير محقق
من كان يعرفني فذاك أنا ومن
لا فليصغ رجلا فصيح المنطق
اني امام أسود بيشة كلها
والأسد ان رأت الصفوف تمزق
صعب مصارعتي ومر مصرعي
سل ذائقي يخبرك بالمتحقق
لا ينكر الأقران بطشي في الوغى
بل بعضهم عني ببعض يتقي

من ذاقني يوم الطعان بجنـــو
اذ حنظل ان ذقت مر الملمـــق
سيفي خفير الموت وهو رأيتمـــو
ه ممزق الأشخاص كل ممـــزق
يبتل من دهن الدماغ بعيدما
قدّ لترس كان فوق المفـــرق
فلربما بارزت وحدى فتيـــة
كعديدكم بطعان رمح مـــرزق
وأثرت فيهم قسطلا متراكمـــا
طاشت به ألباب ذاك الفيلـــق
حتى تبدل ليلة ذاك النهـــا
ر وما النجوم سوى السيوف البـرق
أطلقت فيهم صائحا شبه الشبيـ
ـب أو العرير عنان طرف أبلـــق
يجرى فتنغلق الأزجة والقـــوا
رير العلية من دوى المصـــدق
حتى اذا استصدرت في غاب الوغى
ومعي خفير الموت نيّر مألـــق
فحملت حملة ساخط متسلـــط
فتك قتول مهمد مسترهـــق
جلنا به فيهم وطلّ دماؤهـــم
وأنلت شوكتهم فظيع تدهـدق

فتفرقوا ما بين مقتول لقـــى
ومعبّد وأخي الفرار لمرهـــق
وغدا الجواد مطأطئا نحو اليميـ
ـن مع اليسار برأسه من مأنـــق
أذناه مثل براعتين براهمـــا الـ
ـكتاب ناوى أن يشي في مهرق
كرار أعداء الجحافل هيكـــل
مخلولق عرد نقي الـــــزرق
رديانه طيران باشق باشـــق
يكفيك عن جرى لسبق المطلـــق
ومطاه يبرق حابيا متطـــــاولا
أعلى ذرى نيق الجبال الشهـــق
فكأنما وقع السنابك في الكـــدى
زند المقدح أوحباحب مخفـــق
فاذا تمطاه الخفيف هوى وقبـ
ـل سقوطه ميلا يجوب بمسحق (١)
ضخم السنابك معرق أرســـاغـــه
مهما يجار بحلبة يدرنبـــق (٢)
فهو المجلّى والمصلّى معـــرق
عكسا له فلمشل ذا لم يعـــرق
ساطٍ أقيدز لا أحق ولا شـــئـ
ـت مجمح بحر وليس بأفـــرق

---

(١) المسحق :الجرى السريع .
(٢) يدرنبق : يقدم .

واذا وقفت بـه الوراء لحاجـــة
عرضت يجاذبني اللجام ويطـرق
يشكو لنا بلسان حال أننـي
كلفته خجلا دهاه بمخـرق (١)
ويعوم من بين الخيول وان جرت
طلقا أمام جميعها يستبـق
فلذا لكم يوم اللقاء ركوبتـي
ولرجلتي أيضا كصاب مذعـق
عرفتكم نفسي وما فاجئتكـم
فعليكم الأسياف حتى نلتـق
لما وعوا منى الكلام وأيقنـوا
أن الطلاسم عن قساورقد تـق
وتأملوا سيفي وليس مشابهـا
لسيوفهم والحد داهي الحيلـق
قالوا جميعا مالنا من طاقـة
ببراز مثلك فهو ليس بأليـق
ان الشجاع وأنت ذاك اذا رأى
مترحما يرثى الفؤاد ويشفـق
ان اللئيم ولم تكنه هو الـذى
لا سلم يقبل عند نيل المصـدق
أغمد خفير الموت يا هذا الهمـا
م ولا ترق بدمائنا وترفـق

---

(١) المخرق : الحياء.

أنت الأمير وانما كنا هنـــــا
مثل الرعية والعيال الرفـــــق
فاحكم بنا ما أنت تحكم اننـــا
بك لوذ وبك النوائب نتقــــى
فرجعت عنهم دون فتك رحمة
ورضى بقول سالم مترفـــــق
هذا فخارى لو عنيت به لمـــا
ألفيتني الا كمثل الصيـــدق
هذا فخارى هل عثرت بمثلـــه
لسواى في جيلي فقل لا تصدق
ونمير بالجفنات ضيفـــا واردا
والمعتفين قريض لحم الخـــردق
ونميح للمتاح مهما جاءنـــا
بجزيل مال للجزالـــة مخــدق
يأوى الينا الجار عند شـــدائد
حلت به فنجيره من مخفـــق
عهد العفاة ديارنا لا سيمـــا
دارى لكون مؤملي لم يخفق
بذال مالي للرفيـــق وغيـــره
بل لست زاجر باسط عن مشـــق
ولذا حديثي لا يمل لأننـــي
عذب الدعاب ومرفق المسترفـــق

" زهو على طريقة المتنبي " :

وأقول شعرا لا يجود بمثلـه
أفكار غيري من جميع الحـذق

أنا شاعر يا صاح لا متشاعـر
شتان ما بين العيي والأشدق

آتي بنظم دونه وشي البـرو
د ولا يرى مثل له لفـرزدق

بقصيدة طنانة رنانـة
حسانة تنسيك زينة ديسـق (١)

أكسو القصائد بالبديع ملابسا
فوق الحرير فتزدهي للرونـق

قول الهجاء وانني لقليلـه
أفري به عنق المهاجي الأخوق

فاذا هجوت أخا العلا غادرتـه
كالقرد ان رام السمو يتفتـق (٢)

فتراه في خجل وذل قائـلا
ان البلاء موكل بالمنطـق

هذا ومدحي للعليل شفـاؤه
طيبا وحلوا واحتلاب المشمشق (٣)

---

(١) الديسق : الفضة.
(٢) تفتق يتفتق : اذا صعد على مرمى أملس فزلت قدمه للملاسة.
(٣) المشمشق : النشاط .

ما كان ترياق الضريب مروّقـــا
بالقنـد ممزوجا بمـاء السـيّـق

ساقت به الأريـام من أفق السـما
تديئـه فزعاتـه للمشـــرق

حتى اذا التأم الجميـع غمامـة
سوداء حالكة ببرق مشـــرق

سحرا وأرعد تحتها رعـد حــدا
فسخت لها حبك بوبل مطبـق

حادت بوابلهـا وريّق صوبهـا
شيب الشراب به بكأس مشنــق

تسقيكه راد على ظمـا لــدى
وسط الرياض وتحت سرح مورق

يومـا بأحلى من مديحي الفائق الـ
زارى جمان خريدة في المخنــق

لكنما الكرماء قلّوا في الزمـــا
ن لذاك لست الى الثنا بشمقمق (١)

لم يبق الا باخلون وعندهـــم
جود الجواد كمثل حمق الأحمق

قوم اذا وعدوا الغياث لخلهـــم
يحتج بذاك الى سجايا البَـــروق (٢)

---

(١) أى بنشيط .

(٢) البروق شجرة تخضر بمجرد السحاب والرعد ولا تحتاج الى مطر وربما ماتت للمطر .

والمدح أغلى ما يباح فصنـــه لا
تسمح به فتكون مثل الأ ومـــق
من كان يعقل لا يرى يثني علـــى
كفوء له غير الجواد المرفــــــق
عقل الفتى مثل القليب وانمـــــا
مسباره لفظات فيه بمنطــــــــق
فمقاله لا بد اما أن يبـــــيـ
ـن بفضله أو عيبه المستـــرق
لا سيما شعر يجاب بـــه بـــلا
د الله للمغضى وللمستخـــرق
سبحان ربك من يروض لعبــــده
نظم القريض وصوغ شعر عسنق (١)
ان القوافي والبحور جميعهـــــا
ذلل المطايا لي فلم تتصفـــــق (٢)
علم الطويل بأنه طرفى الطــويـ
ـل وان ركبت مجاريا لم أســـبق
أما المديد فهل يماددني بـــه
كريب غير يلندد وزبعبـــــق
أما البسيط اذا بسطت له يـــدى
فيد المنازع ذات كسر مصلـــق

---

(١) العسنق الحسن من كل شيء.
(٢) أى لم تنغلق .

واذا ركبت لدى التفاخر وافــرا
وفر المحاسن لي وكنت كصيدق
ولطالما سرجت كاهل كامــــل
وشننت غارات بسيفي الأشدق (١)
وفريت أعناق المهاجين الألى
جهلوا بتوكيل البلاء لمنطق
سل كاملا عن ذا وها هو حاضر
كلا فانك ان سألت يصدق
هزج الغناء وهكذا رجز البسرا
ز مطيتاي لدى السرور ومذعق
طورا يكون ركوبتي رملا له
رمل يقرب لي نواي كزيلق (٢)
وكذا السريع كذاك منسرح فكل
ل كان لي طرفا سريع السحق
ولدى التنزه فالخفيف ركوبتي
بخ بخ به بخفيف سير ترفق
أما المضارع فهو ليس مضارع
لي فيه وهو مضارع للحيلق
وكذاك مقتضب ومجتث كذا
متقارب ما شئت منها أنتقي

---

(١) الأشدق الفصيح النطق البليغ القول.
(٢) الزيلق الريح السريعة.

فاذا أردت الشعر بأوا كاملا
مثل الجمان وفوقها في العشق
فأنا الذى آتى بذلك مرغما
أنف العدو ومفرحا لصديق
وأغوص في لجج البيان وأنتقى
فيقال نعم المنتقى والمنتقى
فاذا ترى متعلما سحر الكلام
م فدله دارى لبابل يرتقى
أنا ساحر ومعلم سحرا وأعـ
ـنى بالقريض وبالبيان المبرق (١)
فقصائدى موشية ورسائلي
مكسية حلل البديع المشنق (٢)
فاذا تلوت قصيدتي في محفل
ميزت الكريم عن اللئيم المصمق (٣)
فكلام ذا في كل بيت قلته
لله درك من بليغ مغلق
وكأن تقول لذاك عند تلفظ
بالدرة البيضاء صه لا تنطق

---

(١) المبرق : المحبر .
(٢) المشنق : المزيل .
(٣) المصمق : الكثير التكبر والحسد .

فتراه يطرق مثل مشتوم بـــه
وُيرمّ من حسد بقلب محـــرق (١)

ويغيظ بي أبدا ولست بظالـم
مالي وما للحاسد المترهّـــق

والله يكثر حاسدىّ فإنهـــم
أفشى لفضلي من حبيبي الأشفق

ان الدليل على المكارم كثرة الـ
أعداء فهي علامة المتبســـق (٢)

يكفي الأريب من الهوان خلـوه
عن حاسد يبدى العلا يتحــرق

واذا فنيت وصار جسمي ثاويـا
تحت التراب فذاك شعرى قد بقى

واذا رأى الأولاد والأسباط ذا
علموا بأن الجد ليس برُمّــق (٣)

ولعلهم يدعون لي بدعـيـــة
تمحو الذنوب وبي السلالم ترتقى

---

(١) يرم : يسكت.
(٢) المتبسق : الرفيع القدر.
(٣) الرمق : الرجل الضعيف الحقير الذى لا بال له.

" نغمات تعليمية " :

لا تبتغي نيل الغنى بـل اشترى

بالمـال مدحـا فاشيا في الـرفـق

ان الدراهـم والدنانير التـــــي

يرتادها المسكين هل موتا تقـــي

لو مال ذى مال يزيـد بعمــــــره

لجمعتـه وحرستـه بالمسغـــــق (١)

ولرمته بتجارة وحراثـــــــــة

وطعان قرنـي بالرمـاح المـُـرق (٢)

ولكنت أبخـل باخل بعطائـــــه

اذ بذلـه اذ ذاك سيمـا الأحمق

وبذلت في تحصيله هم الزمـــا

ن وكبد كيس هدهد متحــذق

حتى اذا شحـن المخازق والصنـا

ديق التي عندى خَدَيت لمغلـــق

لا حاجبا أعطى مفاتيحي ولا

ربضا ولا ولدا ولا للمشغـــــق (٣)

لكنني عند المنـــام ويقظــــــة

ليدى بهـا أبدا دوام تعلـــــق

---

(١) المسغق : الاغلاق عليه.

(٢) المرق : جمع مارق أى النافذ عند الطعن.

(٣) ربض : زوجة.

لكن ذلك لا يفيد سوى الفشو

و بوصفه في جيله بالخنبق (١)

لو كان مال المرء يحمي عن ردى

لحمي الغنى فرعون عند المغرق

ولكان نمرود بن كنعان الذى

جمع النفائس سالما من مزهق

ولكان عاد أو ثمود وصالحا

للموت عن روح بدفع الأينق

دار ابن دارا فيه عبرة خاشع

لله وهو بدثره لم ينفق

أولم يكن قارون ذا وفر وصا

ر بخسفه في الأرض عبرة متق

هامان شلهم الى ما ليس يحـ

ـصيه سوى الله القديم الصيدق

ورأيت أن الجود ليس بناقص

رزقا وربك رازق للمنفق

والبخل ليس يزيد رزقا لا ولا

يجدى سوى العارات للمتحزق

من كان يعقل ولتكنه أخيَّ لا

يبخل بمال للتراب مصمق

---

(١) الخنبق : البخيل .

(٢) المتحزق : البخيل .

الفصل الثاني :
شعراء نيجيريا .

"عبدالله بن فودى الوزير" :

هو الاستاذ عبدالله بن محمد الملقب بفودى بن عثمان بن صالح ابن هارون بن محمد الملقب بغردُ بن جَتُ بن محمد سنبو بن أيوب بن ماسران بن بُوبَ بَابَ بن موسى جَكَلُ ، وأمه حواء بنت محمد بن عثمان بن حَمَّ بن عال .

وقد نزحت قبيلته من " فُوتَ تُورُ " غربي بلاد نيجيريا الى بلاد الهوسا .

ولد سنة ألف ومائة وتسعة وسبعين هجرية ، وتوفى وهو ابن ست وستين وذلك في أوائل سنة خمس وأربعين ومائتين بعد ألف من الهجرة النبوية (1) ، على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وقد نشأ عبدالله وترعرع في بيت علم وصلاح حيث قرأ القرآن على أبيه وتثقف أول ما تثقف على أخيه الشيخ المجدد عثمان بن فودى ، كما تثقف على والدته حواء بنت محمد بن عثمان بن حَمَّ بن عال ، وعلى جدته رقية بنت العالم المشهور بمحمد سعد بن لاَدَنْ.

---

(1) ضياء التأويل في معاني التنزيل ص ٣ .

ومن شيوخه الشيخ جبريل وعمه الحاج محمد ابن راجى مودب ابن حَمّ بن عال وابن خاله محمد بن محمد الذى قرأ عليه مقامات الحريرى وغيره ، وخاله عبدالله بن محمد ابن الحاج الحسن بن حَمّ بن عال الذى قرأ عليه قطر الندى وشرحه للماردينى وشذور الذهب وشرحه بلوغ الأرب وخلاصة ابن مالك مع شرحه البهجة المرضية للسيوطي وغيرها من كتب النحو .

وأخذ عن الشيخ ابراهيم البرنوى من كتب العربية التحفة الوردية والخلاصة وبعض شروحها كالمنهج السالك للأشمونى . ومن شيوخه محمد تَنْبُ ومحمد بن عبدالله الذى قرأ عليه الفريدة للسيوطي ، وابراهيم المنذرى الذى أخذ منه الدرر اللوامع والرامزة في علم العروض والقوافي والترياق في علم الأوقاف . . وممن أخذ عنهم ابن خالته وعمه محمد الغَرْبِر الذى قرأ عليه المنطق والورقات لإمام الحرمين والشيخ أحمد بن أبي بكر بن غَالِ الذى قرأ عليه البلاغة حيث درس عنده التلخيص والنقاية وغيرهما ومنهم ابن عمه المصطفى بن الحاج عثمان ابن محمد . قرأ عليه الكوكب الساطع ، ومنهم خاله وعمه الحاج محمد ابن رَاج قرأ عليه صحيح البخارى ، وأجازه جميع مروياته ، ومنهم عمه محمد المعروف بَبيتُغ قرأ عليه ألفية الأثر للسيوطي وأجازه جميع مروياته . ومنهم شيخ شيوخه محمد المَغُور قرأ عليه المختصر .

ومنهم الشيخ محمود الزَّنْفَرى الطِوَرى أخذ منه علم القراءات كمنظومة ابن البرى والقصيدة الشاطبية .

وقد أخذ عن جمع غفير من العلماء لا يسع المكان لذكرهم .

وكم عالم أو طالب علم أتاهم من الشرق فاستفاد منه وكم عالم أو طالب علم أتاهم من الغرب فاستفاد منه ما لا يحصيه.(١)

الا أن شاعرنا لم يترك فنا من فنون المعرفة المعروفة وقتئذ الا وخاض غماره ونال منه أوفر النصيب وألف فيه أبدع التأليف، وقد ترك لنا مؤلفات تربو على المائة . نشر قليل منها ولا يزال أكثرها مخطوطا رهين الصناديق ورفوف المكتبات على أنه كان يتسم بالجد والاجتهاد في العلم والتأليف والجهاد وكثرة التهجد .

وكان يكتب بالدواة التي تأخذ وقتا طويلا قبل أن تجف، فاذا كتب الصفحة تركها وانتحى ناحية من بيته لينفخ الكير ويصنع سهما من سهام جهاده أو رمحا أو فأسا ، فاذا مضى وقت كاف لجفاف الدواة على الورقة رجع الى الكتابة من جديد وهكذا دواليك.

وكان يملك مكتبة ضخمة متنقلة نظرا لظروف الجهاد التي كانت لا تبقيهم في مكان بعينه . فلربما جاء نذير الحرب بخبرها وهو في أثناء الكتابة أو المطالعة . وعندئذ يكون أول ما يفعله استنهاض هم العبيد لربط كتبه وحملها على الجمال وكان يأكل من عرق جبينه وعمل يده ، فقد كان وراقا يستنسخ الكتب ويبيعها لطلبة العلم.

مؤلفاته :

أ - الفقه والحديث والتصوف والتفسير وعلومه :

١ - ضياء الأئمة في أدلة الأئمة.

٢ - اللؤلؤ المصون.

---

(١) ايداع النسوخ ورقة ١ - ١٠.

٣ - كتاب الترهيب .

٤ - ضوء المصلي .

٥ - ضياء السند .

٦ - مصالح الانسان .

٧ - منن المنان لمن أراد شعب الايمان .

٨ - مطية الزاد الى المعاد .

٩ - ضياء السياسات .

١٠- ضياء الحكام فيما لهم وعليهم من الأحكام .

١١- كتاب النصائح في أهم المصالح .

١٢- ضياء الأنام في الحلال والحرام .

١٣- سراج الجامع للبخارى .

١٤- ضياء السلطان .

١٥- ضياء الأمراء .

١٦- ضياء الأمة .

١٧- ضياء القواعد ونشر الفوائد .

١٨- ضياء الاحتساب .

١٩- ضياء المجاهدين .

٢٠- ضياء أولى الأمر والمجاهدين .

٢١- ضياء علوم الدين .

٢٢- ضياء الخلفاء ومن دونهم من الأقوياء والضعفاء .

٢٣- ضياء الامام .

٢٤- ضياء أهل الرشاد .

٢٥- طريق الصالحين .

٢٦- طريق الجادة .

٢٧- خلاصة الأصول .

٢٨- درر الحكم .

٢٩- دواء الوسواس .

٣٠- درء الكيئة .

٣١- ألفية الأصول .

٣٢- اصلاح الزاد .

٣٣- ألفية النكاح .

٣٤- آداب المعاشرة .

٣٥- آداب العبادات .

٣٦- اصلاح العمل .

٣٧- النيات في أمور الديانات والمعاملات .

٣٨- التبيان لحقوق الاخوان .

٣٩- النصيحة بتقريب ما يجب على كل عامة الأمة .

٤٠- مفتاح التفسير " منظوم " .

٤١- ضياء التأويل في معاني التنزيل .

٤٢- كفاية ضعفاء أهل السودان في بيان تفسير القرآن .

٤٣- الفوائد الجليلة وسائط الفوائد الجميلة .

٤٤- ايضاح زاد المعاد .

٤٥- التقريب .

٤٦- أخلاق المصطفى .

٤٧- المفتاح للتبصير .

٤٨- بذل النصيحة .

٤٩- تقريب الضرورى من علوم الدين .

٥٠- تعليم الأنام.

٥١- تعليم الأصحاب .

٥٢- تمييز أهل السنة .

٥٣- تهذيب الانسان .

٥٤- حصن الحصين .

٥٥- خلاصة الأصول .

٥٦- درر الحكام.

٥٧- دواء الوسواس .

٥٨- سلالة المفتاح .

٥٩- سبيل النجاة.

٦٠- سبيل أهل الصلاح .

٦١- سبيل الصلوات .

٦٢- سبيل العين شرح مرشد المعين .

٦٣- سبيل السعادة .

٦٤- شفاء الناس من داء الغفلة.

٦٥- شفاء الناس من داء الوسواس .

٦٦- شكر الاحسان .

٦٧- ضياء القواعد .

٦٨- الفرائد الجليلة .

٦٩ - فتح البصير في علم التبصير.

٧٠- فتح المنان في جميع ما ورد من الفاظ الشيخ عثمان.

٧١- فضائل أفاضل الأذكار.

٧٢- كتاب النسب .

٧٣- كتاب النصيحة .

٧٤- كتاب النيات .

٧٥- كفاية الطلاب في النكاح .

٧٦- كتاب عمل اليوم والليلة.

٧٧- لمع البرق .

٧٨- لباب احياء علوم الدين .

٧٩- لباب المدخل في آداب أهل الدين والفضل.

٨٠- مصباح التراوى .

٨١- نصائح الأمة.

٨٢- نظم الوسطى .

٨٣- نيل المأمول .

٨٤- نيل المرام في شيم الكرام.

٨٥- نظم الدرر في مصطلحات البخارى.

٨٦- نظم تلخيص الموطأ. (١)

---

(١) من املاء الشيخ محمد المنتقى الكوماسي الكشفاوى . والثقافة العربية في نيجيريا ص

ب : النحو والتصريف واللغة والأدب والعروض والقوافي :

١ - البحر المحيط (في النحو) .

٢ - الحصن الرصين (في الصرف) .

٣ - فتح اللطيف الوافي لعلمي العروض والقوافي .

٤ - تزيين الورقات بجمع بعض مالي من الأبيات.

٥ - روض العاشق في مدح سيد العباد .

٦ - البحر في علوم النحو والتصريف .

٧ - النفحات البشرية في شرح القصائد العشرينات .

٨ - الداليـة .

٩ - التعريب.

١٠- المنظوم في أصول النحو.

١١- تخميس العشرينيات .

وكان شاعرا مجيدا أديبا أريبا نحويا لغويا فقيها محدثا مفسرا ومقرئ ، ويمتاز شعره في المدح بالجزالة ووعورة الألفاظ وجودة النظم وأعرابية الأسلوب ، وقد يجمع بين الجزالة والسهولة اذا كانت القصيدة تحمل رسالة الى الناس جميعا الخاصة والدهماء كما رأينا في الحائية التي وجهها الى قومه الفلانيين ليستنهض هممهم لنصرة دين الله بالجهاد بالسيف ضد ملوك الهوسا الوثنيين ، كما يزاوج بين الجزالة والسهولة في الرثاء وشعر الجهاد الذى يسجل فيه انتصارات جيشهم ضد جيوش الوثنيين ، أما في شعره التعليمي فيجنح الى السهولة والرقة حتى يسهل ايصال المراد الى السامع.

مختارات من شعره :

" ألحان أعرابية " :

عج نحو أضواج الأحبة من " مج "
واشرب من الانشاج ماء الزعبج (١)

شجّ الدموع على منازلهم بها
واشف الجنان من الهموم الدمَج (٢)

قف عندها سل من بها فعسى تجب
حوجاء أو لوجاء ترضى من شجي (٣)

---

(١) مج بفتح الميم وكسر الجيم المخففة واد ، وا ضواج جمع ضوج وهو منعطف الوادى ، وأنشاج جمع نشيج أو نشج وهو مسيل الماء والزعبج الغيم الأبيض أو السحاب الرقيق .
(٢) شج : أى صب الدموع صبا كثيرا ، الدمج : المستحكمة المستترة.
(٣) الحوجاء : الحاجة ويقال مافي صدرى به حوجاء ولا لوجاء بمعنى واحد .

واذا مررت "مرت" حي حبيبهم
وانشر عليهم لؤلؤا وزبرج (١)

كم لي أخا بأبأته فيهم وكم
خلماء لم أك بينهم بمزلج (٢)

ومدارس أضنى بحب شهودها
فيها نجاح حوائج المتحوج

وجحاجح علماء يحلب رفدهم
كل كبحر في العطا متموج (٣)

ولهم ككان ومبتدا في جارهم
عمل لغيرهم كلم أو في يج

ولربما عملوا كما من كف
يعدو وتقوية الضعيف الملتجي

ومواطن أشجى لفقد روابها
ليست سخارج في هواء سجسج (٤)

دع عنك ذا عد للذى منع الكرى
لابن السرى لا تسر سير الدعلج (٥)

---

(١) مرت : موضع .

(٢) بأبأته : أى قلت له بأبي وأمي .خلماء : جمع خلم بالكسر وهو الصديق الخالص أو الرجل العظيم . المزلج : هو الناقص أو الملزق بالقوم وليس منهم.

(٣) جحاجح : جمع الجحجاح وهو السيد الكريم.

(٤) سخارج : صحارى ،وسجسج : واسع.

(٥) الدعلج : الذى يمشى في غير حاجة والدعلجة ضرب من المشي .

وادرع دلاص العزم فوق قلاصه

بمزاد صبر في الموامي متلج (١)

بسرى وادلاج معا وتهجر

وتأوب حتى تزيل شجى الشجي

بزيارة اللذ زار طيبة بعد أن

قد زار مكة في وفود الحجج

من قد سبا قلبي فتاه بحبه

فثوى لديه فلا أسير ولا يجي

شمس الضحى بزغت بغرب فانتحت

للشرق تشرق في قريش وخزرج

متفنن متبحر في علمه

متعطف متلطف للمعفج (٢)

سجح طليق الوجه هين لين

للمسلمين ومزدر للعمهج (٣)

شجر اذا نزلت عليه سفينة

لم ترتحل عنه لفقد الخرفج (٤)

من جاء يشكو العوائص ينثني

عنه بقلب ذى انشراح مثلج

---

(١) الدلاص : درع دلاص ،براقة لينة.

(٢) المعفج : الأحمق الذى لا يضبط العمل والكلام.

(٣) العمهج : الضخم السمين والسجح : لين الخد .

(٤) الخرفج : أحسن الغذا .

ولسوف يروى منـــه كأسـا سـائغـا
أصفى وأحلى من كؤوس السعمــج (١)

شيخ الشيوخ فريد دهر ظاهـــــر
فوق المبارز بالعلوم متـــــوج

جبريل من جبير الاله بـه لنـــــا
دينا حنيفـا مسـتقيم المنهـــــج

وافى وحزب ضلالــــة في تلعـــة
والدين في وهـد كشيء بهــــرج (٢)

فأزاح عنه حنادس الأعلاج من
عاداتهم وكساه حلة زبـــــرج (٣)

لم يخش في اظهار دين الله من
مستهزئ أولائم متجمجــــــج (٤)

ولـه شبول نائبون منابـــــــه
والشبل عند السبر مثل الخزرج (٥)

فغدا لـه نور الزمان مساعـــــدا
أو ساعدا في فتح باب مرتـــج

---

(١) هكذا في المخطوط ولعله السمعج وهو اللبن الدسم الحلو .

(٢) التلعة : ما انهبط من الأرض . والوهد : المطمئن من الأرض .
البهرج الباطل والرديء من الشيء .

(٣) الزبرج : الذهب .

(٤) المتجمجج : الذى يخلط الأمور ولا يتبين .

(٥) السبر : ما عرفت به لوءم الدابة أو كرمها : والخزرج الأسد .

اظهار دين الله بين عدوه
لم يلتفت لمكذب متلجلج
عثمان من قد جاءنا في ظلمة
فأزاح عنا كل أسود دجدج (١)
ودعا الى دين الاله ولم يخف
في ذاك لومة لائم أو فجفج (٢)
فانصات خلق حين صات لصوته
وعلا له صيت فويق الأبرج
بشرى لأمة أحمد ببلادنا السو
دان في هذا الزمان المبهج
كم سنة أحييتها وضلالة
أخمدتها جمرا ذكى بتأجج
وطلعت في أرض عوائدها عدت
وتخالفت سنن النبي الأبهج
استعظمتها أهلها فاستأسدت
وصدت دوين الدين باب الولج
فاستنسرت بغثانها وتنمرت
جرذانها ترمى بنصل سلمج (٣)
من راد دين الله يمحو عزها
فقمعتها قمع القوى الأعوج (٤)

---

(١) الدجداج : الاسود من كل شيء وليلة دجداجة شديدة الظلمة.
(٢) الفجفج : كثير الكلام والفخر بما ليس عنده .
(٣) السلمج : يقال للنصال المحددة أى القاطع .
(٤) الأعوج : شديد القوة.

فـقصمتها بالبيـض من آياتـــــــه
وأسنـة سنن النبـي الأدعــــــج

صلى عليه الله ماهــز الصبــــــا
عذبات غصن في الرياض خـربـــج (١)

ولكل فرعـون طـغـي موسى سـطا
وقضـية عاصـت علـى تـنفـــــــج (٢)

فابيض وجـه الديـن بعـد محاقـه
واسود وجـه الكفر بعد تبلـــــج (٣)

والديـن فـي عـز ونهـج منهـج
والكفر في ذل ونهج منهــــــج (٤)

والسنة الغراء صبـح ينجلــــــي
والبدعـة السـوداء ليل يدجــــى

طمست معالمهـا وأخلق ثوبهـــا
والدين في درع يميس مدبـــــج

وتفجـرت للدين من بركاتــــــه
عـين الحـياة تذل ماء الحشــــرج (٥)

فجرى المذانب للمشارب أفهقـت
ماء يقول صفاؤه هل من يجـــى (٦)

---

(١) الخبربج : هكذا في المخطوط و لعله خبرنج بمعنى الناعم.

(٢) الانفاج : ابانة الاناء عن الضرع عند الحلب حتى تعلوها الرغوة ومعنى تنفج تظهر.

(٣) التبلج : الاشراق .

(٤) المنهج : البين الواضح المنهج الذى أسرع فيه البلى .

(٥) الحشرج : الماء العذب من ماء الحسى .

(٦) المذانب : جمع مذنب وهو السيل ،فهقت ماء أى ملئت ماء.

حتى تبلج مثل بدر طالـــــع
بليـال صحو أو صباح مبلـــــج
أو روضة ضحكت بها أزهارهـــا
تزهى بها عذبات غصن عسلج (١)
أو عنقر أوجنة أو أنجـــــم
بخميلة أو ربوة أو حنـــــدج (٢)
فأجادها جَوْدٌ لدى جُود لـــه
هب الصَبا من بعد مرى الخزرج
فتفرعت قضبانه وتساجعـــت
أطيارها كالشاعـــر المتهـــزج
وتكاثفت قصباتها غُبَالَهـــا
ضعفان من أكل حبته سلجلـــج (٣)
وتباهجت فتضوعت أرياحهـــا
بنضارة مع خضرة وتـــــأرج
وكأنمـا أنواره بين المـــــلا
أنوار روض أو منائر صولـــج (٤)
سعد الزمان بهم وزايد خيره
فبحبهم غفـــران ذنبي أرتجي
وبجاه من يرضى غدا لشفاعــــة
كهف البرايا فهو أعظم ملجـــج (٥)

----

(١) العسلج : الغصن الناعم.
(٢) العنقر : قلب النخلة لبياضه والحندج رملة طيبة تنبت ألوانا من النبات .
(٣) سلجلج : سهل .
(٤) الصولج : الفضة الخالصة .
(٥) ملجج : ملاذ وملجأ .

أصداء تعليميه :

فلا يمنع الارشاد عدم قبولهم
فمد خلهم مولاهم أنت فاتح

فانك ان بلغتهم ضاع عذرهم
فساقيهم الولى فانك جادح (١)

مطيع لما قد قاله سيد الورى
به بلغوا عنى أتته صحائح (٢)

وآمر معروف وناه لمنكر
على شرطه للناس بالحق قارح (٣)

وامر بمعروف ونهي لمنكر
طريق من القرآن باد صمادح (٤)

وفهمهم ما يلزم المرء عقده
من الدين مما سهلته القرائح

وغسلا وضوءا أو صلاة زكاتهم
وصوما وبيعا ثم كيف يناكح

وواجبها مسنونها مستحبها
ومنهيّها والكل في الكتب واضح

وعلم نساء سترهن بأن ترى
على غير وجه والاكف القواسح (٥)

---

(١) جادح : من جدح السويق وهو أن يحركه بالماء ويخوض حتى يستوى .

(٢) اشارة الى حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام " بلغوا عني ولو آية" .

(٣) القارح : المخبر به.

(٤) صمادح : واضح لا يجهل .

(٥) القواسح : جمع قاسح وهو الثوب الغليظ الذى لا يظهر الاكتاف والثدى .

وعلمهم الاحسان كيف يراقبـــــو
ن مولاهم ذوجدهم والصمـــــادح (١)

وكيف التخلى من صفات ذميمـــــة
وكيف التحلى بالحميدة ناصـــــح

وكيف تراعى نيـة في جميعهـــــا
ليرعاه ذو فهم يطيعك لاتـــح (٢)

بنفسك فابدأ حائدا عن هوى الهوى
لدى سوسها ترعى وانك كابـــــح (٣)

أضرعدو من بدارك ســـاكـــــن
مطيع لشيطان وللدين قافـــح (٤)

سلامة عيب النفس عزت لما لهـا
يكون خلال المنكـرات المســـارح

فلا تستطيع الترك عن شهواتها
ولم تحتمل ذلا كذاك السـبادح (٥)

لجاؤك بالمولى وتقليل مطـعـــم
دواء لأدواء النفوس مطحطـــح (٦)

وبالاصغرين احفظ وبالاجوفين وال
جواسيس صن دوما تطعك الجوارح

----

(١) الصمادح : الخالص من كل شيء ويقصد به هنا المزاح .
(٢) لاتح : عاقل داهية . والمقصود هنا الذى ينقاد لك .
(٣) كابح : أى جاذب لجامها .
(٤) قافح : الممتنع عن الشيء أى كاره للدين .
(٥) السبادح : أيام قلة الطعام.
(٦) مطحطح : أى كاسر أو مكسر.

تبـاع القرانِ والنبي وصحبــــــــه

وتابعهم ترياق من هوصالـــــح

"بكائية في مجاهد ناسك" :

ان ارعواءك اذ أرتـك الـــــدار

بفعالهـا من أنهـا غـــــــدار

داريموت بها حبيبك لا تــــرم

فرحا بدار صفوها كـــــــدار

لكنّ هذا لم يكـن بدعـا بهـــا

قد مات فيها قبلـه الأخيـــــار

ولسوف تمضى مثلهم وتذوق مـا

قد ذاقـه الأخيار والأشـــــرار

فالمصطفى من بيننـا هوكاســـه

مرضينا وأميننـــا المختـــــار

ان الرزايـا فقدنا أمثالــــــه

لكن رضينـــا ما قضى الجبــــار

سبحان من قد خصه بالعلم والتـ

ـقوى وخلق يرتضيه الجـــــار

قد قام في اظهار ديـن محمـــد

بين الورى والجرح فيه جبـــار

حتى بدا في الحصن من أقوالــــه

وفعالــه ترمى بها الأحجـــــار

كم واجبات في الضيـــاع أقامهـــا
في الحي تسخره بها الفجـــار
ومحرمات دعـّنها قد صُيّـــرت
مثل المباح يلومه الأغمـــار
وعوائد مذمومة قدزادهـــا
يجرى بها العلماء والأبـــرار
ما خاض لهو الجاهلية قط مـــن
حال الصبا حتى أتى الانـــذار
ولقد فقدت أخا حبيبا ناصـــرا
في ديننا اذ أعوز الأنصـــار
خلا صدوقا لا يريبك فعله
ومقاله يختـار ما تختـــار
فدع العيون تجود فوق حبيبها
فَحَرِيها هجم او اســـمدرار
لو أن عينك ساعدت لهمى دمـــا
بدل الدموع سحابها الحـدّار
فليبكه من كان فيه غيـــرة
في الديـن فهو أمونه الحدبـــار (١)
نكبي عليه ترحما مع أننـــا
نرضى بما قد جاء الأقـــدار

---

(١) الأمون : البعير، الحدبار المذلل أو المعين.

فسقاه من رب غفور راحـــــم

غيث المحبـــة والرضى المــدرار

سبحان من قهر الخلائق كلهـــا

بالمـوت وهو الواحد القهـــار

ما ترتجي في هذه الدنيا التـــي

ما تأتلي تذكو بهـــا الأخطـــار

فالدار مثل جهامة وسغاســـط

أو قبل سراب ريهـــا آوار (١)

أو نهر طالوت الذى شـــرّابـــه

هيم وضاعت منهـــم آصـــار (٢)

وخيالُ طَيْفٍ مُسْتَراحُ مســـافر

رام المقيل فصاحـــه جمّـــار

قد شيب سمّغ أريها من شريها

فتخالطـــا فبخورهـــا أبخـــار (٣)

أو مرتع مستو بل حيوانـــه

مستوبد موتانـــه دفـــار (٤)

وعجوزة زلّاء فـي مصبوغـــة

ثم ارتدت مخضـــرة مكـــار

---

(١) أوار : العطش .

(٢) آصار : جمع اصر وهو العهد .

(٣) ابخار : جمع بخر وهو النتن وأريها : عسلها وشريها أى حنظلها .

(٤) دفار : من الدفر وهو النتن .

حتى سبت أغارنا باسـارهـا
إثارهـم ما نالـه إشـار

أوحية جسم مليح ليـن
والسم فيهـا ناقـع ضـرار

وشريـدة مسمومـة مغموسـة
في السـمن ذُرّت حولهـا أبـزار(١)

شرك الردى وقُتّار مكسر سلعـة
الشـيطان يغرى والهوى سمسار

وسَباطَـة الطرقيـن ترمى فوقهـا
جـيف الموات كِلا بُهـا التجـار(٢)

قد آذنتـا بالفـراق بحالهـا
ومقالهـا فغرابها مجهـار

فالله ينجينـا معا من شرهـا
بمحمد فيعمنـا الأنـوار

صلى الإله عليـه مع أصحابـه
ما نُمْنِمَتْ لسلامهـم أشعـار

" هجرة معلم " :

ولما مضى صحبي وضاعت مآربـي
وخلفت في الأخـلاق أهل الأكاذب

---

(١) أبزار : التوابل .
(٢) السباطة : الكناسة.

يقولون ما لا يفعلـون وتابعـوا
هواهـم وطاعـوا الشح في كل واجب
وليس لهـم علم ولا يسألونـه
وأعجب كل رأيـه في المذاهـب
وقطـع أرحاما وأزرى معارفـا
وآثر عـن قرباه جمـع الأشـائـب
وما همهـم أمر المساجد بـل ولا
مدارس علم بلـه أمـر الكتائـب
وهمتـهـم ملك البـلاد وأهلـهـا
لتحصيل لذات ونـيل المراتـب
بعادات كفار وأسماء ملكهـم
وتوليـه الجهـال اعلى المناصـب
وجمع السرارى والثياب الحسان وال
جياد الجـوارى في القرى لا المحارب
وأكل هدايا الجاه والفـيء والرشى
وعود ومزمـار وضرب الدبـادب
وباعة أحرار وفي السوق بعضهم
ولاة قضاة في لباس الثعالـب
فرارا من القاضي وأكل الامان وال
الموالاة للكفار خوف العواقـب
فَجمُوا وقلَّ الصالحون وأظهـروا
مداهـنة الفسـاق أهل الكتائـب

واعجز أهل الحل والعقد أمرهم
فجانبت الأعراب من كل جانب
وأبدت جهارا خافقاء ضبابها
ولاحت ذياب في ثياب الأرانب
وأيقنت ان لم يرجعوا عن ضلالهم
لتختلفن أسيافهم في الغوارب
وان قرين السوء يعدى قرينه
بما فيه اعداء الصحاح الأجارب
وقد طار قلبي للمدينة شاويا
سنين بها شوقا وليس بآئب
وقيد جسمي عنه ذنبي حائرا
بصدر هواء فاقد القلب دائب
صرفت عناني عنهم متوجها
الى خير خلق الله معطى الرغائب
وصبّرت نفسي في ركوب مفاوز
خلال فيول كالهضاب قوارب
ولا أثرًا في الأرض الا خفافها
ربيعا وصيفا كالبآر السواقب
أسير بلا علم ولا قود قائد
ونيل سبيل في الفيافي العواشب
بخمسة أحرار كذاك الرقيق مع
ثلاثة أفراس كمثل الركائب

نشيم عطاشا حين حان نزولنـــــا
ذوائبَ أشجار المياه الشـــوارب
وكم ليلة بتنـا بها نابغيـــة
ولا نار الا نارنا فـي السباســب
وسمارنا جيراننـا أقرباؤنـــــا
بعوض وحيات وجمع العقــــارب
خمائلها والقاع أثمارهـــا الأضـا
جدار ودار والقرى كأس شـــارب
أوانسنا أقواسنا وجعابنـــا
رماح وأسياف رقاق المضـــارب
وصار لنا الآثار للنـــاس بعدمـا
قربنا لعمران عجيب العجائـــب
وأولى كلام الناس أحرى ديارهـم
وأنفسهم صارت غريب الغرائـــب
فقلت وذا أمريسيرٌ بجنب مـــا
نريد اذا ما حُمَّ نَيْلُ المــآرب
أحادي المطايا حثّها للمشـارق
ولا تلتفت في سيرنا للمغـــــارب
فان حظيت بالوصل فالله واهـب
وان أخفقت فالذنب فيه لذاهب
وما خاب من أمّ الكريم لحاجـــة
وان كان بطّـا لا خبيث المكاســب

فياخير من حف العفاة ببابه
يصوب عليهم منه عَشرٌ سحائب
أمتك مأسورا بذنبي راسفا
لألحق قلبا عندكم غير غائب
فحقق رجائي فيك يا سيد الورى
فراجيك في الدارين ليس بخائب
وفك قيودى ثم صلني اليك يا
كريم السجايا أنت بحر المواهب
فها أنا عبدالله اسما وحرفة
لديكم فسهل لي نجاح المآرب
كما نالها منكم سوادٌ وسائل
بما سا له منكم سواد بن قارب
عليكم صلاة الله ثم سلامه
بأصحابكم والآل يا كهف هارب (١)

" غزوة غوبر الوثنيين " :

أمن طلل خلا أم فقد قوم
ألفتهم تبيت بغير نوم
فكم خل فقدت رضى تقي
شجاع فاره سراد صوم
وكم طلل علمت بريم خال
وشمغل .. " كوكن " وغم غلم (٢)

---

(١) تزيين الورقات في بعض مالي من الأبيات ورقة ٤٦.
(٢) ريم وشمغل وكووكن وغلم : أماكن.

فتلك ديار "غوبر" والتـــــوارق

ولاة الكفر خاوية بظلـــــم (١)

وكم يوم بكُنّ لنا عليهـــــم

وطان غادا وغردم أي يـــوم (٢)

بأيدينا هلاك جميع غوبـــر

هلاك توارق برمـــاح زُرم (٣)

غداة يقودهم للحين جهـــلا

طبيلهم أغنبل دون علـــم (٤)

يوازره " زنافرة " وغوبــــر

وأهل كيا ومع غوغاء بـُــرُم (٥)

فأوردهم . بغافر حوض مــوت

فغر لأهله بلبـــاس نـــوم

وسابق حامد شيطـــان آدر

وزدى قدارهم أصحاب لـــؤم

ففروا عن جماعتهـــم وجـــازوا

مسيرة خمســـة في نصف يـــوم

---

(١) غوبر : احدى قبائل الهوسا الوثنية.

(٢) طان ، غادا ، وغردم : مواضع.

(٣) زرم : قربة.

(٤) أغنبل : قائد من قواد الوثنيين .

(٥) زنافرة أي المنتمون الى قبيلة زنفراوا وكياوا مدينة ، وبرم كذلك.

فما بالوا بآبال وخيــل
وأعبدهم وأثوبهم وطعم
وأحرار ثوءوا في زرم نحوا
ثلاث مئين توءذنهم بحزم
فتاب جميعهم عن جمع جيش
لزرم وصوبوا طلاب سلم

" اندحار بني غار الوثنيين ":

حمدا وشكرا لربي الواحد البارى
على هلاك طغاة من بني غار
على يدى جموع من جماعتنا
مهاجرين وفيهم جمع أنصار
أمامهم دعوات القادريّ لنا
إمامنا راجماتٌ جمعَ كفار
يخربون بلاد الكفر ان نزلوا
بدار كفر فساءت حال ذى الدار
يقودهم " بلٌّ " في خيل وفي رجل
بين الليوث كليث ثائر ضار
حتى أناخ على ساحات دارهم
فأصبحوا مثل عصف حط في النار
فأصبحوا لا ترى الاحصونهم
وليس فيها جميعا صوت ديار

وأسر طاغوتهم قد زاد ذلهـــم
مقيدا بينهم في ملبس العـــــار
يا أهل " غار " ألما يكفكم " كشنا "
والجار يسمع ما قد حل بالجـــار
كذا " كنو " مع " زكزك " وهي قربكم
و " زنغرا " مع " غوبر " نسل " بابار "
تلكم بيوتهم بالظلم خاويــــة
منهم وصاروا أحاديثا لسمـــار
بقدرة الواحد الجبار قاهرهـــم
فالحمد لله في جهر وإســـرار (١)

---

(١) تزيين الورقات ورقة ٥٥ .

الأمير محمد بللو :

هو محمد بللو بن عثمان بن فودى .

ولد يوم الأربعاء في شهر ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائة بعد الألف ، في بيت دين وعلم وولاية ،فأبوه هو الشيخ المجدد عثمان بن فودى الولى المجاهد . نشأ على سيرة حسنة وحالة حميدة من طلب العلم والفطنة والحفظ والادراك التام وقوة الحفظ وحدة العارضة وفصاحة القول ونصاعة الألفاظ وسعة البلاغة ،فأدرك في يسير الزمان ما لم يدركه غيره من الأحقاب المتطاولة ،فأحرز العلوم كلها واستولى على المعاني الموفقة والحقائق .

وتضلع بالأسرار والدقائق ،ولاحظته السعادة الالهية وأفردته التربية الربانية وسرت فيه نورانية والده الشيخ فعمته بركاته وخيراته فصار بحمد الله آية الله في أرضه فذا لا ينقضى عجائبه الى ما أوتى من الأخلاق الحميدة الكاملة والأوصاف البهية الشاملة واستبحاره في العلوم الأصلية والفرعية ومعرفة السياسات العقلية والشرعية وماجمعه من علم سير الأنبياء وآثار للأولياء وبراعة العلماء وحكم الحكماء وعدالة الخلفاء وما لا يحصى من المحاسن في الظاهر والباطن. (١)

صحب شيخه ووالده عثمان بن فودى ووازره وكفاه المهمات من أمره وجاهد الأعداء بالسيف والقلم فأنجع وفتح فتوحات عديدة كانت للمسلمين في الدنيا فتحا ونصرا ،ولهم في الآخرة ثوابا وذخرا . .

فجزاه الله عنا خير ما يجزى اماما عن أمته وبوأه منازل الرضوان والسلام.

---

(١) انفاق الميسور في تاريخ التكرور ص ٢١ طبعة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.

تربى في بيت علم وولاية بين أبيه الشيخ المجدد عثمان وعمه علامة الزمان وعربي السودان عبدالله بن فودى واخوة علماء ،فلا غرابة أن تجده أعلم من بعده. وأنه مع انشغاله بالحروب والسياسة والادارة ألف كتبا عديدة ما بين الظاهر والباطن ،وفي علوم الحرف والسياسات والادارة وفي الأديان والطب وأصوله والصيدلة وأنواعها.

وكانت خلافته بعد أبيه كخلافة أبي بكر وعمر بعد النبي صلى الله عليه وسلم . فانه رد أهل الردة الى الاسلام وكسر ملوك الكفار ومصر البلاد وأسبلها في الله للمسلمين حتى أحبه المسلم والكافر.

توفي عشية الخميس الخامس والعشرين من رجب الفرد من شهور سنة ثلاث وخمسين ومائتين بعد الألف من الهجرة الموافق ١٨٣٧م وعمره اذ ذاك ثمان وخمسون سنة الا شهرا.

وكانت مدة خلافته احدى وعشرين سنة وكان آخر كلامه في الدنيا : " لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك ثلاث مرات ثم قرأ قوله تعالى : * فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون * (١) ".

وقد بنى بيتا في ناحية من نواحي داره قبل مرضه / الذى توفى فيه يرابط فيها وكان كثيراً ما يذكر أن ذلك البيت مسكنه وأنه سينقل اليه.

ثم انه في مرضه الذى توفي فيه عين ذلك البيت بأن يدفن فيه كما عين ثيابا يكفن فيها ،وأوصى ألا ينقل الى " صكتو " عاصمة مملكته لأن نيته ومناه أن يقيم في موطن الرباط ويتوفى فيه ويدفن به ،لما يؤثر

---

(١) الاعراف ٣٤ .

أن المرابط اذا توفي في مكان رباطه ودفن فيه فانه لا يطوى سجلـه ويكتب له ما كان يكتب له حيا من الأجر والصواب الى يوم القيامة ...

ولذلك أوصى أيضا أنه اذا توفي في " وُرنو" ألا ينقل الى " صكتو" .

وقد أتم الله له ما نوى وتمناه من الاقامة بموضع الرباط والممات فيه والدفن به رضي الله عنه وغفر له وتغمده بواسع رحمته.(١)

تثقف على والده وعمه علامة الزمان وعربي السودان الشيخ عبدالله ابن فودى كما قرأ على أخيه الكبير محمد سعد النحو والتفسير، وقرأ على شيخه محمد بن أبي بكر الونكرى التنبكتي أصول السبكي وتسهيل ابن مالك وتلخيص المفتاح بمختصر السعدى وشرح الجزائرية والحكم العطائية وفرعي ابن حاجب ومنتقى الباجي وجامع معيار الونشريسي . وألفية العراقي وصغرى السنوسي ونظم ابن مقرعة والهاشمية في التنجيم مع شرحهما ، ومقدمة التاجورى ورجز المغيلي في المنطق والخزرجية في العروض بشرح الشريف البستي وتحفة الحكام لابن عاصم مع شرحها ،كما قرأ عليه تفسير القرآن العظيم .

وقد أجازه بخطه جميع ما يجوز له وعليه.(٣)

ومجمل القول أن صاحبنا قد قرأ جميع الكتب المقررة على طلبة العلم في عصره كما قرأ جميع الفنون التي اشتهرت في زمانه.

---

(١) نقلا عن الشيخ أبوبكر غومي .
(٢) انفاق الميسور ص ٢١٥ .
(٣) المصدر السابق ص ٢١٦ .

وقد خلف لنا مؤلفات قيمة منها :

١ - افادة الاخوان .
٢- القول المختصر .
٣ - الغيث الوبل .
٤ - انفاق الميسور في تاريخ التكرور .
٥ - الطب النبوى .
٦ - البدور المسفرة .
٧ - التحرير في قواعد التبصير .
٨ - القول المنثور .
٩ - القول السنا في الشمس بالسنا .
١٠- الطب الهين .
١١- الترجيح في صلاة التسبيح .
١٢- السيف المسلول .
١٣- القول المبذول في أحكام الغلول .
١٤- المسائل المهمة .
١٥- النسر فيمن بلغ سن الأربعين .
١٦- الدرر الزاهية في اوراد القادرية .
١٧- الترجمان في كيفية وعظ الشيخ .
١٨- الدالية .
١٩- التنبيهات الواضحات .
٢٠- النصيحة الواضحة .
٢١- القول المنعوت .

٢٢- الرسالة الشافية في الأمراض .

٢٣- الجمل النحوية.

٢٤- الاعلام بما يجب على الامام من حفظ بيضة الاسلام.

٢٥- آداب التوسل .

٢٦- تخميس البردة .

٢٧- تنبيه الاخوان على أودية الديدان.

٢٨- تنبيه السامع على أحكام سقوط الجامع.

٢٩- تنبيه أهل العقول .

٣٠- تخميس بانت سعاد .

٣١- تنبيه الأمراء على اصطناع صالحي البرداء .

٣٢- تنبيه الأفهام على أن المهدى هو الختام.

٣٣- تنبيه ذوى العقول .

٣٤- بيان الأركان .

٣٥- تعليق وجيز في شرح القصيدة الطبية.

٣٦- تنبيه الأفهام.

٣٧- تنبيه أهل الفهوم.

٣٨- تنبيه الجماعة على أحكام الشفاعة.

٣٩- تنبيه الصاحب على أحكام المكاسب.

٤٠- تنبيه الراقد .

٤١- تمهيد العماد فيما زاد على عمدة العباد .

٤٢- تنبيه الغافل في التوسل بأعظم المسائل .

٤٣- جلاء الصدور.

٤٤- جلاء الصمم .

٤٥- حليـة البصائر في الأحكام الأزمـة.

٤٦- ذكر المجددين .

٤٧- رفع الشبهة.

٤٨- رسالة أمير المؤمنين بل الى جماعة المسلمين .

٤٩- رفع الاشتباه في التعليق بالله وأهل الله.

٥٠- رحلـة البصائر .

٥١- رسالة الأمراض الشافية.

٥٢- سرد الكلام.

٥٣- شفاء الأسقام.

٥٤- شرح على البدماصي.

٥٥- شرح الصدور في تحرير جناية الرقيق على الحر.

٥٦- شمس الظهيرة فيما يجب على الوالي من حسن السيرة.

٥٧- ضجالة الراكب .

٥٨- عمل الساعـة .

٥٩- غيث الشؤوب في وصية يعقوب .

٦٠- فوائد مجملة فيما جاء في البر والصلة.

٦١- فضل الفاتحـة.

٦٢- فتح الباب في شأن الجيلي فرد الأحباب.

٦٣- قصيدة أمير المؤمنين الى أهل كنت.

٦٤- قصيدة أمير المؤمنين بل .

٦٥- متاب الذكرى .

٦٦- كف الاخوان عن اتباع خطوات الشيطان .

٦٧- كتاب النقول والنواطق .

٦٨- كشف الغطاء .

٦٩- كتاب الاشاعة .

٧٠- كشف القناع .

٧١- كفاية المهتدين .

٧٢- كف الاخوان عن التعرض لأهل الايمان .

٧٣- الكواكب الدرية في مصطلحات الصوفية .

٧٤- مجموع الأنساب .

٧٥- مفتاح السداد في أحكام الردة والموالاة .

٧٦- مفتاح السداد في ذكر الاقطاب الأربع الافراد .

٧٧- مرآة القلب .

٧٨- مسائل الجهاد .

٧٩- مصوغ اللجين في أمراض العين .

٨٠- مطية السلامة .

٨١- منظومة في شأن القطب .

٨٢- منظوم الدرر في شرح وظيفة حزب البحر .

٨٣- نصح كاف وفي المقصود ان شاء الله واف .

٨٤- نبذة في أودية البيدان .

٨٥- نصح كاف وللأمراض شاف .

٨٦- نظم ايساغوا جي في المنطق .

٨٧- نور الفجر .

٨٨- وثيقة أمير المؤمنين الى أبي بكر.

٨٩- وثيقة أمير المؤمنين الى جماعة المسلمين.

هذا وكان محمد بللو شاعرا مغلقا ، يميل في شعره الى نهج الجاهليين في المدح وشعر الحماسة ، ويمزج بين السهولة والجزالة في بقية أغراض شعره .. كما ينبض شعره الحماسي بالحياة والتدفق وطول النفس.

مختارات من شعره :

" الى شيخه الكنتي " :

وقال يمدح شيخه المختار الكنتي :

ألمم بساحة أحبابي وساداتي
واشف الجنان بهم من كل اعنات

واربع عليها وشم من مزن عارضها
برق الوصال وادرار المسرات

وانف الهموم وأشجانا تكابدها
فقد تخلصت من وعث المعرّات

وباكر الكرع من صهباء صافية
بقف لا نزق الأخلاق لسوّات

واحطط رحالك في أمن وفي دعة
فأنت آمن سرب وافر اللذات

فلا عليك فقد جاوزت ذا كرم
يحمي المجاور عن عات ومختات

ما خان عهدا ولا أزرى بجيرتـــه
ولا اشمئز لعافي العرف صـــواب

تلقى المكارم فيه وهي ملقيـــة
كف المكارم عن طوع واخبـــات

فكيف لا تحتمي من كل نائبـــة
وقد حللت بأكناف متينـــات

وجاورتك الكرام العرب عن عــرب
شم الأنـوف جميع غير أشتـــات

توارثوا المجد عن فهر وأعقبهـــم
بالفخـر عقبة فاستوفوا الكرامـــات (١)

كم أسبلوا ذيل عز من أقادمهـــم
واستحدثوا كل مجد غير فتّـات

وكم وفوا بمواثيق لهم وهـــم
من ولد وافى الحلا عالى المزيات

وأحرزوا خصل سبق من مفاخرهـــم
من كل ساع الى التقديم مصـــلات

ما زال سبقهم في الفضل متسقـــا
فيهم وفخرهم مستعلي الصّـــات

حتى تبلج صبح العز وانتشـــرت
أنواره منهم خير أوقـــــات

بأحمد القوم أخلاقا وأعرفهـــم
مجدا وأرفع قدرا في السياســـات

---

(١) اشارة الى نسب الغلانيين .

وواسع القوم علما ثم معرفة
لله في الوصف والأسماء والذات
وأبلج القوم ايقانا وأينهم
نقية ثم أدرى بالسياسات
ومن هو العلم المشهور سورته
ومن هو المورد المعسول للات
ومن تبلج من أضواء طلعته
نور الهداية عن سبل الضلالات
ومن تأرج من أكناف دارته
شذا الحقيقة من تلك الحقيقات
ومن تفجر من أمواج راحته
معارف هي ترياق الجهالات
ومن تصوب بصوب البر منه يد
تحكى هواطلها صوب الغمامات
ومن تبين من معنى عبارته
هدى الشريعة في أسنى المقامات
ومن تألف من معنى اشارته
يرى الحقيقة فتحا للبصيرات
ومن هدت منه أوراد توظفها
أهل السلوك الى أعلى المقامات
حتى أناخوا بها في كل مركبة
عز الوصول اليها بالدلالات

واستنزلوا بهداها عن معاقلهـــا
عنقاء مغربة في كل مرقـــات
ذاك الامام الذى في رحب ساحته
حططت رحلي وامست فيه حاجـات
ويستباح به في كل مأربـــة
أقصى المراد وأضعاف المثوبـات
أعني به السيد المختار من يـده
تهمي عوارف درّات فـــدّرات
به تدرعت من همي وعن كـرب
تغشى فؤادى ومن وسواس خنات (١)
ومن ذنوبي وأوزارى ومظلمتـي
فانني أختشى منها العقوبـات
ومن شدائد يرميني بها زمنـي
ومن مكائد ذى ضغـن ومن عات
بالسيد الغوث أنت المستغاث بـه
فاشفع بجاهك لي في محو زلات
ما أعظم الذنب الا أن جاهكـم
أحظى شفيع أرجى منه مرضات
فداركوني فقد خلفت منتبـذا
دون الرفيق بعيدا عن محـلات

---

(١) خنات : خناس .

قد جل خوفي وفي افضالكم طمـع
فها أنا اليوم في نفسي واثبــــات

ان تسعدوني بسيب من نوافلكـــــم
فقد تحقق لي نيل السعـــــادات

أو تلحظوني بعين من رعايتكــــــم
فقد تهوطت في ظل الكرامــــات

" بكائية هزجية " :

وقال يرثى أخته :

ايا دهرا لنا عات   تولى بالرزيـــــات
وهت أعشارها طـرا   لوقع من ملمـــــات
ولا درت لياليـنـا   تبكينك بعبـــــرات
وقد ذهبت بآبـاء   واخوان وأخـــــوات
وأعمام وعمــات   وأخوال وخــــالات
وذى قربى وذى رحم   وجيران وجيــرات
فان الموت أفناهـــم   فأضحوا بين أمـــوات
فأمست دارهم وحشا   بموتات خليــــات
ولولا خوف آثـــام   قرفناها وحوبـــات
ومطلع ما وراء المـوت   من هول العظيمـات
لهان علىّ شوقا فيـ   ـهم صعب المنايـات

لعمرك ما لنا الدنيـــا بدار للمســــــرّات
ولكــن دار أكـــــدار وأقدار مصيبـــات
وما أحـد من النـــاس من المـوت بمنجـــات
فطوبى لامرئ ولّـــى الى الاخرى بنيـــات
وأعمال لـه صلحـــــت وأخـــلاق نقيـــات
أعنا ربنا في كــــلـ ـل ما يفضي لجنـات
ويقصينا من النـــــار وأثقال شـــديـــدات
ويجمعنا وموتانـــــا بجنـــات رفيعـــــات
فراديس عَريضـــات وكثبـــان عليـــات
ويحظينا بنظـــرات اليه من الزيــــادات
فحمد للذى يقضـــي فيعدل في القضيـــات
وصلى دائما أبــــدا على خير البريــــات
وأصحاب لــــــه والآ ل سادات وقـــادات

* جهاد المرتدين :

بانت فعز على الفؤاد سعـــــاد
أيُرى لمن شطّت عليه فـــــؤاد
سعدية من آل بكر شعبهـــــا
قطن السيل مصيفها المعتـــاد

وتحل في البادين تنتجع الكـــلا

بمنى اذا ما أجدب الــــــرواد

حلفت على وعد ببرقـــة صــــــادر

ميعاد عرقوب لها ميعـــــــــاد

دع عنك ذكراهــا وذكرى مربع

حلته قبل رسومه الأوتـــــــاد

فدع العيون تجود دهرا سرمدا

بدموعهـا وتشقق الأكبـــــــاد

حزنا على نور أضاء بأرضنــــــــــا

وهو الهدى في الدين والارشـــاد

قلّ المتاع به كأن مقامـــــــــــه

(١)
ظمأ الحمار قد انتطته ثمـــــــار

خطب جليل حل حين نعوا لنـــا

ذاك الضياء فغاب فيه ســـواد

جلت مصيبتنا لفقد حياتـــــه

فاذا المصيبة بعدها تــــــزداد

نجم النفـاق وأشـمتت لوفاتـه

بصحابه الكفار والحســــــــاد

ثارت علينا في الجوانب كلهـــــــا

منهم خفافيش الورى الأوغـــاد

ظنا بأن يستأصلوا أصحابـــــــه

ولهم بكل محلة أجنــــــــــاد

----

(١)

والله يكلؤنا وينصر جمعنـــا
ولنا وقائع فيهم أشـــهـــاد

يزجيهم للحين أبرهة الغـــرى
فتحزبوا وتأهبوا وارتـــادوا

فغدا يمنيهم أمانـــي فريـــة
ويقودهم فتجمعوا وانقـــادوا

حتى اذا وردوا بساحة أرضنـــا
ضلت فراه وضلت الأجنـــاد

من بعد ما وردوا حياض منيـــة
حتى ارتووا منها وهم أكمـــاد

حمدا لمن قد ردهم وأبادهـــم
فضلا وربـي قادر وجـــواد

صلى الاله على الرسول محمـــد
وصحابه وهم لنا القـــواد

" انتصـار " :

يا دار سلمى باللوى فالبـــاب
قفرا لطول تراوح الأقـطـــاب

ولقد وقفت بها أسائل رسمهـــا
اذ لم أجد متكلمـا بجـــواب

ولقد عهدت بها الحلول يزينهـم
بين الوجوه ثواقب الأحســـاب

دع عنك ذكرى خودة وديارها
وأوانس جاراتها أتـــراب
واذكر بلاء معاشر من قومنـــا
ساروا الى الكفار بالهيجـــاء
زحفوا لهم وقت العشي بجحفل
فيه الجياد لواحق الأقـــراب
وجلالها وقوانس مرسومـــة
وصوارم في غمدها وقـــراب
فيه الرماح اذا تعد سنابـــل
للدخن في ابانه المنتـــاب
وبغتية وردوا عليهم يومهـــا
أشباه جنّ حازمين غضـــاب
سرنا الى " غمكي " وفرّ " الاسنون "
قوّاد أهل الشرك والأحـــزاب
نزلوا " كدابي " بالعتوّ وألبـوا
أهل القرى وبوادي الأعـــراب
لما تراءينا وأقبل جمعنـــا
جاشوا بأرماح لهم ونشـــاب
فاذا جماعتنا تسوق جموعهـــم
بقنا وكل مجرّب قضّـــاب
ولقد تركنا جمعهم بفنائهـــم
جزرا لطير سغب وذيـــاب

أبلغ " لِواشر " ان عرضت رسالــة
منى مغلغلة تغنى بصـــواب
ان تبتم بالصدق من أحوالكـــم
من نصر أهل الشرك والأنصـــاب
ورددتم أحرارنا نقبل لكـــم
واذا أبيتم فاتقوا أصحابـــي
حمدا لمن أسدى الينا نصـــره
فضلا وربي سيد الأربـــاب
صلى الاله على النبي محمــــد
والآل خيرتنا مع الأصحـــاب

* فهل بعد شيب من صبا "؟

لمن طلل عاف بذات بطـــاح
فأكناف دارات فذات بـــراح
وقفت به صحبي أسائل ربعــه
عن الحي أيا يمموا بسجـــاح
فدع عنك ذكراها وذكر رباعهـــا
وهل بعد شيب من صبا ومـــزاح
وحتى متى لا ترعوى بمواعـــظ
من الدهر بالآصال أو بصبـــاح
ولم تزل الدنيا تريك تقلبـــا
بأضداد أيام بدت بمتـــاح

تريك اجتماعا ثم تأتي بفرقــة
كجمع منى صدروا بيوم صــراح
وأنت الى الشهوات دهرك مسرع
مضيع سبيل سلامة وصــلاح
مطيع هوى في أخذه عرض عــرى
فيا بئس هرّاج الردى وطــلاح
فهلاّ رجعت وتبت من كل وصمــة
وهلاّ سلكت سبيل أهل صــلاح
وهلا عكفت على القران تدبــرا
ففي فهم ما هو فيه كل نجــاح
وهلا حبست النفس في مشهد الرضا
لاطفاء نيران وفوز قـــداح
وهلا عزمت على الجهاد بعــدة
سيوف وفتيان الوغى ورمــاح
وهلا أقمت على الجهاد مرابطــا
وهلا حرست بها جميع ســلاح
وهلا صمتَ عن الفضول معوضــا
بذكر الاله وهو نيل ربــاح
الى الله أشكو حال نفسي وضيمها
وقد لكشت واشتد برح احــاح
فمنك أرجو توبة وصلاحهــا
وغران ذنب سابق وجنــاح

محمد البخـــارى :

هو محمد البخارى بن الشيخ عثمان بن فودى .

ولد سنة ١٢٠٠ هـ - ١٧٩٤ م في بيت علم وولاية .. فأبـــوه هو الشيخ عثمان بن فودى الولى المجاهد .

نشأ على سيرة حسنة وخصال حميدة من التقوى والزهد والورع وجهاد في سبيل الله .. فقد كان من الذين جاهدوا في بلاد " نـفـا " وابلو في ذلك بلاء حسنا .

تربى في أحضان والده وعمه الشيخ عبدالله بن فودى .. وأخذ عنهما وعن بعض أخوته العلم فبرع في علوم عصره ، وكان لعمه عبدالله ابن فودى اليد الطولى في تثقيفه وتربيته تربية روحية .

توفى سنة ١٢٥٥ هـ - ١٨٤٩م وهو ابن خمس وخمسين سنة ، بعد حياة مفعمة بأعمال جليلة ممثلة في الجهاد بالسيف والقلم واللسان ..

وكان محمد البخارى شاعرا رقيقا مرهف الاحساس ، يمتاز شعـــره بالعذوبة والسهولة والرقة والتدفق والانسياب وحرارة العاطفة ..

مختارات من شعره :

" بالأسياف لا بالدفوف " :

الا أبلغ عتيقا من أخيـــــــــــه
ومحض النصح ينفـــع من يعيـــه

أتقصد بالفجور أخا كريمـــــــا
يدافع عن حماك وتزدريـــــــــه

وتغرى كل ذى سفه عليـــــــه
معاذ الله من سفه وتيـــــــه
فان تطمع بذلك نيل ملـــــــك
يطيب به المعاش وترتضيـــــه
فان الملك بالأسياف لا بالـــد
دفوف ولا بشقشقة السفيـــــه
وكن كأخيك " بِلّ " تفز بملـــك
وتعلو فوق كل أخ نبيـــــــه
هو الكرم الذى قد كان نـــورا
لنا من بعد سيدنا أبيـــــه
فان مدت حياة أبي علــــــي
نعش في العز والعيش الرفيـــه
والا فالفرار الى لصـــــاب
وخرق بلقـــع من أرض تيـــــه

" جهاد المرتدين " :

أمن أم محـــمد طلــــــلان
مخلولقان " بجن " ذى القيمان
وجنب " ثامَيْ " ذى الربا عفاهما
قدم وكل أجش ذى هطـــلان
أقوت ديارهما سنين فما تـــرى
فيها سوى الآرام والريـــلان (١)

---

(١) الريلان : جمع رال وهو ولد النعام.

ولقد أطلت بها الوقوف وصحبتي
نسل الديار عن أهلها الخـــلان
فأجابنا من بعد طول تائـــل
أنتم ومن تسلونه ســــيان
كيف الثواء والاصطبـار بهـذه
الأوطان بعد أولئك الأعيـان
بل من لكروان تهدد أعقبـا
وثعالب تسطو على أســدان
فاصبر فلست على الزمان بقادر
من عاش يلق عجائب الأزمـان
أبلغ لأعدائي اذا ما غرهـم
حلمي وامهالي لهم وليـان
اني امرؤ عند الأحبة طغـرس (١)
حلو ومر للذى عادانـــي
أوما علمتم انني يوم الوغـا
أروى قناتي من دم الأقـران
وأطا عن البطل الكريه نزالـه
ان صد عنه أماثل الشجعـان
وأذود عن قومي وعن أحسابهـم
أهل النواء بشكة ولســان
حولى أسود ضاريات من بنـى
موسى وليد وجاء أهل طعـان (٢)

---

(١) طغرس : أى لين سهل .
(٢) يشير هنا الى نسب الفلانيين .

سل أهل "زنغر"[١] عنهم يوم التقوا
"بابيت"[٢] بعد تحزب السودان
من أهل "باور"[٣] كلهم وكتنكرو[٤]
وسواهم من ناصرى الشيطـــان
يوم استخف الرعب كل مشجـــع
بطل وطارت نفس كل جبـــان
ساروا الينا واثقين بطولهـــم
بعرمرم كالليل ذى أركـــان
فأمدنا رب العلا بسكينـــة
وكتيبة من قوة الايمـــان
راجين اجدى الحسنيين لجمعنا
من جنة أو نصرة الرحمـــان
صالوا وصلنا بالشجاع وسعـــرت
نار الوغى وتناذر الجمعـــان
وتصابر الصفان تختلف القنـــا
حينا وأوغلنا هم بطعـــان
فأعزنا رب العباد بنصـــره
وأذل أهل الكفر بالخـــذلان
ولوا وخيل الله تردى وسطهـــم
تسقيهم كأس الردى وهـــوان

---

(١) سبق أن أشرنا الى انها قبيلة وثنية.
(٢) ، (٣) ، (٤) مواضع .

ولقد تركنا جلهم في معـــــــرك
جزر السباع وأسغب العقبـــــان
هذا وكم لي من مشا هد جمـــــة
مشهورة في سائر البلـــــــدان
كانت لنا عـزا وعند الله مـــــا
قد جاء وعدا منه في القــــرآن (١)
فله المحامد اذ حباها نصــــره
وأعزنا مع كثرة العصيــــــان
واليـه نضرع أن يديم لجمعنـــا
نصرا وتشريفا مدى الأزمـــان

* وقعة "كداكي" :

ألا من مبلغ عنى كلامـــــــي
لقومي بعد توفير الســــلام
بأنا قد أتينا أهل غوبــــــر
بجمع فيـه آساد التحـــام
كرام من بني روم بن عيـــص
وعقبة أبرآء مـــن المـــلام (٢)
بأيديهم سيوف راسبـــــات
مترات الجماجـم والبنــــام

---

(١) اشارة الى قوله تعالى * ان الله اشترى من المؤمنين . . *.
(٢) يشير هنا الى نسب الفلانيين .

وتحتهم خيول ضامرات
طوال جافلات كالحمام
نقودهم بتدبير ووعظ
وتشويق الى دار السلام
الى أن قد أتينا بعد ظهر
ديار القوم في لجب لهام
وقد جمعوا توارقهم جميعا
ومن يحميهم من آل حام
فصفوا واستعدوا ثم طاروا
علينا بالرماح وبالسهام
فشد عليهم نفر كرام
فولى عنهم جمع اللئام
فذاق الموت من بركت عليه
وبالناجين أظفار دوام
فغادرنا كماتهم وكبشهم جزر لخامعة الظلام
قتلنا منهم ما ليس يحصى
وأبنا بالغنيمة والسلام

" بكائية في ابن خالته " :

أسلت أيا رزء الهمام أبي بكر
لعيني دما بعد الدموع على نحري

فتى لا يـــزال الدهر يولى جميله
ويلقى الرماح والصوارم بالصـــدر
تراه اذا ما الحرب شبّ ضرامهـــا
يصون كضرغام هزبر أبي أجـــر
لنعم الفتى قد كنت للحي جُنّـة
تذود الردى عنهم برأيك والسمـر
وغوثا لمكروب وكهفا لعائـــذ
وغيثا على العافيـن في ساعة العسر
فما زال غيث من رضي الله ربنـــا
يسيل على قبر "بَدَنْد" [1] مدى الدهر
أقول لنفسي أسوة وتجلـــدا
وقد غيضت أشجانها فضل الصبر
أقلّي فان الموت حتم على الـــورى
وكل امرىء يوما يسير الى القبـــر
هنيئا له نيل المنى من شهـــادة
وتطهيره من كل ذنب ومـــن وزر
وروح وريحان وأمن ورحمـــة
وما وعد الشهدا من الرزق والبشـــر
ونيل الرضى والقرب من خالق الورى
وجنات خلد والشفاعة في الحشـــر

---

(١) دند : موضع .

الوزير الجنيد :

هو محمد الجنيد بن البخارى بن أحمد بن غدادو بن ليـم بفتح اللام وسكون الميم ..

ولد سنة ١٣٢٢هـ - ١٩٠٧م في بيت دين وعلم ووزارة .. وهو من أحفاد السيدة أسماء "نانا" بنت الشيخ عثمان بن فـودى الشاعرة ..

نشأ في كنف والده فتثقف عليه ودرس عليه معظم العلـوم التي كانت تدرس يـومئذ، ثم تتلمذ أيضا على الشيخ مالم بوبي والشيخ محمد الأول وزير زاريا مستفيدا منه ومفيدا ..

قام بعدة رحلات الى الشرق فزار من البلاد العربية مصر والعراق وليبيا والسودان والقدس .. وقد كتب عن بعض هذه الرحلات.

له عدة كتابات ومقالات منها :

١ - ضبط الملتقطات .
٢ - افادة الطالبين ببعض قصائد امير المؤمنين محمد باللو .
٣ - عرف الريحان في التبرك بذكر الشيخ .
٤ - ديوان قصائد الوزير .
٥ - تفريج النفس بذكر زيارة العراق والقدس.
٦ - روائع الأزهار من روض الجنان.
٧ - متحف الاخوان لما أتى في الكشف والبيان.
٨ - تحفة الاخوان ببعض ما لشيخنا عثمان من كرامات .
٩ - تعليق وجيز .

١٠- تجديد ذكر السادات .

١١- تجديد ذكر الشيخ .

١٢- نسق كتاب سعد على حروف أبجد .

١٣- نيل المرام .

١٤- تأنيس الأحياء .

١٥- اسعاف الزائرين .

١٦- التحفة السنية .

١٧- قلائد العقيان .

١٨- تسلية القلوب .

١٩- تنبيهات أمير المؤمنين محمد بللو .

٢٠- مجموع الدعوات والتوسلات.

٢١- اتحاف الحاضر بمرأى المسافر.

هذا ويتمتع الوزير الجنيد بشاعرية نادرة فهو جيد الشعر ،يمتاز شعره الغنائي بالتدفق والانسيات والتعبير التلقائي ،مزاوجا فيه بين الجزالة والسهولة ،كما يجنح في شعره التعليمي الى الرقة والسهولة، وهو الجنس الذى أكثر منه إكثارا . .

مختارات من شعره :

"مناجاة الطلول " :

ظعن الذين عهدت في ذا النادى

ماذا وقوفك في الطلول تنادى

وعلام تبكي من بكاء حمامـــــة
في ايكة تشدو على التـــــرداد
والدمع يجرى فوق نحرك سائـــلا
كالماء يجرى في مسيل الـــوادى
ذهبوا وغير رسم دارهم البلى ال
المردى وطول تهجر وبعـــاد
حتى كأن ذراهم لم يغشهـــا
ذو حاجة من رائح أو غـــادى
صارت مراتع للوحوش بعيـــد أن
كانت مقاصد حاضر أو بـــادى
أقوت فلست ترى بها أحدا سوى
الحرباء لائذة على الأعـــواد
قامت تخاطبني فعز كلا مهـــا
وَلَكُمْ سكوت معلن بمـــــراد
وتدير عينيها تشير بـــذاك دو
ر الدهر غير ما ترى في النـــادى
وتلونت ففهمت منه تلون ال
أحوال في الدنيا فعز رقـــادى
لم لا أناد في الطلـول وهذه ال
أطيار فوق غصونهن شـــواد
ألوانها ما بين أبيض ناصـــع
أو أحمر أو مشرب بســـواد

تشدو وترقص فى حلى أرياشها
رقص القيان بحلة الأعياد
أسفى على طلل يمازحني متى
ناديت خالفني على المعتاد
ناديته ياأيها ذا النادى
فأجابني يا أيها ذا النادى
لما سكت دنت إليّ حمامة
مخبرة تهدو كلون رماد
فسألتها أين الذين عهدتهم
قالت لقد بلغوا على الميعاد
قلت اخبريني من تخلف بعدهم
قالت تخلف دولة الأكراد
مالي أرى دول الكرام وضيعة
قالت علتها دولة الأوغاد
فسألت ما خلق الذين تخلفوا
قالت ذوو فحش ذوو أحقاد
لا تكذبيني يا حمامة اكشفي
قالت ذوو حسد ذوو افساد
هل يحسد الرجل الكبير صغيره
قالت فذلك عادة الأكراد
فسألتها مالي أراك هزيلة
قالت لكثرة لوعتي وسهاد

ما بال لونك مغبرا متغيــــــرا
قالت لبست علي ثوب حـــــداد
ماذا وقوفك هاهنا في وحشـــــة
قالت لأندبهم على الأوتـــــاد
هلا قفوت اليهم آثارهـــــــم
قالت قعدت لقلة الأزواد
رحم الاله جميع من مكثوا هنــــا
آمين وشتت دولة الأوغــــاد
وأعاد دولة من عهدت بهم هنا
أهل التقى والجود والارشـــاد
ثم الصلاة على النبي وآلـــــه
وصحابه أبدا الى الميعــــــاد

"دموع على أخت شيخه"

عظم المصاب فعز فيه عـــــزاء
ونمى البكاء ولا يفيد بكـــــاء
حار الفؤاد فليس يبصر مسلكـــا
للصبر أو يأتي اليه شفـــــاء
وجرى الدموع على الخدود كأنهـا
فوارة أو مزنــة هطـــــــلاء
وبقيت مكتئبا وزادت وحشتـــي
و جزعت يوم توفيت حـــواء

لا رزء أعظم عندنا من فقدهـــا
قد أزعجت من موتهـا الصلحـاء
ميمونـة أخلاقها مرضيـــة
أفعالهـا شهدت بـه النبـلاء
أحسن بها صوامـة قوامـــة
ومتينة من دينهـا شمـاء
زهادة وراعة دراســـة
القرآن قد شهدت بذى الأنـاء
وتبيت دائمة الخشوع لربهـــا
ولذكره حتى يـغـس الامساء
ويظل ذكر الموت يزعج قلبها
وبربها أنى يكون لقــاء
دأبا تحذر من متابعـة الهـوى
علمت بذا القربـاء والبعـداء
ويسرها ما سر أهل الله مـــن
قول وفعل نفسها سمحــاء
أبدا تحاسب نفسها وتراقـــب
المولى على ما تفعل الرقبـاء
وتبيت باكية العيون لخوفـــه
بتواضع يرضى به الأدبـــاء
نفاعة للناس بالتفسيـر والـــ
إقراء قد شكرت لها الطلبـــاء

حمالة الأثقال بل حنانـــــــة
للمعتفين وكفها معطـــــــاء
ما كنت أقدر عدهاتيك الحلـــــى
يكفى القليل وفي القليل كفــــاء
فالله يرحمها ويشكر سعيهـــــــا
ويعمها منه الرضى وحبـــــــاء
فالله يرحمها ويوسع قبرهـــــــا
بمحمد ويعم فيه ضيـــــــاء
فالله يملأ بالنعيم ضريحهـــــــا
ويزورها السعداء والشهـــــداء
فالله يونسها ويذهب خوفهـــــا
وتكون حيث تبوأ الأمنـــــــاء
يا رب ألحقها بخير الانبيـــــــا
وبمن هم من بينهـــم رحمـــــاء
واغفر لها يا رب وارحمها وكـــــن
متفضلا يا من لـــــــه الآلاء
كن خير كاف نسلها واحفظهـــــم
من كل شر ما بـدا الامســـــاء
ثم الصلاة على النبي وآلـــــــه
ما أنشدت أشعارها الشعـــــراء
يتلو السلام عليه مع أصحابـــــــه
والتابعيـــن متى استجيب دعـــاء

" في طريق الى خرطوم " :

خرجنا بعون الله في "غلس"(١) الى ال
مطار وكنا كالطيور البواكر
فطارت بنا من " برو"(٢) ولاجة الهوا
تدافع أمواج الهوا في الهواجر
تخوض عباب الجو عند ارتفاعها
وتملأ من صوتها بالزواجر
مجوفة فيها كراسي صففت
ملينة بالخيش برا لزائر
ونفعل فيها كل شيء نريده
كأكل سوى تدخيننا بالسجائر
نزلنا " جنيه " للغذاء وبعد ذا
ك طرنا ولم ننزل سوى عند " فاشر"(٣)
فعدنا اليها ثم طارت وشرقت
وقد بعدت عنا أراض النياجر
الى أن انختاها وفازت يد النوى
بخرطوم(٤) فانجابت هموم المسافر

---

(١) غلس : مدينة.
(٢) برو :
(٣) جنينه وفاشر : مدينتان.
(٤) عاصمة السودان.

وعند غروب الشمس تم نزولنـــــا
فأقبل ليل مسدل بالدياجـــــر
فلاحت لنا بالكهرباء كأنهـــــا
نجوم بدت أو كالبدور السوافـــر
فلما انتهينا واطمأنت نفوسنـــا
نزلنا "بلوكند" البهى المناظـر
به ألف مصباح تضيء كأنهـــا
وجوه حسان في معالي المنابـــر
على شاطيء النيل المبارك قد رسى
نشم الصبا منه بعرف القنابـــر
نمتع فيه كل يوم عيوننـــــا
بما نشتهيه مثلج للضمائـــــر
زوارقه تأتي وتذهب دائمـــا
تميس على التيار ميس الحرائـــر

" تضرع الى الله " :

يا رب أنت الذى ينجو به الناجـــي
من كل شر مضر في الورى فـــاج
ادرك بنا يا غياث المستغيث بـــه
انا لفي ليل حزن في الحشـــا داج
فرج ونفس سريعا كربنا وقنـــا
شر العدى مشد منهم ومدلاج

استضعفونا وصاروا يهزؤون بنـــــا
تكاد فتنتهـــم ترمى بأمـــــواج
يا رب رد عليهم شرهم وقنـــــا
من بـــأسهم واهمنا من كل ازعاج
شتت أمورهم بدد جموعهـــــــم
وانزل عليهم ببأس منك عجـــــاج
" قد أفسدوا الدين والدنيا لحمدهم
ترى علامتها من بيـــــــن أوداج"
تتبع لعيوب الناس ديدنهـــــــم
ما بين منهمـــك منهـــــم وولاج
الخير ما فعلوا والشر ما تركـــــوا
ورأيهـــم أخذوه خـــير منهـــــاج
فقد قصدتك في أبطـــال ما صنعوا
وأنت يا رب كافق الخائف الـــــراج
يا رب ان العدى يسعون في تلفي
ويزعمون بأني لست بالناجـــــــــي
يا رب صل صلاة لا تُعدّ علـــــى
من قد خصصت باسراء ومعــــــراج

" نصائح " :

جهلت ولكن أذهلتك الفوادح
وكيف يطيش العقل والأمر واضح
جهلت بعيد العلم من عُظّم ما ترى
لذلك لا يجديك بالنصح ناصح
نسيت بما يطلى عليك دروسه
زمانك قبل اليوم والزهر فاتح
وما كان يمليه الكتاب عليك من
عجائب دهر صرفه لك شارح
فلا تخش من جور الزمان وكيده
فما زال قدما بالرجال يناطح
والا فأين الأولون وما بنوا
وهل يقي المرجوح منهم وراجح
كفاك اتماظا ياأخيّ فلا تكن
كمن يشتكي الاظلام والصبح واضح
ورد جميع الأمر أمرك كله
الى الله لا يثنيك عنه الملاح
وفوض اليه الأمر يكفيك كلما
عراك فان الدهر آت ورائح
وسلم اليه الأمر وارض بحكمه
ومن يعتصم بالله ذلك رابح
الهي اكفني دنيا وأخرى وبرزخا
واحسن ختامي يوم تبكي النوائح

وصل على المختار أحمد من بــــه
تلوذ ليوم عز فيه المسامــــح
وسلم عليه ثم بارك وآلــــه
وصحب أولى الخيرات ما ساح سائح

" لا منجا ولا ملجأ من الله الا اليه " :

نام الخلي ولم تنم عينــــاك
مضنى الفؤاد لعظم ما يغشاكــا
ألذكر سلمى حين شطت دارهــا
أم نوح ساجعة الدجى أبكاكــا
أم نفسك السهوى الخبيثة سلطت
سهم المكائد باغتا فرماكـــا
هلا الى مولاك تبت ولذت لا
ملجأ ولا منجا سوى مولاكــا
فوض اليه الأمر كلا واطلبــن
منه فيكشف كل ما آذاكـــا
وتوسلن بمحمد خير الــورى
وتشفعن به لكل دعاكـــا
صلى عليه الله مع أصحابــــه
شهب الهداية نورت أحلاكــا
ربى به وبهم جميعا نجنــي
وأدم لقلبي دائما ذكراكـــا

وأذقه لذته ومعرفة معـــــا
والزهد في الدنيا وحب لقاكـــــا
وادفع خواطريَ الرديئة كلهـــا
عني وثبت في الفؤاد هداكـــــا
واختم حياتي بالسعادة مؤمنـا
بك يا الهي فائزاً برضاكــــــــا
وارحم الهي والديَّ واخوتـــــــي
واغفر لهم ولكل من لباكـــــــــا
وأدم صلاتك والسلام على الـــذى
أخزيت شانئه بأعطيناكــــــا
وعلى صحابته الكرام وآلـــــــــه
ما فاز عبد بالمنى ناداكـــــا

الفصل الثالث :

الملامح المميزة للشعر العربي في غربي افريقيا .

من خلال دراستنا للشعر العربي في غربي أفريقيا ، نستطيع أن نحدد الملامح المميزة له فنيا فيما يأتي :

أ : امتزاج الروح الدينية بمختلف أغراض أشعارهم ، كما امتزج وصف الطبيعة في أشعار الأندلسيين بمختلف أغراضهم ..

ومن أمثلة ذلك قول عبدالله الوزير في بائيته التي وصف فيها فساد أهل زمانه :

يقولون ما لا يفعلون وتابعوا
هواهم وطاعوا الشح في كل واجب

مستوحيا فكرته من قوله تعالى :

﴿ ياأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ (١).

وقوله تعالى : ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه .. ﴾ الآية (٢).

---
(١) سورة الصف الآية ٣ .
(٢) سورة الجاثية الآية ٢٣ .

ويظهر ذلك في قوله أيضا :

وليس لهم علم ولا يسألونه

وأعجب كل رأيه في المذاهب

فهو في هذا البيت يشير الى عدم امتثال القوم بمبدأ الاسلام في قوله
تعالى : * .. فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون * (١)

وقوله كذلك في تهاونهم بصلة الرحم :

وقطع أرحاما وأرزى معارفا

وآثر عن قرباه جمع الأشائب

مستلهما فكرته من قوله تعالى :

* ... ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض
أولئك عليهم اللعنة ولهم سوء الدار *. (٢)

وقوله أيضا في عدم تعميرهم للمساجد :

وما همهم أمر المساجد بل ولا

ومدارس علم بله أمر الكتائب

مشيرا الى قوله تعالى :

* انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر .. * (٣)

---

(١) سورة النحل الآية ٤٣.
(٢) سورة الرعد الآية ٢٥.
(٣) سورة التوبة الآية ١٨.

ويقول الشاعر اسماعيل في الرثاء مبينا حال الدنيا التي تنفـــد
ومحذرا من الاغترار بها :

اللـه أكبر ذى الدنـا لفنـــــا*
خلقت وما خلقت أخى لبقــــــا*
دار كثير حزنها و همومهـــــــا
ما أضحكت الأنت ببكـــــــا*
كانت على كدر ونحن نرومهـــا
تبقى لنا بمسرة وصفـــــــا*

وهو ينظر في ذلك الى الآيات الكريمة :

* كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام * (١)

وقوله تعالى :

* ... وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور *. (٢)

ويقول الشاعر ذو النون في المدح :

أما يتيم عند هـذا الشيخ لـــم
يقهر وسائل جوده لم ينهـــر

مقتبسا من قوله تعالى :

* فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر * (٣)

---

(١) سورة الرحمن الآية ٢٧.
(٢) سورة الحديد الآية ٢٠.
(٣) سورة الضحى الآيـة ٩ ، ١٠.

ويقول أيضا في الرثاء راضيا بالقضاء والقدر :

فما لنا بعده الا الرضى بقضـــــا

* الله بارى البرايا كاشف الكـــــرب

والرضا بالقضاء والقدر من صميم مقاصد الاسلام بل هو من أركـــــان الايمان الستة .

وها هو ذا أحمد عيان سه يقول في الرضا والصبر على القضـــاء والقدر وذلك في رثائه للشيخ زين الحامدين :

يا أهل فوت نعى الناعون سيدنا

فلتصبروا فعظيم الأجر للصبــــــــر

ليس البكاء بمجد فيه خردلـــــــة

والصبر أجمل للمقدور والقــــــــدر

لو كان يفدى فديناه بأنفسنـــــا

والموت لم تنج منه شدة الحــذر

وهو ينظر الى قوله تعالى :

* ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ، الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانــــا اليه راجعون *.(١)

وقوله تعالى : * أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة *(٢)

----

(١) سورة البقرة الآية ١٥٦-١٥٧.

(٢) سورة النساء الآية ٧٨.

و يقول أيضا في فناء البشر والمخلوقات جميعا :

و من على الأرض فان لا بقاء لـــه
ولو تمطى الى الجوزاء أو زحـــل

وهو اقتباس من آية سورة الرحمن التي سبق أن أشرنا اليها.(١)

ويقول أيضا داعيا القوم الى الاعتصام بحبل الله المتين :

ماذا التدبر والاسلام يجمعكـــم
والطبع واللون والأنساب والوطـــن
صلوا عقود حبال الوصل بينكـــم
ولا تكن بينكم يا قومنا الاحـــن

وهو في هذه الأبيات يستلهم قول الله عز وجل :

* وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم *(٢)

وقوله تعالى :

* واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا .. *.(٣)

و يدعو القوم الى تعمير الأرض و نبذ الخلافات فيقول :

و لتعمروا بلدا تستوطنون بـــه
ولتملأوه بساتينا وأمـــــوالا
بذاك فابغوا رضا الرحمن واتبعوا
مراده في بقاء النـــاس أجيـــالا

---

(١) وهي الآية رقم ٢٧.
(٢) سورة الانفال الآية ٤٦.
(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٣.

لا تفشلوا بنزاع سوف يهلككـــم

مستمسكين بما المولى لكم قــــالا

وأحمد عيان سه في هذه الأبيات يستقي أفكاره من قول اللـــه جل وعز * هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها .. * (١) وقولـــه أيضا في آية الأنفال السابقة. (٢)

و يقول أيضا في وصف مدينة "أندر" :

سماء صحو نجوم الأرض تكلوء هـــا

قد أشعلت لرجوم الجن اشعـــالا

فقد استوحى فكرة رجم الجن مسترقي السمع بالنجوم الثواقـــب من مجموع الايات الأربع من سورة الصافات من قوله تعالى :

* ان زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ، وحفظا من كل شيطـان مارد ، لا يسمعون الى الملإ الأعلى و يقذفون من كل جانب ، دحـــورا ولهم عذاب واصب ، الامن خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب *. (٣)

وها هو ذا القاضي مَجَحْتَ كَل يمدح الأمير لتجـور بقيامـــه بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيقول :

بشرى لقد شاد دين الله "لتجـور"

فأحيي اليوم بالاسلام " كجــور"

---

(١) سورة هود الاية ٦١.

(٢) وهي الاية رقم ٤٦.

(٣) من الاية ٧ الى ١١.

تلغيه يأمر بالمعروف عسكـــــــره

كأنما جاءه من ربه النــــــور

وهل ترى ناديا فيه تمربـــــه

الا ويسمع تهليل وتكبيــــــر

وفكرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أساسيات مبادئ الاسلام وان الخيرية التي وصفت بها أمة محمد عليه الصلاة والسلام منوطة بالقيام بهذه المهمة على أكمل وجه .. يقول تعالى :

* كنتم خير أمة أخرجت للناس ،تأمرون بالمعروف وتنهـــون عن المنكر وتؤمنون بالله ... *(١)

ويقول الشاعر أيضا في الممدوح نفسه مشيدا بجهاده :

أقام سبعة أعــوام يبارزهـــــم

حتى رأوا أن جند الله منصـــور

وهو ينظر الى قوله تعالى :

* ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ،انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون *.(٢)

ويقول أيضا في القصيدة نفسها :

حمدا اذا ما النصارى أخرجوا فلنـا

من بعدهم لديار الدين تعميـــر

---

(١) سورة آل عمران الاية ١١٠.

(٢) سورة الصافات من الاية ١٧٢- ١٧٤.

أخرجتهم بحروب ذكرها أبـــدا

باق بقاء جبال الأرض مشهـور

مشيرا الى المطلب الأساسي لخلق الله الانسان من على هـذه الأرض وهو تعميرها بالطاعة والعبادة ونفع العباد.(١)

وتقول أسماء بنت الشيخ عثمان بن فودى في رثاء صديقتها :

وذكرني موت الحبيبة من مضـى

من الأخـوات الصالحات العقائل

من الصالحات القانتات لربهـم

من الحافظات الغيب ذات النوافل

ناظرة في صفاتها الى قوله تعالى :

* .. عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكـن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات ثيبات وأبكارا *.(٢)

وقوله تعالى * ... فالصالحات قانتات حافظات للغيـب بما حفظ الله .. *(٣)

وتقول في ذلك أيضا :

واني لحكم اللـه راض وانمـا

أراعي بما قد قلت حق الأخـوة

---

(١) يراجع الآية السابقة من سورة هود رقم ٦١.
(٢) سورة التحريم الآية ٦.
(٣) سورة النساء الآية ٣٤.

وأبكي عليها بالدموع ترحما
وشوقا وتحنانا لصدق المودة
ولم ينه عن هذا النبي وانما
نهى عن صراخات بآه وآهة

مشيرة الى ممنوع البكاء والحزن على الميت.

ويقول محمد البخارى في الجهاد مشيرا الى وعد الله الصدق للمجاهدين :

فأمدنا رب العلا بسكينة
وكتيبة من قوة الايمان
راجين احدى الحسنيين لجمعنا
من جنة أو نصرة الرحمن
فأعزنا رب العباد بنصره
واذل أهل الكفر بالخذلان

فأفكاره في الجهاد كلها مستقاة من تعاليم الاسلام في هذا الباب ، فالله تعالى يمد المجاهدين في سبيله بالسكينة بقوة ايمانهم به.يقول تعالى :

* ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ... * الآية (١)

والمجاهدون في سبيل الله يرجون احدى الحسنيين ،اما النصر واما الشهادة وكلاهما خير للمؤمن ... فالله تعالى يقول :

* يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم * (٢)

---

(١) سورة التوبة الاية ٢٣.
(٢) سورة محمد الاية ٨.

ويقول أيضا :

* ... والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم ، سيهديهم ويصلح بالهم ، ويدخلهم الجنة عرفها لهم *. (١)

والله ناصر المؤمنين والمجاهدين ومذل الكفرة والملحدين ، يقول تعالى :

* ... وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين * (٢) ،

ويقول عن الزهد في الدنيا :

وازهد عن الدنيا فان نعيمها
أضغاث أحلام وظل زائل

متأثرا بقوله تعالى :

* وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور * . (٣)

ويقول في الرثاء :

أقلي فان الموت حتم على الورى
وكل امرىء يوما يسير الى القبر

ناظرا الى قوله تعالى :

* .. كل نفس ذائقة الموت *. (٤)

---

(١) سورة محمد الاية ٧ .
(٢) سورة التوبة الاية ٢٧ .
(٣) سورة الحديد الاية ٢٠ .
(٤) سورة آل عمران الاية ١٨٥ .

وها هو ذا محمد سنمبو يقول في لاميته الزهدية :

ليس للانسان الا ما سعــــــى

فليكن سعيك احسان الفعــــال

مستلهما قوله تعالى : * وأن ليس للانسان الا ما سعى ، وأن سعيه سوف يُرى * .(١)

وفيها يقول أيضا :

كف عن أمر اذا ما اشتبهـــــا

تنج من خوض غارات الوبـــال

راميا الى قول المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم :

" دع ما يريبك الى ما لا يريبك ".(٢)

ويقول أيضا :

واكظم الغيظ ولا تغضب علـــى

طيش جهال هم أهل الضـــلال

مقتبسا من قوله تعالى :

* والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين *(٣)

---

(١) سورة النجم الآية ٤٠ - ٤١.

(٢) رواه الترمذى والنسائي .

(٣) سورة آل عمران الاية ١٣٤.

ويقول أيضا في التقوى :

ولباس البر والتقوى البســـن

وتعمــم بحميــدات الخصـــال

جامعا مقاصد الاسلام في الحث على البر والتقوى والتخلق بمكارم الأخلاق وناظرا الى قوله تعالى : ﴿ ... ولباس التقوى ذلك خير .. ﴾.(١)

ويقول في مراعاة حق الجار :

وأذى الجار ابتعد عنــــه وان

هو آذاك فقابــل باحتمــــال

مستوحيا قول الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام :

" والله لا يؤمن والله لا يؤمن و الله لا يؤمن ، قيل : من يا رسول الله ؟ قال : من لا يأمن جاره بوائقه ".(٢)

" ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره ".(٣)

ويقول أيضا في حفظ الأمانة ووفاء العهد :

والأمانات احفظنها لا تخـــن

أوف بالعهد تكن خير الرجـــال

مشيرا الى قوله تعالى :

﴿ ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ﴾.(٤)

---

(١) سورة الأعراف الاية ٢٦ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه البخارى ومسلم.

(٤) سورة النساء ٥٨ .

وقوله عز من قائل :

* وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا * (١)

ونكتفي بهذا القدر من الأمثلة .. على أن هذا الملمح ظل يلازم الشعر العربي في غربي أفريقيا في جميع أغراضه ولم يتخلف عنه لحظة من اللحظات .. ولا غرابة في ذلك ،اذ لولا الدين الاسلامي لما كان للقوم شعر باللغة العربية.

ب : الصور والأخيلة والمعاني والأسلوب ،مقتبسة غالبا من ثقافتهم الأدبية في الشعر العربي القديم..

فمثلا عندما نقرأ شعر القوم نجدهم يعمدون الى التشبيهات القديمة المحفوظة والصور الشعرية المكرورة في الشعر العربي القديم ،فاذا شبهوا المرأة الحسناء فهي تحكى الظبي في كناسه والبدر في سمائه وهي مهاة وألحاظها سيوف باترات وقدها غصن يتثنى ونهود الحسان كالرمان وخدودهن كالتفاح وعذوبة ريقهن كالخمر المعتقة ويتمطفن كالرماح وخصورهن كأحقاف بدعص .. الى غير ذلك من القوالب الموروثة ..

فمثلا يقول أحمد عيان سه يصف حسان " كولخ "

وبدورا بها فتن عقولا

ولحاظا بها رمين جفاني

---

(١) سورة الاسراء الاية ٢٥.

وظبيا بها أغن كحيلا
فاتنا فاتر الجفون سباني
فتن القلب دله فشجاه
يا لقلبي من ذلك الفتان

ويقول يونس ذو النون في الغزل :

فتفوق أوجهها البدور وتزدرى
نفحاتهن بكل مسك أذفر
مهما شدا شاد أملن قدودها
كغصون بان غب ريح صرصر

ويقول في قصيدة أخرى غزلية :

معازفها تشجى القلوب رنينها
فتهتز أغصانا قدود غوان

ويقول : الهادى تورى في وصف حسانه :

ونساؤها حور حسان خرد
ظبيات وجرة كاملات الرونق
فلئن رنون فذاك أقتل للفتى
من ضرب أسياف ورمي البندق

ويقول أيضا في القصيدة نفسها :

راد تخجل فيه يوحا وجهها
بدل السراج لدى الدجى للطرق
لا علم لي أبقدها أم خدها
أم جيدها أم قولها المترفق

تسبي العقول وتسترق قلوب جنـ
ـس غير أني كالأسير الموثـــق
والقد غصن واللهيب كخدهــا
والجيد جيد الرئم عند المطـــرق

ونجدهم يقلدون القدامى في مناجاة الحمامة عند الغزل ، فها هو ذا احمد عيان سه يقـــول في الغزل :

أنوح وقد ناحت بقربي حمامـــة
يهيجها نحو البكاء هديــــل
ودوني يعقوب على فقد يوسف
وترحمني وقت النواح ثكـــول

ويقول في المعنى نفسه الشيخ الهادى تورى :

فأقول عند سماع نوح حمامـــة
يا جارتي ماذا دعاك لمأـــق

ويتابعون القدامى في وصف الليالي الوصل وأيامها بالقصر ،فها هو الشيخ الهادى تورى يقول :

ولرب ليل مثل ابهام القطـــا
بتناه فوق سريرها في عيهـــق
أعوامها مثل الشهور شهورهـــا
مثل الليالي ليلهـــا كالمبـــرق

وفي وصف طول ليل الهجر والصدود يقول الوزير الجنيد :

تطاول ليلي واستمرت وساوســـي
وفاضت على نحرى بحور المدامـــع

وبت أراعي النجم في غيهب الدجى
أشير اليه تارة بالأصابـــــــــع
وصرت أمنى الصبح حتى كأنـنــــــي
أبيت على جمر من النـــــــار لاذع

ومن مظاهر متابعتهم القدامى اقتباس معانيهم في شتى الأغـراض فمثـلا يقول الهادى تورى في وصف محبوبته :

لو نال ذو سقم بفيها قبلــــــــة
كان الشفاء له بــدون ترفـــــق

و هو معنى قديم سبق اليه الشاعر.

ويقول أيضا في وصف ركو به :

ومطاه يبرق حابيا متطــــــاولا
اعلى ذرى نيق الجبال الشهــق
و كأنما وقع السنابك في الكـــــدى
زند المقدح أو حباحب مخفـــق

فوصف سنابك الخيل في القوة والصلابة وصف قديم قدم الشعر العربي ، فها هو ذا عنترة يقول :

وحوافر الخيل العتاق على الصفـــا
مثل الصواعق في قفار الغدفـــد (١)

ويقول أيضا في مبارزة الأقران :

فلربما بارزت وحدى فتيـــــــة
كمديدكم بطعـان رمح مـزرق

---

(١) وصف الخيل في الشعر الجاهلي ص ١٢٦ د/ كامل سلامة الدقس ، ط/ دار الكتب الثقافية ـ الكويت .

وأثرت فيهم قسطلا متراكمـــــا

طاشت به الباب ذاك الغيلـــــق

حتى تبدل ليلة ذاك النهـــــا

ر وما النجوم سوى السيوف البـــــرق

وهو مأخوذ من قول بشار بن برد :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنــــــا

وأسيافنا ليل تهاوى كواكبــــــه (١)

ومن اقتباسهم من معاني القدامى الفخر بالشجاعة في منازلة الأقران ، يقول محمد البخارى :

وأطاعن البطل الكريه نزالـــــه

ان صد عنه اماثل الشجعـــــان

فهو يأخذ عن عنترة وغيره حيث يقول :

و مدجج كره الكماة نزالـــــه

لا ممعن حربا ولا مستسلـــــم

جادت له كفي بعاجل طعنـــــة

ورشاش نافذة كلون العنـــــدم (٢)

و من ذلك أيضا ارتباط صورة القتلى والجرحى بالطيور والسباع والضباع

---

(١) ديوان بشار بن برد جـ١ ص ٣١٨ شرح محمد طاهر بن عاشور ، ط/ لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة.

(٢) ديوان عنترة ص

يقول محمد البخارى :

ولقد تركنا جلهم في معـــــــرك

جزر السبـــاع وأسغب العقبـــــان

ويقول في ذلك أيضا القاضي مجخت كل :

ورب يوم به العقبان قد حمــــدت

فعل العوالى وفعل البيض والنســر

ويقول أيضا :

مار النسور مرارا والضباع معـــــا

منهم وهل جمع أهل الشرك مكسور

ما زال يضربهم بالبيض يطعنهـــم

حيث الرصاص مع البارود منشـــــور

لم يشتك الجوع من نسر ومن ضبع

الا وهامهم في البيد مجــــــرور

وهي صورة تكررت كثيرا عند أبي تمام والمتنبي :

ولعل أوضح مثال على محاكاة القدامى والاقتباس منهم في الصور والمعاني وصف القاضي مجخت كل لجيش " لتجور " حيث يقول :

ومن " منداخ " جمعت الخيل يركبها

مرد علامتهم حلق وتقصيـــــــر

مثل الجراد بهم غص الغلاء وقد

غاظوا وفاروا كما قد فار تنـــــور

يبادرون حياض الموت قاطبـــــة

شم العرانين أبطال مشاهيــــــر

ينازعون جيادا في أعنتهـــــــا
ترنو اليهم نساء الجنـــــة الحـــور
يمشي المشاة أمام الركب واحتفلـــوا
أقدامهم تشتكيها التل والغـــور
لـها غبار يكاد الجـو ممتلئــــــا
منه اذا قلت فيهم آمرا ســــــيروا
سيرتهم فأجدوا سيرهم وأتـــــى
بهم سرى ثم اصعاد و تهجيـــر
يقودهم عمك المختار محتزمــــا
كالليث ذى اللبد الشاكي أظافيـــر

نعم ان شاعرنا كان في كثير من معانيه وصوره في هذا الوصف للجيـــش مقتبسا من محفوظاته من الشعر القديم الا أنه ساق ذلك في تدفق وانفعال ..

و يستعير الشيخ مالك سه في وصف شجاعة ممدوحه معنى قديمـــا متمثلا في اقراء العدوى بالحسام فيقول :

وبرّك البربر العادون اذ علمـــوا
بأن موقد نار الحـــرب مقتـــــدر
اذ كل من عاف منهم ما تدين بـــه
قراه يوم التلاقي الصـــارم الذكـــر

ومما يدل على شغفهم بمحاكاة القدامى واقتباس معانيهم وصورهم هـــذه المغامرة الخبيثة الداعرة التي نظر فيها الشيخ الهادى تورى الى كل مـــن امرىء القيس امام هذا الفن وتلميذه النابغ عمر ابن أبي ربيعة فيقول :

فلرب ليل مثل ابهام القطـــا
بتناه فوق سريرهـا في عيهــق
لا سيما ليل طرقت خباءهـــا
وهنا وبتنا في تمـام المأنــق
فكأن بردى من مباشرتي لهــا
من بعد فرقتنا لطيخ الزئبــق
حتى اذا استبدلت نكهـة ثغرهـا
من أذفر المسك الذكي المعبــق
نبح الكلاب وصاح ديك الحـي وان
تشر الضياء فبابنـا كمصفـــق
قلقت وقامت تشتكي غير الرقيـ
ـب ووجهها متغير للمقلـــق
قالت لاشفاق الهلاك علـي يـا
هذا ألا تحت السرير اخر نبـق
كثر الرجال على الطريق وكلهـم
بطل غيور رمحه ذو مـــرق
فأجبتها والله لست بفاعـــل
وستعلمين بأننـي لـم أخفـق
أما القتال اذا تعرض لي فـــلا
أبدا أرى بمجـن عمـر أتقـي

هذا ويتصل باقتباسهم من القديم ظاهرة الوقوف على الاطلال ، فها هو ذا محمد بللو يقول :

يا دار سلمى باللوى فالبـــاب
قفرا لطـول تـراوح الأقطــاب

ولقد وقفت بها أسائل رسمها
اذ لم أجد متكلما بجواب
ولقد عهدت بها الحلول يزينهم
بين الوجوه ثواقب الأحساب
دع عنك ذكراى خودة وديارها
وأوانس جاراتها أتراب

ويقول أيضا :

لمن طلل عاف بذات بطاح
فأكناف جارات فذات براح
وقفت به صحبي أسائل ربعه
عن الحي أيا يسموا بسجاح
فدع عنك ذكراها وذكر رباعها
وهل بعد شيب من صبي ومزاح

ويقول في نفس الموضوع أيضا الشيخ الهادى تورى :

لمعان برق الليل نحو المشرق
أبدا هوى قلبي بنور مشرق
آه على أطلال دار أحبة
لي البرق خيلها كرو يا المخفق
فتخيلت لي دار عزة والربا
ب وفرتني والكل كالمتحقق
فوقفت أبكيها ولا كبكاء خنـ
ساء على صخر ولا كالخرنق

ويقول في ذلك أيضا محمد البخاري :

اصحوت أم هاجت هواك منـــازل
عفى معارفها البلى و هواطــــل
بتلاع " ثافى " أو " بجن " فما بها
الا نعام ترتعى و فراعـــــــل
دار عهدت بها الحلول وكل مـــن
أهوى معى والعيش غض باجـــل
ولقد وقفت برسمها مستخبــــرا
عن أهلها والدمع مني سائـــــل
لله درك هل وقوفك نافـــــع
برسومها أم هل لدمعك طائـــل
فدع الديار وذكر أخدان الهـوى
وخرائد في مشيها تتمايـــــــل

ويقول أيضا في قصيدة أخرى :

أمن آل أم محمــــد طلــــلان
مخلولقان بجن ذى القيمـــان
وبجنب " ثافي " ذى الربا عفاهما
قدم وكل أجش ذى هطــــلان
أقوت ديارهما سنين فما تــــرى
فيها سوى الآرام والريـــــلان
ولقد أطلت بها الوقوف وصحبتـي
نسل الديار عن أهلها الخــــلان

فأجابنا من بعد طول قائـــــل

أنتم ومن تسلونه سـيــان

ويقول الوزير الجنيد في نفس الموضوع أيضا :

ظعن الذين عهدت في ذا النادى

ماذا وقوفك في الطلول تنادى

وعلام تبكي من بكاء حمامـــة

في أيكة تشدو على التـــرداد

والدمع يجرى فوق نحرك سائـــلا

كالماء يجرى في مسيل الـــوادى

ذهبوا وغير رسم دارهم البلى ال

مردى وطول تهجر وبعـــاد

حتى كأن ذراهم لم يغشهـــا

ذو حاجة من رائح أو غـــادى

صارت مراتع للوحوش بعيد أن

كانت مقاصد حاضـر أو بـــادى

أقوت فلست ترى بها أحدا سوى

الحرباء لائذة على الأعـــواد

ويقول أحمد عيان ســه في الأطلال أيضا :

أان عرضت بسلع دارس الطلـــل

اجريت ما كان في عينيك من بلـــل

وقفت في الدار محزونا تسائلهـــا

عن ساكينيها فلم تسمع ولم تقـــل

وأجهل الناس من يبغى الجواب لدى
ربع محيل بعيد العهد بالحلـــل
يظل فيه سوام الربيح منجفـــــلا
بعد الأوانس والأنماط والكلـــل

ويقول ذو النون في مقدمته الغزلية :

عفت لسعاد من يبريــــن دور
على أطلالها أســـــفا نـــدور
وقد كنا بها والعيش صـــاف
وكاسـات الهوى كنا نديــــر
تجيب الصاهلات كـران شــاد
يرن لنا كمـا يتلى الزبـــور
وعهدى عن مسا كنهـا الخوالـــي
لها حجـج وتتلوهـا شهـــور
فأمسى الربع لم يؤنـس ملمـــا
بـه الانئيم أو زئـيـــــر
ولم يسمع لذى الأطـــلال الا
عواد أو بغـــام أو صفيـــر

ونلاحظ أن شعراء غربي أفريقيا في وقوفهم على الأطلال قد تقمصوا أسلوب القدامى فيه ،فوصفوها متناولين جميع عناصرها من الرياح التي بدلت معالمها والأمطار التي عفتها والغزلان والبقر الوحشي وغيرها من الحيوانات التي حلت بالأطلال بعد رحيل أهل الديار . ثم اثار الديار من نـــؤى وأنماط وكلل ..

جـ : توظيف ثقافاتهم العلمية من تاريخ و نحو وصرف وفقــه وحديث وحساب و تنجيم و فلك و منطق و غير ذلك في لغتهم الشعرية . .

فها هـو ذا أحمد عيان سه يقول في الرثاء موظفا ثقافتـه التاريخية عن مقتل حسين بن علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه :

كأن نعشك شمس اذ تسير بــه
ضيفا الى الروضة الفيحـاء ذى الحزن
تخال نعش حسين في بكا وأســى
بكـربلا بين مكبود و ممتهـــن

و يستغل ذو النون أيضا ثقافته التاريخية في مدح الشيخ أحمد بمبـه فيقول :

ما مثله كسرى علا و مهابــة
بل دون ماواه جلالـة قيصــر

ويقول أيضا موظفا ثقافته في علم الحديث :

بل ما حكى حاك بديعا مثلــه
بل لم يعنعن في ممر الأعصــر

مشيرا الى العنعنة في رواية الحديث . .

ويوظف ثقافتـه في الأدب في احدى غزلياتـه فيقول :

يسير بشوقه قيس وإنــي
على علات أشواقـي أطيــر

مشيرا الى قصة قيس بن ذريح المشهور بمجنون ليلى . .

ويوظف عبدالله بن فودى ثقافته النحوية في المدح فيقول :

ولهم ككــــان ومبتدا في جارهم

عمل لغيرهـم كلم أوفي يـــــج

وفي ذلك يقول ذو النون في الغزل :

قد كنت مبتدأ وغيرى في الهـوى

خبرى و معرفة غدت لم تنكـــــر

ويقول أيضا في المدح :

ان شئت ذكره وأنـث غيـــــره

شتـان بيـن موءنـث و مذكـــــر

ويقول أيضا في الغزل :

وما ضـم مثلي في الصبابـة والهـوى

ظروف مكـان أوظروف زمـــــان

ويستغل ثقافته في القراءات والنحو أيضا فيقول :

طويتم بساط الانس من بعد نشـــره

كما كـان يطوى قـارىء همز وصلـــه

كما استغل ثقافته الفلكية في المدح حيث يقول :

فبنات نعش دون شسـع نعالـــه

بل دون رتبتـه السهى والمشتـرى

وفي ذلك أيضا يقول أحمد عيان سه في الرثاء :

قد شط قرن الموت السيد يـن كما

يأتي الكسوف ببرج الجدى والحمل

ومن على الأرض فان لا بقاء لـه

ولو تمطى الى الجوزاء أو زحــل

ر : كثرة استعمالهم للغريب من الألفاظ في أشعارهم ،
فها هو ذا عبدالله بن فودى الوزير يمدح فيأتي بالغريب ويركب متوعر
الألفاظ فيقول :

عج نحو أضواج الأحبة من "مج"

واشرب من الأنشـاج ماء الترعبج

شج الدموع على منازلهم بهـا

واشف الجنان من الهموم الدمـج

قف عندها سـل من بها فعسى تجب

حوجاء أولوجاء ترضى من شجـى

وهي قصيدة طويلة يصعب على القارئ فهمها بدون أن يستعين بالمعاجم اللغوية .. ويعتبر عبدالله بن فودى أكثر شعراء العربية شغفا بهـذه الظاهرة..

وها هو ذا محمد بللو أيضا يتباصر بالغريب في مدح شيوخـه
فيقول في بعض أبياته :

يا دار سلمى بقو اوبخيف منـى

اقوت كأن لم تكن صارت لها وطنا

.. خلت كأن بها خيط النعام ضحى

كوم تروت وأمت في الضحى عطنـا

وحين لم ألف الفا في معاهدها
سلبت نفسي بصعب ان جرى أرننا
فحل سبحل أنيق عوهن ثقف
كأنه قارب أمواجه السفنا
كأن رحلي بذي ضال ودارتها
على أقب بجزع يبتغي أتنا
مسحج فارح مستأنس وحد
ما تعاوره الكلاب في ضجنا
فأفردوه فأضحى لا يوالفه
عين ولا مسحل البهمي لذا مزنا
فذاك يبلغني دارا بها نزلت
سحابة العلم تهمى لم تزل زمنا ..

هذا ، ونكتفي بهذين المثالين لظاهرة الغريب من الألفاظ في شعر هذه المنطقة ،على أنها ظاهرة ملموسة من جميع شعراء هذه البلاد ...

هـ : ذكر كثير من الأمكنة في أشعارهم من حصون وحياض وأنهار ومدن ،وبخاصة تلك التي كانت تدور حولها رحى الحرب ..

فها هو ذا عبدالله بن فودى في غزوة " غوبر " يقول :

وكم طلل علمت "بريم" خال
و"شَمخَل" كَوْ "كَنْ" و"غلم غلم"
وكم يوم "بكَن" لنا عليهم
و"طَانْ غَادَا" و"غُرْدم" أي يوم

فأوردهم " بِغافرا " حوض موت
ففر لأهله بلباس نوم

ويقول في غزوة " غارِ " :

يا أهل " غارِ " ألمّا يكفكم " كَشَنا "
والجار يسمع ما قد حل بالجار
كذا " كَنو " مع " زكزك " وهي قربكم
و " زنفرا " مع " غوبر " نسل " بابار "

ويقول محمد بللو في انتصارهم على الوثنيين :

سرنا الى " غُمكي " وغرّ " الاسون "
قواد أهل الشرك والأحزاب
نزلوا " كَدابي " بالعتو وألبوا
أهل القرى وبوادى الأعراب

ويقول أيضا في غزوة " كنو " :

سائلوا عنا وعن أعدائنا
يوم دار الحرب في " كنو " الحفر
.. لكم كربه فرساننا
في صناديد " كَياوا " المنكسر

ويقول أيضا في احدى جهادياته :

فحزنا ياتوارك أهل " أزبن "
ففروا كي يخلصكم فرار

ويذكر عبدالله الوزير الحصون التي فتحوها في احدى غزواتهم فيقول :

فتحنا حصونا بين "كُنْدَ " و"كَندَكا"

تزيد على عشرين بالقهـــر والقوى

ويقول محمد البخارى في الانتصار على البغاة :

سل أهل " زنغَرَ " عنهم يوم التقوا

"بأبيت " بعد تحزب السـودان

من أهل " يَاوِر" كلهم و" كُتنكرو"

وسواهم من ناصرى الشيطـــان

ويقول القاضي مجخت كل في وصف بسالة "لتجور"

تالله ما سالموا الا لما عهـــدوا

أيام لا قوك في "كولكول " وفي "لور"

و"يوك" بعد "مخ " فالسلم موجبها

لم يخف أنك يا ضرغام محــــذور

ويقول في قصيدة أخرى :

وظن أن له منجا ومعتجـــا

اذ صار "جُور" له سكنى و" كوور"

ويقول أيضا :

أصادق في ادعاء الدين "لتجــور"

أم انما همه في ذاك " كجـــور"

.. فثم ولوهم الأدبار فانهزموا

بالذل فادعوا الاسلام في "جُــور"

ويقول أحمد عيان سه في الوصف :

قد رجعت "سانلويسا" روحه وزهى

وسر سور كما شئناه وارتاحـــا

هذى شموس " دكار " حل طالعها
فينا فكل بما يخفيه قد باحـــا

ويقول في الحنين الى " كولخ " :

لست أنسى ظـباء " كَوْلَخٌ " فيهـا
وظباء القنا وعـين عمـــان

ويقول أيضا في شعره الاجتماعي :

يا أهل " سنغال " لا عاداكم الزمن
لم لا تسيربكم نحو العلى سفـن

ويقول الوزير الجنيد في الحنين الى بلده :

لي فـي المعاهد صبوة لكنهـا
ليست تعاشر صبوتي في " يـولا "

ويقول في وصف رحلته الى السودان أيضا :

خرجنـا بعون الله من " غَلِس " الى ال
مطار وكنا كالطيور البواكـر
فطارت بنا في الجوولاجة الهـوا
تدافع أمواج الهواء في الهواجـر

هذا ، وقد أعطت هذه الأماكن والحياض والأنهار والحصون والمـدن الشعر العربي في غربي أفريقيا نكهة أفريقية مميزة وأضفت عليه طابعـا اقليميا مميزا انفرد به غصنه من بين أغصان دوحة الشعر العربـي أو الأدب العربي عموما ..

و : بعد شعرهم عن التعقيدات الفلسفية والعمق الذهني ، واعتمادهم على العفوية والبساطة وعدم التكلف .. ونجد أنفسنا في غنى عن ذكر الأمثلة في ذلك فكل بيت من أبيات شعرهم تقريبا يقوم مثالا ودليلا على ما قلناه .

ز : موسيقا أشعارهم تدور في البحور الرحبة غالبا وقليلا ما تخرج عنها ، فاذا تناولت شعرهم الغنائي بصفة عامة تجد أن الأوزان الأثيرة عندهم تأتي من حيث الكثرة على النحو التالي :

البسيط ثم الطويل فالكامل ثم الوافر فالخفيف وقليل جدا خروجهم عن هذه البحور الخمسة .. ولا غرابة في أن تستأثر هذه الأوزان أو البحور بمعظم أشعارهم ، فقديما كانت الأوزان الأثيرة عند الفحول ..

يقول أبو العلاء المعرى : " والبسيط والطويل ليس في الشعر أشرف منهما وزنا ، وعليهما جمهور شعر العرب . واذا اعترضت الديوان من دواوين الفحول كان أكثر ما فيه طويلا وبسيطا .. والأوزان التي تتقدم في الشعر كله خمسة : ثلاثة هي ضروب الطويل بأسرها ، والضربان الأولان من البسيط .

.. ويلي هذه الخمسة في القوة ثلاثة أوزان وهي الوافر الأول .. والكامل الأول .. والكامل الثاني .. " (١)

---

(١) الفصول والغايات ص ٢١٢ - ٢١٤ لابي العلاء المعرى ط/ المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت .


الخاتمة

خاتمـــــة

تبين لنا من خلال دراستنا للشعر العربي في غربي أفريقيـــا الحقائق الآتية :

أن دخول الاسلام الى هذه المنطقة قديم ، فقد كانت الاشراقة الأولى للاسلام على هذه البلاد في أواخر العصر الهجرى الأول ، وهي الحقيقة التي تثبتها وتؤكدها حقائق تاريخية تمثلت في قدم العلاقة بين هذه المنطقة وبين بعض البلاد الاسلامية كمصر وأفريقية ، وهي علاقات كانت في بدايتها تجارية .. وما أن أشرق الاسلام بنوره على الجزيـــرة العربية ومن ثم على مصر وأفريقية ، حتى تحولت الى علاقات دينيـــة في الدرجة الأولى ..

وأن اللغة العربية واكبت خطوات الاسلام وظلت تتطور حتى أصبحت لغة الادارة الرسمية في شتى ممالك المنطقة .. ونحن على ذكر بما ذكره البكرى من استعانة ملك " غانة " .. قبل اسلامه بخبراء الادارة والتراجمة من المسلمين .. كما رأينا دولة " مالي " أيضا تتخذ العربية لغـــة رسمية ، وكذا دولة " صنغاني " و " دولة الغلاني التي أسسها الزعيـم الروحي الشيخ عثمان بن فودى في نيجيريا ..

وأن الفرية الاستعمارية التي تزعم أن حضارة غربي أفريقيا مرتبطة بالغرب مزيفة منقوضة ، ذلك أن الاسلام هو العامل الأول والأخير في صبغ هذه المنطقة بالحضارة الحقيقية والرقيّ السلوكي .. ويوثق هـذه الحقيقة أن القوم كان لهم واقعهم المادى المتمثل في النظم السياسيـــة والعسكرية والاقتصادية . ونحن على ذكر بما قرره عنها المؤرخـــون

والجغرافيون العرب المسلمون ،أمثال ابن الفقيه والفزارى وابن حوقل والعمرى والبكرى وابن خلدون الذى يقول في أهل " غانة " : " كانت أعظم أمة ولها أضخم ملك " وقد جعل القلقشندى سلطانها من بين سلاطين الدنيا الأربعة .. ثم جاء الاسلام فانتشلها من هذا الواقع المادى الى حضارته التى تجمع في نسيجها بين الرقي المادى والرقى الروحي الذى استشعر الانسان الافريقي تحت ظله كرامته البشرية كما وجد فيه ضالته الروحية.

وأن الشعر العربي القديم كان له الأثر الأقوى على ملكاتهم الفنية فيما انتجوه من أشعار ، وربما كان يرجع ذلك الى تشابه البيئة التي هي أقرب الى البداوة ..

وأن النغمة الدينية قد غلب على معظم أغراض شعرهم كما غلبت النغمة الحماسية على أشعار الجهاد ضد الوثنيين أولا ومقاومة الاستعمار ثانيا ..

وأن لغة أشعارهم في شتى الأغراض الغنائية قد اتسمت بالجزالة ووعورة الألفاظ أحيانا ،كما اتسمت أشعارهم التعليمية بلغة شعبية سهلة شديدة القرب من أفهام العامة ..

وأنه لم يتح لأغلب شعراء غربي أفريقيا الاطلاع المنظم على دواوين الشعر العربي القديم في جميع عصوره ،فيما عدا القصائد الست للشعراء الجاهليين .. وانما استقوا ثقافاتهم الأدبية من كتب تستشهد بهذه الأشعار ،ولذلك قل الابتكار والتجديد عند الكثرة الكاثرة منهم .. كما أنه لم تبلغهم بشائر النهضة للشعر العربي الحديث .

وأخيرا ،فاني أتقدم بدعوة جامعات الدول العربية بصفة خاصة والعالم الاسلامي بصفة عامة ،الى العناية بتراث منطقة غربي أفريقيا العربي الاسلامي ،وبعثه من غياهب خزائن مكتبات فرنسا وبريطانيا وجامعات غربي أفريقيا .. وصرف جهود طلاب الدراسات العليا العربية والشرعية والتاريخية والحضارية نحو تحقيق ودراسة هذا التراث الثمين الذى يسهم بنصيب وافر في اثراء مكتبة التراث العربي الاسلامي ..

هذا ما نرجوه .. والله الموفق ،،،

و قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ... ،

فهرس المصادر والمراجع

المصادر والمراجـــع

أولا : المخطوطات :

- ابراهيم نياس ،

مجموعة قصائد .

- أبوبكر بن احمد (المسكين) ،

ديوان شعره المسمى (جامع الامثال والحكم الفائقة المثال) .

- أبوبكر بن محمود غمي ،

ديوان أبي بكر غمي .

- احمد بمبه البكي (الشيخ الخديم) ،

مجموعة أشعار .

- أحمد عيان سه ،

ديوان شعره .

- أسماء بنت عثمان بن فودى (نانا) ،

مجموعة أشعار .

- اسماعيل بن محمد ،

مجموعة أشعار .

- ابن العربي ،له

قصيدة في المدح .

- الجنيد بن محمد البخارى (الوزير) ،

ديوان قصائد الوزير .

ضبط الملتقطات .

افادة الطالبين ببعض قصائد امير المؤمنين محمد بللو .

اتحاف الحاضر بمرأى المسافر .

تفريج النفس بذكر زيارة العراق والقدس .

مجموعات الدعوات والتوسلات .

روائع الأزهار من روض الجنان .

الرحلة الممتعة الى ليبيا والسودان والجمهورية العربية المتحدة .

- عبدالله بن فودى (الشيخ الوزير) ،

تزيين الورقات .

البحر المحيط .

الحصن الرصين (الحصن الرصين)

مجموعة قصائد .

فتح اللطيف الوافي في علمي الخليل والقوافي .

- عبد الرحيم ،

مجموعة أشعار .

- عمر ابراهيم (القاضي) ،

ديوانه " حديقة الأزهار " .

- مالك سه الشيخ ،

مجموعة أشعار .

- مجخت كل (القاضي) ،

محمد الأمين بن الزبير ،

مجموعة أشعار .

- محمد البخارى بن عثمان ،

الميل على حب النساء .

- محمد بللو بن عثمان (السلطان) ،

مجموعة قصائد .

مرثية عمه عبد الله .

تخميس بانت سعاد .

مجموعة أشعار .

- محمد أنياس (الشيخ) ،

مجموعة أشعار .

- محمد سنبو بن أبي بكر (الوالي) ،

ديوان شعره .

- محمد الناصر (الشيخ الكبرى) ،

النفحات الناصرية في الطريقة القادرية .

- محي الدين كشمه (الشيخ) ،

مجموعة أشعار .

- الهادى تورى (الشيخ) ،

القافية المطولة .

مجموعة أشعار .

ثانيا : المطبوعـــات :

١ - العربيـــــة :

- ابن بطوطـة ،

رحلة ابن بطوطة (دار صادر و دار بيروت) .

- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ،

العبر وديوان المبتدأ والخبر (دار الكتاب اللبناني) .

- ابن رشيق القيرواني ،

العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده (طبعة دار الرشـــاد الحديثة - الدار البيضاء) .

- ابن عذارى المراكشي ،

البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الاندلس والمغرب ، تحقيق ج . س كولان وأ. ليفي بروفنشال ، دار الثقافة بيروت.

- ابن قتيبة الدينوري ، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي ،

الشعر والشعراء (دار الكتب العلمية) .

- أبو العلاء المعرى ، أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي ،

الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ (المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت) .

- الادريسي محمد بن عبد العزيز الشريف العلوى ،

المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس (ليدن) ٨٩٤ .

- الفغ محمود كعت (القاضي) ،

تاريخ الفتاش في اخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس (هوداس) باريس ١٩٦٤م.

- البكرى أبوعبيدالله بن عبد العزيز ،

المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (دى سيلان ، بارس ١٩٦٥م)

- بهاء الدين العاملي ،

الكشكول تحقيق الطاهر أحمد الزاوى (دار احياء الكتب العربية) .

- الحريرى ،

شرح المقامات الحريرى للشريسى ، تحقيق ابو الفضل ابراهيم

(الموءسسة العربية الحديثة) .

- الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاشي ،

فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور (دار الغرب الاسلامي بيروت) .

- عبدالرحمن السعدى ،

تاريخ السودان (هوداس ، باريس ١٨٩٨) .

- عبدالله فودى ،

ضياء التأويل في معاني التنزيل .

- القلقشندى ، الشيخ أبو العباس أحمد بن علي .

صبح الأعشى في صناعة الانشا (الموءسسة المصرية العامة) .

- محمد بن سلام الجمحي ،

طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود محمد شاكر (دارالمعارف) .

- المقريزى ، تقي الدين أحمد بن علي .

الذهب المسبوك (لجنة التأليف والترجمة والنشر) .

- الوزير الغرناطي ،

تاريخ المغرب في العصر الوسيط .

- ياقوت الحموى ، لسان الدين ابن الخطيب ،

معجم الأدباء ، (دار المأمون) .

دواوين الشعر :

- شرح ديوان امرئ القيس ،

دار صادر ودار بيروت.

- شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ،

محي الدين عبد الحميد (مطبعة المدني القاهرة) .

- ديوان أبي نواس ، دار صادر ودار بيروت.
- ديوان بشار بن برد ، شرح محمد طاهر عاشور ، ط/لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة.
- ديوان الخنساء ، دار صادر ودار بيروت .

- ديوان الخنساء ، دار صادر بيروت .

- ديوان طرفة بن العبد ،

شرح الأعلم الشنتمرى ، مجمع اللغة العربية بدمشق .

- ديوان عنترة ،

تحقيق محمد سعيد مولوى (المكتب الاسلامي) .

- ديوان المتنبي ،

شرح أبي البقاء العكبرى - مصطفى البابي الحلبي وأولاده .

- ديوان النابغة الذبياني ،

تحقيق الدكتور شكرى فيصل (دار الفكر) .

- أشعار الشعراء الستة الجاهليين ،

للاعلم السنتمرى (دار الفكر) .

- شرح القصائد السبع الطوال ،

لأبي بكر بن القاسم الأنبارى (دار المعارف) .

- شرح قصيدة بانت سعاد ،

لكعب بن زهير لابن هشام تحقيق محمد حسن أبو ناجي ،

(الوكالة العامة للتوزيع)

- مختار الشعر الجاهلي ، لمصطفى السقا
مصطفى البابي الحلبي وأولاده .

المراجـــع :

- ابراهيم طرخان (الدكتور) ،
امبراطورية غانة الاسلامية (الهيئة المصرية العامة للكتاب) .
دولة مالـــي = = =
- أحمد شيخو علادنش (الدكتور)
حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا (رسالة دكتوراه) .
- أيهم عباس حمودى القيسى ،
شعراء العقيدة في عصر صدر الاسلام (مكتبة النهضة الحديثة)
- حسن ابراهيم حسن ،
انتشار الاسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى ،
مكتبة النهضة المصرية القاهرة .
- حسنين عيسى عبد الظاهر (الدكتور) ،
الدعوة الاسلامية في غربي أفريقيا وقيام دولة الفلاني (جامعـــة
الامام محمد بن سعود الاسلامية) الرياض .
- عامر صاحب (الدكتور) ،
الأدب السنغالي العربي (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر)
- عبد الرحمن زكي (الدكتور) ،
تاريخ انتشار الاسلام في غربي افريقيا (دار الاتحاد العربي) .
تاريخ الدول الاسلامية السودانية بافريقيا الغربية (المؤسسة
العربية الحديثة) .

- عبد القادر زبادية ،

مملكة سنغاى في عهد الأسقيين (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر) .

- عبدالله بن حامد الحامد ،

شعراء الدعوة الاسلامية .

- عبدالله كنون ،

النبوغ المغربي في الأدب العربي (دار الكتب للملايين) .

- على أبوبكر (الدكتور) ،

الثقافة العربية في نيجيريا (مؤسسة عبد الحفيظ البساط بيروت) .

- عمر رضا كحالة ،

معجم المؤلفين ، دار احياء التراث العربي بيروت .

- كامل سلامة الدقس (الدكتور) ، وصف الخيل في الشعر الجاهلى ، دار الكتب الثقافية ، الكويت .

- محمد الربيع (الدكتور) ،

أبو الحسن التهامي حياته وشعره (مكتبة المعارف الرياض) .

- محمد زغلول سلام (الدكتور) ،

الأدب في العصر المملوكي (دار المعارف) .

- محمد الغربي (الدكتور) ،

بداية الحكم المغربي في السودان الغربي (مؤسسة الغليج للطباعة والنشر الكويت) .

٢ - المـــراجـع الأجنبية :

- Encyclopedia International , New York.
- Encyclopedia Britanica, London 1938. Chicago 1978.
- Thomas Aguinas

  Every man's Encyclopedia, New York Ed. Dotton Co., i nc. 1931-32

  Eric Patridge

  Short Etymotogical Dictionary of modern English origin, Lndon.
- C.T. Lewis and C. Short,

  A latin Dictionary , Oxford.
- M. Hiskett, The Development of Islam in West Africa, Longman, London , and New York 1984.
- Bartts H., Travels and Dicoveries in north and central Africa in the years 1809-1855, London 1858.
- P.B. Clarke ,

  West Africa and Islam, Edward Arnold, London, 1982.
- Palmer H.R.,

  Sudanese Memoirs Volume III, London 1920.
- Hoben S.J.,

  The Muhammadan Emirates of Nigeria, London 1930.
- Trimingham J.S.

  Islam in West Africa, Oxford University press, 1972.

محتوى الرسالـــــة

الموضـــــوع	الصفحة
اهداء	-
كلمة شكر	-
مقدمـة	٥ - ١٢
تمهيد : فجر الاسلام في غربي أفريقيا	١٣-٤٩
أ ـ الاشراقة الأولى للدين الحنيف على هذه المنطقة.	
ب ـ انتشار اللغة العربية في هذه البلاد .	
جـ ـ دعوة المسلمين من أهل المنطقة الممالك الوثنية الى الاسلام.	
د ـ جهاد المعاندين .	
هـ ـ كفاح المستعمرين .	
الباب الأول : حياة الشعر العربي في غربي أفريقيا .	٥٠-٢٥٦
الفصل الأول : نشأة الشعر العربي في غربي أفريقيا .	٥١ - ٦٨
أ ـ المناخ الثقافي الذى نشأ فيه الشعر العربي في غربي أفريقيا .	
ب ـ حالة اللغة العربية في تلك الفترة .	
جـ ـ أهم المؤلفات العربية التي كانت تدرس في المساجد والزوايا والخلوات .	
د ـ أقدم النصوص الشعرية التي كانت متداولة بين طلاب العلم.	
هـ ـ مراكز الاشعاع للثقافة العربية الاسلامية في المنطقة .	
الفصل الثاني : الجذور الفنية للشعر العربي في غربي أفريقيا .	٦٩-١٠٨
أ ـ أثر الجاهليين في هذا الشعر.	
ب ـ أثر شعراء الحضرمة والاسلام.	
جـ ـ أثر المحدثين .	
د ـ أثر شعراء الدول المتتابعة .	

الموضـوع	الصفحة
الفصل الثالث : فنون الشعر العربي في غربي أفريقيا .	١٠٩ - ٢٥٦
أ - الشعر الغنائي (مدح - رثاء - غزل - وصف - جهاد - شكوى وحنين - مناسبات) .	
ب - الشعر التعليمي (شعر الزهد والوعظ والارشاد - منظومات علمية) .	
الباب الثاني : شعراء غربي أفريقيا .	٢٥٧ - ٤٣٨
الفصل الأول : شعراء السنغال .	٢٥٨ - ٣٣٨
أ - يونس ذو النون - مختارات من شعره	٢٥٩
ب - القاضي مجخت كل - مختارات من شعره	٢٨٣
جـ - أحمد عيان سه - مختارات من شعره	٢٩٨
د - الشيخ الهادى تورى - مختارات من شعره	٣١٩
الفصل الثاني : شعراء نيجيريا .	٣٣٩ - ٤٠٥
أ - الشيخ عبد الله بن فودى - مختارات من شعره	٣٤٠
ب - الأمير محمد بللو - مختارات من شعره	٣٦٨
جـ - محمد البخارى - مختارات من شعره	٣٨٦
د - الوزير الجنيد - مختارات من شعره	٣٩٣
الفصل الثالث : الملامح المميزة للشعر العربي في غربي أفريقيا .	٤٠٦ - ٤٣٨
أ - أثر الروح الدينية في أشعارهم .	٤٠٧
ب - الآفاق التي يستوحون منها معانيهم وصورهم وأخيلتهم	٤١٩
جـ - أثر التكوين الثقافي في نسيج أشعارهم	٤٣١
د - كثرة استعمالهم للألفاظ الغريبة في أشعارهم	٤٣٣

الموضوع	الصفحة
هـ - ملامح البيئة الأفريقيــة في هذا الشعر .	٤٣٤
و - حظ أفكارهم من العمق الذهني والتأمل الفلسفي	٤٣٨
ز - موسيقى الأوزان الأثيرة في شعرهم	٤٣٨
خاتمــة .	٤٣٩ - ٤٤٢
المصادر والمراجع .	٤٤٣ - ٤٥٢
محتوى الرسالة .	٤٥٣ - ٤٥٥